المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

التشبيهات القرآنية

وأثرها في التفسير

من أول سورة (يونس) إلى آخر سورة (العنكبوت)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

أحمد بن سالم الشهري

الرقم الجامعي (٤٢٧٨٠٢٠٦)

إشراف فضيلة الشيخ:

د/ أحمد بن نافع المورعي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

طباعة القطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمدلله والصلاة والسلام على خيرة خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد من الله علي بإخراج هذه الرسالة والتي تتناول التشبيهات القرآنية وأثرها في تفسير القرآن وفهم مقاصدة وإدراك بعض أحكامه وحكمه، وقد قسمت هذه الرسالة إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

فأما المقدمة فاحتوت على بيان لأهمية الموضوع وأسباب اختياره وما سبقه من مصنفات وبحوث مشابهة كما احتوت على آلية البحث وخطته.

وبعد المقدمة يأتي القسمان الرئيسان في البحث وقد جعلت عنوان الأول منهما: التشبيه القرآني وأثره، وفيه بينت ما يحتاج القارئ لفهمه من الأسس التي بينها البلاغيون لتكون عوناً له في فهم المراد بالتشبيه..

وفي هذا القسم تمهيد وأربعة مباحث أولها: تعريف التشبيه، ثانيها: أركان التشبيه، ثالثها: أغراض التشبيه، ورابعها عن مفهوم أثر التشبيه في القرآن الكريم.

وأما القسم الثاني فهو لب الرسالة وفيه تحليل للتشبيهات القرآنية من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت وقد قسمته إلى عشرين مبحث بعدد السور في هذه الأجزاء من القرآن الكريم.

وقد تناولت كل تشبيه في هذه السور كلٌ على حده فشرحت ما فيه من أمور البلاغة كالمشبه والمشبه به ووجه الشبه والغرض من التشبيه، ثم ذكرت ما قاله أئمة التفسير في الآية، ثم ختمت ببيان ما يفتح الله به على من فهم لأثر هذا التشبيه في تفسير ومعنى الآية..

وبعد هذا القسم كانت الخاتمة التي بينت فيها نتائج البحث والفوائد منه..

وختمت رسالتي بالكشافات المتنوعة التي تناولها البحث.

وأسأل الله أن يوفقني للقيام بحق القرآن من بيان فضله والتدبر في معانية وخدمة أمة القرآن من خلال فهم القرآن وأسأله سبحانه أن يجعله حجة لنا لا علينا.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

DISSERTATION SUMMARY

All praise is due to Allah and may the peace and blessing be upon prophet Muhammad,

It is the grace of Allah upon me to produce this dissertation which is about the Quranic examples and similarities, and their effects and merits in the interpretation, understanding and realization of the wisdom and rules of the Quran,

I have divided this dissertation into a preface and two sections and a conclusion, the preface includes the importance of the subject and the reasons of selecting it plus the tools and strategy, after the preface, I started with the main two sections, first is the title is the Quranic comparison and its merits and what the reader needs to understand from the foundation that were explained by the expert of language in order to enable them to understand what is meant by the examples and similarities,

in this first section, there is an introduction and four types of researches, first of them is the identification of the examples, second, is the pillar of the research, third is purpose of the essay, fourth is the ideology of the examples and similarity in the Quran

the second section is the main core of this dissertation, it has the analysis of the examples and similarities in the Quran from surat yonos till surat al-ankabot (the spider), I have divided the second section into 20 researches which is the number of these suras in these parts of the Quran, I have pointed to each example in that specific surah separately and explained all ways of eloquence and compared the compared and the comparison signs and reasons of comparison, then I mentioned what the leaders of interpretation said about that verse of the Quran, after all that, I have concluded my dissertation with the results and its benefits and the discoveries of the dissertation,

I ask Allah to guide me to give the rights of Quran upon me in order to show its virtue and understanding its meaning to serve it better, amin

المقدمـــــة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١].(١)

أما بعـــد:

فقد أرسل الله رسله إلى خلقه ليخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهدوهم إلى صراطه المستقيم، ولما كان يغلب على أكثر الأمم التكذيب والاستكبار، فإن العليم الحكيم سبحانه كان يؤيد رسله عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات ليبرهنوا بها على صدقهم فيهدي الله من يشاء من المؤمنين وتقام الحجة على الكافرين.

وحتى تكون تلك المعجزات أبلغ تأثيراً وأشد وقعاً في النفوس فإنها غالباً ما

---

(١) من خطبة الحاجة التي كان كثيراً ما يبدأ بها النبي ﷺ ويعلمها أصحابه كما في حديث ابن مسعود: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة ثم ذكرها. رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم ٣٧٢٠ و ٤١١٥)، وأبو داود في باب خطبة النكاح (١: ٣٣١)، والنسائي في باب كيفية الخطبة (١/ ٢٠٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٨٢، ١٨٣) بأسانيد صحيحة، وإن كان في بعضها ما رواه المسعودي وأبو إسحاق السبيعي وكانا اختلطا لكنهما لم يتفردا به، وقد خصها الإمام الألباني ~ برسالة خاصة من جزء واحد جمع فيها أحاديث خطبة الحاجة وخرجها مع فوائد أخرى تناسبها، وهي في كتاب مطبوع نشرته دار المكتب الإسلامي ببيروت عام ١٤٠٠هـ.

تكون أموراً حسية تخالف السنن الكونية ومن جنس ما شاع وانتشر في زمانهم وعظم في أعين عامتهم، لتكون تلك المعجزة مفحمة لأعظم الأمور في أنفسهم وداحضة لأكبر وأقوى الأشياء في أعينهم فلا يملكون عندها إلا الإذعان والتسليم.

فلما كان السحر متفشياً في عهد موسى عليه السلام، أيده الله بالعصا فتنقلب حية تسعى، يضرب بها البحر فينفلق ويتحول طرقاً كالجبال، ويضرب بها الحجر الصلب فيتفجر عيوناً، وبيده يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين..

ولما كان قوم صالح عليه السلام أهل قوة في الأجسام ومنعة، أيد الله نبيه بناقة عظيمة لها شرب يوم ولهم وأنعامهم شرب يوم..

ولما شاع في قوم عيسى عليه السلام الطب وعلا شأنه، فأيد الله نبيه عيسى بمعجزة من جنس ما برعوا فيه ؛ فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويخلق الطير من الطين، بل ويحيي الموتى بإذن الله..

ثم لما كان الرسول الخاتم ﷺ ورسالته الخاتمة فقد كانت معجزته خالدة باقية ما بقي الثقلان وما تعاقب الجديدان، وكان مبعثه ﷺ في وقت ارتفع فيه شأن البلاغة والبيان بين العرب وعظم ذلك في أعينهم وعدوا أنفسهم أساطين البيان والقوة في الإفصاح عن كوامن النفوس وخوالج القلوب، فأيد الله نبيه ﷺ بالقرآن - الذي تحداهم في أعز ما يفاخرون به - من الفصاحة فكان أبلغ التحدي وأقواه حين تحداهم في أعظم ما يتقنون وما كانوا فيه يتفننون..

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

ولم يكتف بتحدي العرب وحدهم ولا الإنس وحدهم، بل أضاف إليهم الجن، بل حتى لو اجتمع الثقلان وتظاهر الفريقان، وهذا من مقتضيات ديمومة إعجازه وشموله.

ومن مقتضيات ديمومة إعجازه كذلك، اشتماله على أنواع كثيرة من الإعجاز، ومن أهمها وأعظمها الإعجاز البياني، وإن من أهم أركان الإعجاز البيان وبيت القصيد فيه التشبيه بأنواعه المختلفة.

ولهذا تم اختيار هذا البحث والذي يتناول التشبيهات القرآنية وأثرها في معاني الآيات القرآنية... وذلك بجمع وتحليل ودراسة أقوال المفسرين المتناثرة عن التشبيهات القرآنية وأثرها في أداء المعنى وإظهاره للأذهان، وهو من أهم المواضيع التي ينبغي لطلاب العلم والمتخصصين في الدراسات القرآنية أن يعنوا بها ويخرجوها للأمة التي هي في أمس الحاجة لهداية القرآن الكريم، وبالذات في هذا الزمان، أكثر من أي وقت مضى..

۞ أسباب اختيار الموضوع :

إن لاختيار هذا الموضوع أسباباً كثيرة لعل من أهمها:

١) أن هذا الموضوع يتصل مباشرة بالقرآن الكريم وتفسيره وتدبره وهذا من أشرف العلوم، ودراسة هذا الموضوع نوع من التدبر المأمور به. فكل من أسهم في هذه الدراسة بكتابة أو إشراف أو توجيه أو نقاش فنرجو الله أن يجعله ممن يجتمعون على كتاب الله ويتدارسونه بينهم.

٢) أن القرآن الكريم معجزة رسولنا ﷺ الخالدة ومن أعظم جوانب الإعجاز فيه الجانب البياني والذي منه التشبيهات القرآنية.

٣) أن من أهم الأهداف التي يطمح الباحث إلى تحقيقها أن يحصّل الملكة الكافية للاستنباط من كتب التفسير، وذلك متحقق- بإذن الله - في هذه الرسالة من خلال جمع وتحليل أقوال المفسرين والتنقل بين كتب العلماء لاستخراج أقوالهم منها..وهو ما يورث ملكة ودربة كبيرتين في مجال التفسير وعلوم القرآن.

٤) أن أقوال المفسرين المتناثرة في كتب شتى بحاجة إلى جمع وتقصٍ لكل التشبيهات الواردة في القرآن الكريم وتخصيصها بالبحث، كما أن في هذه الدراسة إثباتاً لما قد تركه بعض المفسرين في كتبهم، ويلتمس لهم العذر في ذلك، لأن مقصود أغلبهم منصب على التفسير لا على تتبع التشبيهات واستقصائها، ففي هذه الرسالة جمعٌ بين فني التفسير والبيان، وهذا مما لم يحظ بالدراسة الكافية المستفيضة عند البعض.

٥) أن من أهم أهداف هذه الرسالة إبراز دور التشبيهات القرآنية في إظهار المعنى وتجليته وتحليته بالصورة الجمالية... من توضيح وشرح وتأكيد وتمثيل وحيوية للمعنى في نفوس وعقول القراء والمستمعين، ومن فهم المفسرين الملتزمين بالسنة الغراء وبعيدا عن التأويلات المغرضة والجاحدة لكتاب الله العظيم.

٦) أن إخراج مثل هذه الدراسة للناس فيه نفع للأمة وأداء للأمر بالتبليغ وفيه كذلك إعذار إلى الله سبحانه ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤].

٧) لأن الأمة في أمس الحاجة لفهم كل ما يتعلق بكتاب ربها ومن ذلك فهم التشبيهات القرآنية، فإذا كان من يؤمن بهذا القرآن العظيم بل ويتخذه منهاج حياة هم المسلمون على وجه العموم فإن العرب الأقحاح منهم قلة قليلة، فإذا ما دققت النظر وجدت أن العرب أنفسهم بعيدون كثيراً عن العربية -إلا من رحم الله وقليلٌ ما هم- ، والقليل من هذا القليل من يحيط بلغة القرآن إحاطة كاملة شاملة تمكنه من استخراج الأساليب البلاغية والتشبيهات وصور البيان البديعة والوقوف على وجوه الإعجاز الكثيرة التي جاء بها هذا الكتاب الحكيم الذي أمر منزله سبحانه بتدبره.

ولا شك أن استخراج كل ما في القرآن الكريم من وجوه الإعجاز من الصعوبة بمكان فهذا كلام الله الذي لا تفنى عجائبه ولا يخلق بكثرة الترداد ولا تنضب عيون كنوزه، ولكن على طلاب العلم ومعلمي الناس الخير أن يجتهدوا وسعهم في تأمل آياته والغوص في بحور معانيه ليخرجوا للدنيا ما استطاعوا من لآلئه كلٌ بحسبه، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧] .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم(١)

ولئن كان العلم نوراً فإن أعظم النور هو نور القرآن، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥] ومن يحرم فهم القرآن وتدبره فيشيح عن هداياته، فإنه يتلبس بشيء من الظلمات بقدر بعده عن القرآن الكريم ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] .

من أجل ذلك كله رأيت أن البحث في هذا الموضوع يستحق أن يفرد بالدراسة المتخصصة، بل إن تبيين ما في كتاب الله من الآيات البينات والمعجزات الواضحات

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (٣/ ٣٧٨) المسمى بالتبيان في شرح الديوان. ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي. دار المعرفة بيروت (٣/ ٣٧٨).

ووجوه الإعجاز المتكاثرات، وإخراج ذلك للناس واجب شرعي، هداية للحياري وتذكرة للمتقين وإقامة للحجة على المعاندين وقبل ذلك كله معذرة إلى ربنا رب العالمين.

فالله أسأل أن يكون قد فتح عليّ بالتسديد والتوفيق إنه ولي ذلك والقادر عليه.

۞ المصنفات والدراسات السابقة :

مما بدا لي بعد البحث والسؤال- والعلم عند الله- أنه لم يفرد موضوع التشبيهات في القرآن الكريم بالجمع والتحليل والدراسة والتصنيف وبيان تأثيرها على القراء والمستمعين عند المفسرين بشكل خاص إلا القليل من العلماء وذلك من المتقدمين والمتأخرين على حد سواء.

وإن كان قد تناول هذا الموضوع جمعٌ من المفسرين فحللوا تلك التشبيهات وبينوا ما فيها من وجوه الإعجاز وحسن النظم وروعة البيان بشكل عام ضمن تفاسيرهم مثل الزمخشري(١) وأبي السعود (٢) والآلوسي(٣) والطاهر ابن عاشور(٤)، وكان كلٌ يبدي ما يفتح الله به عليه في فهم تلك التشبيهات ويربطها بالسياق التفسيري الذي ينتهجه، ولكن ذلك كله ليس إلا جزئية من كتاب التفسير الذي قام

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت دار إحياء التراث العربي ومؤلفه أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المعتزلي (ت٥٣٨هـ): وكان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، متفننًا في علوم شتى. ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة عام ٥٣٨هـ. وكان رأساً في الاعتزال مفاخراً بذلك وتفسيره يشهد على مذهبه. انظر ترجمته في أعلام الزركلي (٧/ ١٧٨).

(٢) كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت دار إحياء التراث العربي، وهو من أفضل التفاسير التي تبرز مزايا القرآن الكريم اللغوية والبيانية، أبو السعود العمادي: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ولد في القسطنطينية وتوفي ودفن بها بالقرب من قبر الصحابي أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك عام ٩٨٢هـ. انظر أعلام الزركلي (٧/ ٥٩).

(٣) كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت دار إحياء التراث العربي. وهو موسوعة علمية في التفسير الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت١٣٤٢هـ): . انظر أعلام الزركلي (٦/ ١٧٢).

(٤) التحرير والتنوير تونس دار سحنون ١٩٩٧م اعتنى فيه بالجوانب البلاغية ومؤلفه هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.مولده ودراسته بها ووفاته(١٣٩٣هـ). انظر كتاب الأعلام للزركلي (٤/ ١٢٢).

بتأليفه هذا المصنف أو ذاك ولم يكن تصنيفاً منفردا خاصاً بالتشبيهات القرآنية.

أما أول من أفرده بتصنيف من المتقدمين فهو أبو القاسم ابن البندار ابن ناقيا(1) البغدادي (ت٤٨٥هـ) وذلك في كتابه "الجمان في تشبيهات القرآن"، قال الإمام الزركشي ~ في البرهان: وقد صنف فيه أبو القاسم ثم ابن البنداري رسول البغدادي كتاب الجمان في تشبهيات القرآن.(٢)

كما ذكر ذلك أيضاً الإمام السيوطي(٣) ~ في الإتقان.

ولما لم يذكر الزركشي(٤) المتوفى(٧٩٤هـ) والسيوطي (٩١١هـ) أحداً غير ابن ناقيا، فإن ذلك يوحي بتفرده بذلك حتى عصريهما.

أما الدراسات الأكاديمية المعاصرة، فهناك بعض الرسائل العلمية من ذلك دراسة:

- عبد الحميد محمد العيسوي: خصائص التشبيه في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة. قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة بجامعة الأزهر ١٤٠٦هـ. (5)

---

(١) ابن ناقيا البغدادي هو عبد الله بن محمد بن الحسين شاعر، مترسل، لغوي. من أهل بغداد. كان كثير المجون، ينسب إلى مذهب المعطلة، ويتهم بالطعن على الشريعة. انظر أعلام الزركلي (٤/ ١٢٢).

(٢) الجمان في تشبيهات القرآن. تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية منشأة المعارف ١٣٩٨هـ، وقد أشار إليه السيوطي. انظر: الاتقان في علوم القرآن. تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي بيروت دار الكتاب العربي (١/ ٥٦٤).

(٣) السيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر. عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم، له نحو ٦٠٠ مصنف. (ت٩١١هـ)، انظر ترجمته في أعلام الزركلي (٣/ ٣٠١).

(٤) انظر: كتاب البرهان (٣/ ٤١٤) للزركشي.

والزركشي هو: بدرالدين محمدبن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، وهو أحد العلماء الاثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن وكتابه البرهان عمدة في علوم القرآن. انظر الأعلام للزركلي (٦/ ٦٠).

(٥) ذكرهذه المصنفات الدكتور شعيب الغزالي في كتابه: مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير ابن عاشور المذكور أعلاه.

- دخيل الله الرحيلي: " التشبيهات القرآنية وأثرها في النفوس" وهو رسالة ماجستير عام ١٤٠٧هـ.

- ملك بخش: كتاب " أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم" رسالة ماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ.

- شعيب بن أحمد الغزالي: كتاب (مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير ابن عاشور) رسالة دكتوراة في البلاغة والنقد. جامعة أم القرى عام ١٤٢٤هـ.

- عبد الرحمن علي خليل: التشبيه في آيات القرآن. رسالة ماجستير كلية اللغة العربية بالمنصورة. جامعة الأزهر.

- حسين عبد الباري رمضان: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم. رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٤٠٠هـ.

والملاحظ أن أغلب هذه الدراسات قد تناولت دراسة التشبيهات القرآنية من منظور بلاغي، فأثروا المكتبة الإسلامية بما يخدم هذا الاتجاه فقط.

أما هذا البحث فإنه سيغلب عليه - بإذن الله - الطابع التفسيري ؛ فيشتمل على خلاصة أقوال المفسرين في التشبيه القرآني وبيان أثره في التفسير ومعاني الآيات، ليكون أكثر فائدة وأعظم نفعاً بإذن الله تعالى.

وهذه الرسالة جزء من مشروع شارك فيه ثلاثة من الطلاب بواقع عشرة أجزاء لكل طالب وكان نصيبي من سورة يونس إلى العنكبوت ونسأل الله التوفيق (إضافة).

۞ آليـة البحـث :

ينهج البحث الطريقة التحليلية، متخذا آلية البحث (الخطوات الإجرائية) على النحو الآتي:

١- ذكر الآية بالرسم العثماني.

٢- وصف التشبيه وتحليل أطرافه: المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه والغرض منه، ومعرفة نوعه، اعتمادا على كتب البلاغة العربية، وربما أرجع إلى ما ذكره صاحب معجم أساليب البلاغة في القرآن الكريم[(١)]، وكتب التفسير ومن أهمها ما ذكره الطاهر ابن عاشور ~ في التحرير والتنوير.

٣- ذكر تفسير الآية وذلك بتفصيل يسير غير ممل وبإيجاز مناسب غير مخل، وقد اعتمدت في التفسير على أقوال ابن جرير ~ ؛ لأنه إمام المفسرين وأغلب أقوالهم مستقاة منه، وفي بعض المواضع أختار اللفظ الوارد في تفسير الجلالين لوجازة عباراته ودقة اختياراته، وأما ما أنقله من أقوال المفسرين الآخرين فأشير إليه في موضعه بإذن الله تعالى.

٤- ربما أذكر بعض القراءات في المواضع التي أرى أهمية لذكرها ومرجع القراءات هو أيضًا الإمام الطبري ~ ، وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري كما سيأتي دون توجيه للقراءات إلا ما كان له علاقة بأثر التشبيه في فهم الآية[(٢)].

٥- ذكر أثر التشبيه في تفسير الآية وما أضفى عليها من مبنى جميل وسبك

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم للدكتور محمد صالح مخيمر. الأردن إربد دار الكتاب العربي ١٤٢٦هـ.

(٢) النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري (٨٣٣هـ) نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

حكيم ومعانٍ رائعة، وما قد يفيد من تأسيس أو ترجيح قول على قول أو توكيد ونحو ذلك.

وحتى لا أقع في القول على الله بغير علم، فقد اعتمدت في وصف التشبيه وبيان أثره إعتماداً شبه كلي على كتب المفسرين الذين اهتموا بالجانب البلاغي كالزمخشري والرازي(١) وأبي السعود والآلوسي والطاهر ابن عاشور وهذا الأخير هو أكثر من نقلت عنه لأنه أكثرهم عناية بالتشبيه رحمة الله على الجميع.

٦- عزو الأحاديث إلى مخرجيها، وبيان حكم العلماء عليها، فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما، اكتفيت به، وإلا فالتوسع في ذلك وفق ما تقتضيه الصنعة الحديثية.

٧- نسبة الأقوال إلى أصحابها.

٨- ترتيب الآيات حسب ورودها في السور وترتيب السور على ترتيبها في المصحف.

٩- ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث، وذلك في أول موضع يذكر فيه اسم العلم، وقد اجتهدت في الترجمة لكل علم يرد ذكره في هذه الرسالة باستثناء الصحابة المشهورين وأئمة الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما، وذلك لاشتهارهم ولاستفاضة تراجمهم في المصنفات، وقد اعتمدت في هذه التراجم على كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي ~ لشموله لأعلام المتقدمين والمعاصرين.

---

(١) الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب. بيروت دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ. الامام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، انظر أعلام الزركلي (٦/ ٣١٣).

تنبيهان مهمان:

الأول: قد يكون القول ببعض التشبيهات الواردة في هذه الرسالة قولاً مرجوحاً أو يخالف ما عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح، فنحن إنما نورده لأنه وجه محتمل من وجوه تفسير الآية دون قطع أو تسليم بصحته، ولكن نشير إلى أنه من اختلاف التنوع المسموح به، ونعوذ بالله أن نقول في كتابه بغير علم.

الثاني: يميل هذا البحث إلى تبني رأي المفسرين في اعتبار الآية تشبيها أم لا، وإن كان هذا يخالف ما درج عليه البلاغيون، فما عده المفسرون تشبيها هو تشبيه أرتضيه، وإن خالف بعض البلاغيين، وما لم يعده المفسرون تشبيها أغض الطرف عنه.

۞ خطة البحث :

لقد فرضت طبيعة الموضوع ومنهجه وآليات البحث أن ترد الخطة على النحو التالي:

مقدمة وقسمين رئيسين وخاتمة.

أما المقدمة ففيها بيان آلية البحث وخطته.

وأما القسم الأول: وهو التشبيه القرآني وأثره ففيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التشبيه.

المبحث الثاني: أركان التشبيه وأقسامه.

المبحث الثالث: أغراض التشبيه.

المبحث الرابع: مفهوم أثر التشبيه القرآني.

وأما القسم الثاني: فهو تحليل التشبيهات القرآنية:

وفيه عشرون مبحثاً: بعدد السور من أول سورة يونس إلى آخر سورة العنكبوت وبترتيب السور في المصحف (يونس- هود - يوسف - الرعد - إبراهيم - الحجر -

النحل - الإسراء - الكهف - مريم - طه - الأنبياء - الحج - المؤمنون - النور - الفرقان - الشعراء - النمل - القصص - العنكبوت).

وأما الخاتمة فأذكر فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأما الكشافات العلمية فتشمل:

١) كشاف الآيات

٢) كشاف الأحاديث

٣) كشاف الأعلام

٤) كشاف الأبيات الشعرية

٥) كشاف المحتويات

وأسأل الله جل في علاه أن يوفقني لإخراج هذا البحث بالصورة التي تليق بكتاب الله وما فيه من إعجاز، كما أسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص والقبول في كل ما نأتي وما نذر وأن يجعله في موازين حسناتنا آمين.

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره سبحانه أولاً وآخرا، ظاهراً وباطناً، سراً وعلانية فله الفضل كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله فله الحمد من قبل ومن بعد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وبعد شكر الله على توفيقه فإنني أتوجه بالشكر والعرفان لوالدتي الغالية الرؤوم التي كثيراً ما خصتني بدعوات صالحات صادقات ..

وأتوجه بأجزل الشكر لصرح العلوم ونبع المعرفة ورائدة العطاء وجامعة العلماء جامعة أم القرى المباركة التي أعطتنا العلم ومنحتنا المعرفة ..

أشكر كلية الدعوة وأصول الدين وخصوصاً قسم الكتاب والسنة رئيساً وأعضاء تدريس الذين بذلوا لنا أوقاتهم وأحاطونا بعنايتهم فأفدنا من علومهم وارتشفنا منهم رحيق الوحيين على نهج سلف الأمة فجزاهم الله عنا خير الجزاء وبارك فيهم ونفع بهم ..

وأخص بالشكر شيخي الكريم وأستاذي الفاضل ومشرفي المبارك الدكتور أحمد المورعي حفظه الله الذي كان لي كالأب لأبناءه توجيهاً ورعاية ونصحاً في رفق ومحبة وحكمة ولين فزاده الله من فضله ونفعه ورفعه بعلمه وجزاه عني خير الجزاء..

كما أشكر سيخي الفاضلين الدكتور خالد الغامدي والدكتور عبد الرحمن القصاص لقبولهما قراءة هذه الرسالة ومناقشتها فجزاهما الله خير الجزاء..

كذلك أشكر زوجتي الغاليتين وأبنائي الذين كانوا لي نعم العون في أثناء دراستي لأداء رسالتي..

ولن أنس كل من مد لي يد المساعدة من إخوة وزملاء وأخص منهم الشيخ حمزة عسيري والدكتور عبد الحكيم الشبرمي والدكتور محمد سالمان والدكتور صالح مطر وغيرهم كثير ، فإنني أقول لهم جميعاً جزاكم الله عني خير الجزاء وأجزل الله لكم

المثوبة والأجر في الدنيا والآخرة.

أسأل الله جل في علاه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله حجة لنا لا علينا..

كما أسأله سبحانه أن ينفع به كاتبه وقارئه وكل من علق عليه أوصحح فيه أو ناقشه وكل من أسهم في إخراجه. آمين إن ربي سميع مجيب والحمدلله رب العالمين.

القسم الأول

القسم الأول

التشبيه القرآني وأثره

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث :

- **المبحث الأول : تعريف القرآن الكريم وتعريف التشبيه .**
- **المبحث الثاني : أركان التشبيه وأقسامه .**
- **المبحث الثالث : أغراض التشبيه .**
- **المبحث الرابع : مفهوم أثر التشبيه القرآني.**

تمهيـــد

للتشبيهات أثر كبير في علم البيان يعرفه حق معرفته ويقدره حق قدره من تذوق حلاوته وفهم أركانه وأحاط علماً بأصنافه وألوانه.

وإذا كان في التشبيهات الشعرية جمال وفي تذوقها لذة، فإن ذلك الجمال يتلاشى وتلك اللذة لا تكاد تذكر إذا ما قورنت بتشبيهات القرآن الكريم وحق لها أن تتقازم أمام كلام الحق ﷻ فلا مقارنة بين شعر البشر وكلام رب البشر سبحانه.

متى ما أقل مولاي أفضل منهم   أكن للذي فضلته متنقصاً
ألم تر أن السيف يزري به الفتى   إذا قال هذا السيف أمضى من العصا[1]

يقول الجرجاني ~ [2] في مقدمة كتابه دلائل الإعجاز وهو يتحدث عن العلم: "وأن محبته مركوزة في الطباع، ومركبة في النفوس، وأن الغيرة عليه لازمة للجبلة، وموضوعة في الفطرة، وأنه لا عيب أعيب عند الجميع من عدمه، ولا ضعة أوضع من الخلو عنه، فلم يعاد إذاً إلا من فرط المحبة، ولم يسمح به إلا لشدة الضن.

ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر. والذي لولا تحفيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استبانت لها يد الدهر صورة، ولاستمر السرار بأهلتها[3]،

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي. وهذان البيتان لمحمد جواد بن عبد الرضا عواد البغدادي أديب من الشيعة الإمامية من أهل بغداد وبها وفاته. هلك عام ١١٦٠هـ، الأعلام (٦/ ٧٤).

(٢) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني واضع البلاغة من أهل جرجان بين طبرستان وخراسان كان من أئمة اللغة والبيان توفي عام ٤٧١، الأعلام (٤/ ٤٨).

(٣) مادة: سرر، يقال سِرار الشهر وسَراره وسَرَرهُ وهو آخر ليلة يستسر الهلال بنور الشمس. انظر لسان العرب القاهرة دار المعارف ١٣٩٩هـ الصفحات(١٩٨٩- ١٩٩٢) ومؤلفه هو ابن منظور: محمد بن =

واستولى الخفاء على جملتها: إلى فوائد لا يحركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء.

إلا أنك لن ترى على ذلك نوعاً من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه، ومني من الحيف بما مني به، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه. فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة، وظنون ردية، وركبهم فيه جهل عظيم، وخطأ فاحش. ترى كثيراً منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين، وما يجده للخط والعقد".[1]

والحقيقة إن لعلم البيان من اسمه نصيباً متوافراً، فإنه يبين للناس مضمرات الضمائر، ويجلي لهم ما يختلج في السرائر، في أساليب تطرب لها القلوب، وتنشرح بها الصدور، ويزداد البيان حسناً وضياءً ويكتسي حلة و بهاءً إذا كان من آي القرآن ولا مقارنة بينه وبين سواه كما قدمنا.

وإن لبيان القرآن سلطاناً على القلوب لا يبلغه سواه واستمع إلى شهادة أحد أدهى العرب وأفصحهم حيث أرغمه بيان القرآن على هذه الشهادة رغم كفره وعداوته الشديدة لهذا الدين، إنه الوليد بن المغيرة يصف القرآن فيقول:

وماذا أقول ؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، و والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

قال أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

= مكرم بن على ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى القاضي الأديب ترك خمسمائة مجلد أشهرها لسان العرب ت ٧١١هـ، الأعلام (٧/ ١٠٨).

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة مكتبة الخانجي ١٤٠٤هـ (١/ ٥-٦).

قال: قف عني حتى أفكر فيه.

فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره.

فنزلت ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣﴾ [المدثر:١١-١٣].(١)

فإذا كانت هذه شهادة أحد ألد أعداء الدين في القرآن، فكيف ينبغي أن تكون رؤيتنا نحن، وكيف ينبغي أن يكون تأملنا وتدبرنا لهذا الكتاب الكريم وذلك الكنز العظيم.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم(٣٨٣١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، ورواه ابن جرير عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن وعن عكرمة مرسلا وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٨٠)، وقال الشوكاني في الفتح: (وقد أخرج هذا عبد الرزاق عن عكرمة مرسلاً، وكذا أخرجه ابن جرير، وابن إسحاق، وابن المنذر، وغير واحد)، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (١٥٨).

المبحث الأول
تعريف القرآن الكريم وتعريف التشبيه

أولاً : تعريف القرآن الكريم :

لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٧-١٨]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله...وإليه ذهب اللحياني وجماعة [١]،وسمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر فأصله مقروء قرأه جبريل على محمد ﷺ.

وأما في الاصطلاح: ((هو كلام الله المنزل المتعبد بتلاوته المكتوب في المصحف المنقول إلينا بالتواتر المعجز بأي سورة منه من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس)). [٢]

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني: بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ

(٢) القرآن وما يكتب فيه(١/ ٩٦). إبراهيم عبد الرحمن خليفة مقال بالموسوعة القرآنية المتخصصة. إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٦هـ.

(٢) من المعلوم بالضرورة عند كل المسلمين بل حتى الكفار أن لفظ القرآن قد صار علماً على كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ ولذلك يرى البعض أنه لا داعي لتعريف القرآن ولهذا لم أشرح التعريف أو أتعرض لما فيه من الاحترازات ونحوها لأن ذلك مما أشبعه العلماء بحثاً فلا داعي لذلك التكرار، انظر المحرر في علوم القرآن للدكتور مساعد الطيار (١/ ٢١).

۞ ثانياً: تعريف التشبيه:

التشبيه في اللغة معناه التمثيل، وهو مصدر مشتق من مادة " شبه "، كما يقول ابن منظور: " الشِبهُ والشَبَهُ والشبيهُ: المثل، والجمع أشباه، و أشبه الشيء الشيء: ماثله... و أشبهت فلانا، وشابهته: أشبه كل واحد منهما صاحبه... والتشبيه: التمثيل..... ويقال: شبهت هذا بهذا، و أشبه فلان فلانا".[1]

وكما قال في مختار الصحاح: شِبْهٌ وشَبَهٌ لغتان بمعنًى. يقال هذا شِبْهُه أي شَبيهُه وبينهما شَبَهٌ بالتحريك والجمع مَشَابِهُ على غير قياس كما قالوا مَحَاسِن ومذاكير. والمُتَشَابِهات المُتَماثِلَات.. والتَّشْبيه التَّمثيل. [2]

و أما في الاصطلاح:

فقد تدرج تعريف التشبيه من التعريف اللغوي إلى التعريف الاصطلاحي، من علماء اللغة إلى علماء البلاغة، فالمبرد من أوائل اللغويين الذين حاولوا وضع تعريف للتشبيه في قوله: " واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، و إنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع ".[3]

وفي هذا التعريف يحدد بعضا من أطراف التشابه وهي: المشبه والمشبه به و موطن التشابه، وتشيرعبارته " الأشياء تتشابه " ضمنا إلى طرفي التشبيه.

---

(١) مادة (شبه). لسان العرب (١/ ٢١٨٩).

(٢) مختار الصحاح للرازي: عني بترتيبه: محمود خاطر القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ (ص٣٢٨)، مادة (شبه) والرازي هو زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر من فقهاء الحنفية له علم بالأدب والتفسير أصله من الري توفي بعد ٦٦٦هـ. الأعلام (٦/ ٥٥).

(٣) الكامل في اللغة والأدب تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة دار الفكر العربي ١٩٩٧م (٣/ ٩٣). للمبرد محمد بن يزيد ابن عبد الاكبر الثمالى الازدي ، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الادب والاخبار مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. (٢٨٦هـ) انظر الأعلام (٧/ ١٤٤).

ويتأمل قدامة بن جعفر مذهب المبرد في موطن التشابه ؛ فيرى أنه جزء من كل في قوله: " إن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدا، فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتهما، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه: هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيهما يدني بهما إلى حال الاتحاد " [(١)]، وهو يفصل في بيان طبيعة التشبيه في كونه اشتراكا في وجه الشبه بين طرفين يقربهما إلى التوحد.

وتطور هذا التعريف فأضاف إليه أبو هلال العسكري أداة التشبيه بقوله:

" التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب. ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد " [(٢)].

وقدم السكاكي تعريفا مجملا شمل جوانب الاصطلاح لخصه من كلام عبد القاهر ؛ فحدد الأركان والأداة والوجه حيث قال:

" لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين، مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجه وافترقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة، أو بالعكس، فالأول: كالإنسانيين: إذا اختلفا صفة: طولا وقصرا، والثاني: كالطويلين، إذا اختلفا

(١) نقد الشعر (١/ ١٢٢) ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ومؤلفه هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد، يضرب به المثل في البلاغة. توفي (٣٣٧هـ)، الأعلام (٥/ ١٩١).

(٢) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري (١/ ٢٤٥). تحقيق: مفيد قميحة. بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨١م. العسكري هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري: عالم بالادب، له شعر. نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الاهواز، (٣٩٥هـ) انظر الأعلام (١٩٦/٢).

حقيقة: إنسانا وفرسا، وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه، حتى التعيين يأبى التعدد، فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر، والشيء لا يتصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف وأن التشبيه لا يصار إليه إلا لغرض ".(١)

ولخص القزويني ما قاله السكاكي وما قاله عبد القاهر الجرجاني في قوله:-

" التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى " (٢). فجمع بين الطرفين والوجه والأداة..

والخلاصة في تعريف التشبيه أن نقول "هو بيان مشاركة أمر لآخر في معنى أو أكثر وإن أختلفا في أمورٍ أخرى".

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي (١/ ٣٣٢) تحقيق: نعيم زرزور. بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ، السكاكي هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والادب، مولده ووفاته بخوارزم. (ت٦٢٦هـ) انظر الأعلام (٨/ ٢٢٢).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني(١/ ١٢١)،. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤م والخطيب القزويني هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق قاض، من أدباء الفقهاء، أصله من قزوين، ومولده بالموصل، توفي (٧٣٩هـ) الأعلام (٦/ ١٩٢).

المبحث الثاني
أركان التشبيه، وأقسامه

يقوم التشبيه على أركان أربعة هي:

١) المشبه: الطرف الأول: وهو الشيء المراد تشبيهه.

٢) المشبه به: الطرف الثاني: وهو الشيء المتضمن للصفة المشبهة والذي يشبه به المشبه.

٣) أداة التشبيه: وهي الرابط بينهما مثل (كأن ومثل وكما،.. ونحو ذلك).

٤) وجه الشبه: هو القدر المشترك من الصفة بين المشبه والمشبه به.

ويمكن الحديث عن هذه الأركان على الوجه التالي:

۞ أولا: طرفا التشبيه :

هما عنصران جوهريان في أسلوب التشبيه ولا يمكن الاستغناء عنهما، ولا يتحقق التشبيه إلا بوجودهما معا إما لفظا أو تقديرا وهما:

العنصر الأول: يسمى بالمشبه، وهو ما يراد إشراكه في الصفة أو إعطاؤه التأثير النفسي الذي ثبت لغيره " [(١)].

العنصر الثاني: يسمى بالمشبه به، وهو ما اتضحت فيه تلك الصفة أو كان له ذلك التأثير النفسي والمعنى المطلوب.

وقد قسم البلاغيون الطرفين أقساما عدة على أساس ثلاث اعتبارات:

الأول: من حيث الحسية والعقلية.

والثاني: من حيث الأفراد والتركيب.

---

(١) التعبير البياني. رؤية بلاغية نقدية للكاتب شفيع السيد – القاهرة مكتبة الشباب ١٣٩٧هـ (١/ ٣٧).

والثالث: تعدد أطراف التشبيه.

١- فمن حيث الحسية والعقلية:

قسم الطرفان إلى ثلاثة أنواع: حسيين وعقليين ومختلفين.

فأما الحسيان: فهما ما يدركان بالحس أو مادتهما تدرك بإحدى الحواس الخمس البصر والسمع واللمس والذوق والشم، ولذلك يقعان في المبصرات والمسموعات والملموسات والمتذوقات والمشمومات.

فمن المبصرات كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن:٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ۝٤٩﴾ [الصافات:٤٨-٤٩]

ومن المسموعات كتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازي في قول ذي الرمة:

كأن على أنيابها كل سحرة ... صياح البوازي من صريف اللوائك[1]

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا زر

و إما عقليان: فهما ما يدركان بالعقل أو تدرك مادتهما بالعقل[1]، أو بالتأويل في رأي عبد القاهر كما في تشبيه العلم بالحياة [2] والجهل بالموت.

وإما مختلفان: أي أحدهما حسي والآخر عقلي. كما في تشبيه المنية بالسبع أو بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق الكريم[3].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٣٠). وديوان ذي الرمة طبعة: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ، وذو الرمة هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي . أبو الحارث . شاعر من فحول الشعراء امتاز بإجادة التشبيه (توفي ١١٧ هـ) الأعلام (٥/ ١٢٤).

(٢) أسرار البلاغة للجرجاني (١/ ٩٢).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٣٠).

٢-ومن حيث الإفراد والتركيب:

قسم البلاغيون الطرفين إلى أربعة أقسام:

أ-تشبيه المفرد بالمفرد:

وهو ما كان طرفاه مفردين وهو نوعان:

* غير المقيدين:

من مثل قول كعب بن زهير في مدح النبي ﷺ:

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول[(١)]

وكل من المشبه والمشبه به مفردان وغير مقيدين بأي شيء في تصوير الرسول ﷺ بالنور أو السيف.

* والمقيد: وهو ما يتعلق بمتعلق كالارتباط بالمجرور أو الإضافة أو الوصف أو الحال المتعلقة بوجه الشبه أو من القيود التي تذكر وليس لها تعلق بوجه الشبه.

والأمثلة على ذلك كثيرة مثل قول الشاعر[(٢)]:

والشمس كالمرآة في كف الأشل   لما رأيتها بدت فوق الجبل

والمشبه هنا الشمس والمشبه به المرآة والأول غير مقيد والثاني مقيد بكونها في

(١) ديوان كعب بن زهير (١/ ٦٩) وقد جمعه أبو سعيد الحسن بن الحسن العسكري، من سليسلة شعراؤنا نشرته دار الكتاب العربي ١٤٢٣ هـ. وكعب هو: ابن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له " ديوان شعر " كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الاسلام هجا النبي صلى الله عليه وآله وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه " كعب " مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول " فعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وخلع عليه بردته. الأعلام (٥/ ٢٢٦).

(٢) ديوان الشماخ بن ضرار (١/ ١٠٦).

كف الأشل[1] والوجه الحركة بينهما.

ب-تشبيه المركب بالمركب:

وذلك أن يكون الطرفان كثرتين مجتمعتين [2]، أو هيئة حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا [3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١]، في تصوير الكفار بالحمير في الاتصاف بالصمم والبكم والنعق بما لا يعي.

ج- تشبيه المفرد بالمركب:

وفيه يأتي المشبه مفردا والمشبه به مركبا من عدة أمور مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور:٣٩].

والمشبه هنا أعمال الكافرين وهو مفرد، ولكن المشبه به مركب من هيئة السراب في الفلاة في وقت الظهيرة وكأنه يجري كالماء. ووجه الشبه حالة أعمال الكافرين التي لا تفيد صاحبها وشبهها في عدم إفادتها بالسراب.

د- تشبيه المركب بالمفرد:

وهو أن يكون المشبه مركبا والمشبه به مفرد وذلك مثل قول أبى تمام[4]:

يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٢٨).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٤٨).

(٣) أسرار البلاغة (١/ ١٩٥).

(٤) شرح ديوان أبي تمام (١/ ١١٧) لأبي بكر الصولي وزارة القافة والفنون ببغداد ١٣٧٨هـ. وأبو تمام هو حبيب بن أوس بن الشاعر المعروف من أهل الأندلس (ت٢٣١هـ)، الأعلام (٢/ ٨٦).

تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

فالمشبه هو هيئة النبات صار لونه أسودا من كثرته وتكاثفه وشدة خضرته فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر و أحال النهار إلى تلك الصورة، والمشبه به وهو القمر بضوئه الخافت.

٣- تعدد الطرفين:

ينقسم الطرفان في حالة تعددهما إلى أربعة أقسام:

ملفوف، وغير ملفوف، وتشبيه التسوية، تشبيه الجمع.

أ- الملفوف: وهو أن يجمع كل طرف منهما مع مثله كجمع المشبه مع المشبه والمشبه به مع المشبه به بطريق العطف من مثل قول امرئ القيس(١):

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

فلقد لف (جمع) الشاعر بين قلوب الطير الرطبة واليابسة معا في مقابل جمع (لف) المشبه به وهو العناب والحشف البالي وذلك بطريق العطف.

ب-غير الملفوف (المفروق) وهو أن يأتي كل مشبه ومعه المشبه به المقابل مثل قول المرقش الأكبر (٢):

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم(٣)

ففي البيت كل مشبه قرن به المشبه به الخاص به.

---

(١) ديوان امرئ القيس (١/ ٢١٢).

(٢) معاهد التنصيص (١/ ١١٨) والمرقش الأكبرهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان. وكان يحسن الكتابة.وشعره من الطبقة الاولى، ضاع أكثره.توفي ٧٥ ق.هـ. الأعلام (٥/ ٩٥).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٨٨).

ج- تشبه التسوية: وهو ما تعدد فيه المشبه دون المشبه به مثل قول الشاعر:

صـــدغ الحبيــــب وحـــالي   كلاهمـــــا كالليالـــــــي
وثغـــــره فـــــي صفـــــاء   وأدمعـــــي كــــــاللالي[1]

فالمشبه متعدد صدغ الحبيب وحال الشاعر والمشبه به واحد هو الليالي.

د- تشبيه الجمع:

وهو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١]، فقد تعدد المشبه به دون المشبه.

ثانيا: وجه الشبه:

هو المعنى الذي يشترك في طرفا التشبيه[2]، وقد استقر تقسيم وجه الشبه عند البلاغيين إلى عدة أقسام هي:

١-التحقيق والتخييل.

٢-الخروج عن الطرفين أو عدم الخروج.

٣-بمنزلة الواحد والمركب والمتعدد.

٤-التمثيل وغير التمثيل.

٥-الإجمال والتفصيل.

٦-القريب والبعيد والبليغ.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٨٩). وذكره صاحب معاهد التنصيص (١/ ٦٥) وقال لا أعرف قائله.

(٢) أسرار البلاغة (١/ ٣٣).

١-التحقيق والتخييل:

يعني التحقيق وجود وجه الشبه في الطرفين حقيقة كتشبيه الخد بالوردة، ويعني التخييل عدم وجود وجه الشبه في المشبه به إلا على سبيل التأويل والتخييل [١] ؛ فهو ليس موجودا إلا بالتأويل والتفكر وذلك كقول القاضي التنوخي[٢]:

وكأن النجوم بين دجاها ... سنن لاح بينهن ابتداع

فوجه الشبه في هذا البيت هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء بيض مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل، كما أن النور يقابل الظلمة " [٣].

٢- الخروج عن الطرفين أو عدم الخروج:

ووجه الشبه قد يكون غير خارج عن حقيقة الطرفين أي يكون من نوعهما جنسا ونوعا وغيره أو خارج عن حقيقتهما.

فالأول: أن يكون غير خارج عن حقيقة الطرفين ويدل على تمام حقيقتهما كما في تشبيه الحيوان الأعجم بالإنسان الذي تدنى لمرتبة الحيوان [٤]، وذلك كالمثال: زيد

(١) موجز البلاغة للطاهر ابن عاشور (١/ ٣١).

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي (٢/ ٥٠) والقائل هو أحمد بن إسحاق بن بهلول بن حسان، أبو جعفر التنوخي: عالم بالادب والسير، له اشتغال بالتفسير والحديث،.وهو من كبار القضاة.ولد بالانبار، وولي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة توفي ٣١٨هـ.الأعلام (١/ ٩٥).

(٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص(٢/ ١٠)، وهو من تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت عالم الكتب ، تصويرا عن المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٩٤٧م.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة (٤/ ٣٨).

كالفرس في الحيوانية أو كعمرو في الإنسانية [١].

والثاني: وهو وجه الشبه الخارج عن حقيقة الطرفين، وقد يدل على أي معنى قائم بهما وهي صفة حقيقية أو إضافية أو الحقيقية وهو نوعان حسية في مما يدرك بالحواس المتعلقة بالبصر والسمع والشم والتذوق، وقد يدل على صفة عقلية كالكيفيات النفسية كالذكاء والفطنة والعلم والقدرة والكرم والسن وغيرها.

٣- الواحد والمركب والمتعدد:

ووجه الشبه الواحد: إما حسي و إما عقلي:

فوجه الشبه الحسي كإدراك معنى الحمرة بالحناء.

ووجه الشبه الواحد العقلي مثل تصوير العلم م كالنور أو تصوير العطر بخلق الكريم.

ووجه الشبه المركب هو هيئة حاصلة من طرفين ووجه الشبه يتركب من أكثر من صفة وهو نوعان حسي وعقلي:

فمثال الحسي الطرفين وطرفاه مفردان ووجه الشبه مكون من هيئة حاصلة من حمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص كقول ذي الرمة:

وسقط كعين الديك عاورت ... إياها وهيأنا لموقعها وكرا [٢]

فهنا يصور الشاعر السقط وهي النار التي تسقط من الزند مثل عين الديك وهي حمراء وتلقي بالضوء ووجه الشبه مركب من هيئة ومقدار ولون وغيرهما فهناك هيئة حاصلة من تقارن لون أحمر في أبيض بعين الديك الحمراء في ضوئها الأبيض.

---

(١) شروح التلخيص للقزويني (٣/ ٣٣١)، بيروت دار السرور.

(٢) ديوان ذي الرمة (١/ ٧٦).

ومثال وجه الشبه المركب وطرفاه حسيان مركبان قول بشار:

كـأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا		وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

فوجه الشبه هـو هيئـة حاصـلة مـن سـقوط أجـرام سـماوية مـستطيلة متناسـبة في مقدارها متفرقة في جوانب شيء مظلم (1).

وقـد يكـون طرفـا الوجـه المركـب مختلفـان مـا بـين حـسي وعقـلي كـما في قـول الصنوبري:

كلنـــــا باســـــط اليـــــد		نحـــــو نيلـــــوفر نـــــدى

كــــــدبابيس عــــــسجد		قــــضبها مــــن زبرجــــد (2)

فالطرفان مختلفان الحسي وهو النيلوفر الندى والعقلي دبابيس العسجد.

وقـد يكـون المركـب عقليـا في قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ [النور:٣٩].

فالمشبه هو أعمال الكفار والمشبه به هو الـسراب ووجـه الـشبه عقـلي وهـو المنظـر المطمع مع الخبر المؤيس وهو على عكس ما يظن ويقدر (3).

ووجه الشبه المتعدد قد يكون حسيا أو عقليا أو مختلفا:

فالحسي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى.

والمتعـدد العقـلي كحـدة النظـر وكـمال الحـذر و إخفـاء الـسفاد في تـشبيه طـائر بالغراب.

---

(١) ديوان بشار بن برد جمع وشرح الطاهر بن عاشور الشركة التونسية للتوزيع ١٣٩٦هـ.

(٢) الإيضاح (٤/ ٥٠).

(٣) ديوان الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي دار صادر للطباعة والنشر ١٤١٨هـ وكذلك انظر الإيضاح (٤/ ٦٣).

٤- التمثيل وغير التمثيل:

رأى البلاغيون المتأخرون أن وجه الشبه التمثيلي يكون وصفا منتزعا من أمرين أو من أمور متعددة، و أضاف السكاكي إليه أن يكون غير حقيقي وذلك مثل قول ابن المعتز[1]:

اصبر على مضض الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله[2]

فالمشبه الحسود في طلبه للأمور وعدم استطاعته نوالها، والمشبه به هو النار التي لا تجد حطبا تشتعل به ووجه التشابه أن كلا منهما يأكل بعضه بعضا وهو منتزع من أمور متعددة وهي إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء ووجه الشبه غير التمثيلي ما خالف ذلك.

٥- الإجمال والتفصيل:

قد يذكر الوجه وقد يحذف ففي ذكره يعد مفصلا وفي حذفه يعد مجملا، فالمجمل ما حذف وجه الشبه فيه وذلك مثال قولك: زيد كالأسد فوجه الشبه محذوف غير مذكور أي مجمل.

والمفصل ما ذكر فيه وجه الشبه مثال ذلك قول أبي بكر الخالدي [3]:

يا شبيه البدر حسنا ... وضياء ومنالا

(١) الإيضاح (٤/ ٩٤).

(٢) ديوان ابن المعتز دار بيروت للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. عبدالله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالادب، فكان يقصد فصحاء الاعراب ويأخذ عنهم توفي ٢٩٦هـ.الأعلام (٤/ ١١٨).

(٣) الإيضاح (٤/ ٩٨).

أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا[1]

فقد عقب الشاعر بوجه الشبه فور كل تشبيه، فالمحبوبة تشبه البدر في الحسن والضياء، وتشبه الورد في اللون والنسيم في البيت الثالث فقد فصل في كل تشبيه بالمشابهة ووجهها.

٦- القريب والبعيد والبليغ:

أ) القريب هو تشبيه ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر، لظهور وجهه في بادئ الأمر [2] مثل تشبيه الشمس بالمرآة اللامعة المجلوة في استدارة كليهما و استنارتها، أو تشبيه طويل القامة بالنخلة مثلا.

ب) والبعيد هو تشبيه لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه في بادئ الرأي مثل تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل السابق[3].

ج) والبليغ: نوع من أنواع التشبيه البعيد الوجه أي الغريب مثل قول القطامي[4]:

وهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

---

(١) ديوان الخالدين ابي بكر محمد وابي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي / جمع وتحقيق سامى الدهان، دار صادر بيروت ١٩٩٢ والقائل هو أبوبكر محمد بن هاشم بن وعلة الخالدي: شاعر أديب، من أهل البصرة. اشتهر هو وأخوه (سعيد) بالخالديين.وكانا من خواص سيف الدولة ابن حمدان. وولاهما خزانة كتبه. توفي أبوبكر سنة ٣٨٠ (الأعلام ٧/ ١٢٩).

(٢) الإيضاح (٤/ ١٠٠).

(٣) الإيضاح (٤/ ١١٠).ديوان القطامي (١/ ٢٧) ديوان القطامي تحقيق د. إبراهيم السامرائي- أحمد مطلوب- دار الثقافة- بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٠. عمير بن شييم بن عمرو بن عباد ، من بني جشم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي: شاعر غزل فحل.كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم توفي ١٣٠هـ..الأعلام (٥/ ٨٨).

(٤) الإيضاح ٤/ ١١٩).

فوجه الشبه بعيد وغريب بين محبوبات يرمين غيرهن مما يصبن به وبين العطشان الذي يصل إلى المياه مع حذف الوجه والأداة.

۞ ثالثا: أداة التشبيه:

تتنوع أداة التشبيه بين الحرف والاسم والفعل فقد ترد حرفا كالكاف كما في: " زيد كالأسد " وكان كما في " زيد كأنه الأسد "، ومن الأسماء: مثل، ونحو، شبه، ومن الأفعال يشابه ويضاهي ويماثل، وهي تتوسط بين المشبه والمشبه به.

وينقسم التشبيه عند البلاغيين المتأخرين باعتبار الأداة إلى نوعين: مؤكد و مرسل [(١)].

فالمؤكد هو ما حذفت منه الأداة مثل قول الحماسي: [(٢)]

هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهم بهم

فالأداة هنا محذوفة والتشبيه مؤكد.

والمرسل هو ما ذكرت فيه الأداة مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧].

والمرسل ينقسم إلى قسمين مجمل ومفصل كما تقدم [(٣)].

---

(١) الإيضاح (٤/ ١٢٥).

(٢) كتاب الصناعتين (٢/ ١٩٣).

(٣) وهذا التقسيم هو المعمول به في هذا البحث لوضوحه وسهولة استخراج أمثلته من الآيات..

المبحث الثالث
أغراض التشبيـــه[1]

ربط المتأخرون من البلاغيين الغرض بالمشبه أو المشبه به، وفرعوا منهما أغراضا متعددة.

ففي حالات: يكون الغرض من التشبيه مقصودا به بيان وجود المشبه أو بيان حاله أو بيان مقدار حاله أو تقرير حاله أو تزيينه أو تقبيحه أوتشويهه أو استطرافه، وإليك تفصيل ذلك:

١- بيان وجود المشبه مثل قول أبي الطيب المتنبي[2]:

فـإن تفـق الأنـام وأنـت مـنهم ... فـإن المـسك بعـض دم الغـزال

وهو يريد إثبات وجود الممدوح، وإثبات خلوه من الأوصاف الغير صحيحة.

٢- بيان حال المشبه وهو في مثل تشبيه مصباح بمصباح آخر في الإضاءة أو تشبيه ثوب بثوب آخر في اللون أو الحجم وكان اللون أو الحجم معلوماً ومثاله قوله تعـــالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس:١٢].

٣- بيان مقدار حال المشبه في القوة والنقص والضعف والزيادة كقول حبيب الطائي[3]:

مـــداد مثـــل خافيـــة الغـــراب ... وقرطـــاس كرقـــراق الـــسحاب

ففي الشطر الأول يبين مقدار حال المداد وذلك أنه أسود جدا مثل خافية الغراب فمقدار السواد شديد للغاية وذلك لأن خافية الغراب وهي الريشات العشر

---

(١) الإيضاح (٤/ ٦٨).

(٢) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (٣/ ٢٠).

(٣) ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (١/ ٩٣).

في مقدم الجناح وهي شديدة السواد.

٤- تقرير حال المشبه في نفس السامع كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف:١٧١].

ومعنى الآية الكريمة: اذكر حين اقتلعنا جبل الطور ورفعناه فوق رءوس بني إسرائيل وكأنه في ذلك سقيفة أو ظلة غمام وفيه قررت الآية ما لم تجريه العادة وهو اقتلاع الجبل بما جرت به العادة وهو رفع السقيفة أو تظليل الغمام.

٥- تزيين المشبه للترغيب فيه مثل قول أبي الحسن الأنباري في مصلوب[(١)]:

مددت يديك نحوهم احتفاء   كمدهما إليهم بالهبات[(٢)]

والشاعر هنا يشبه مد ذراعي المصلوب على الخشبة والناس حوله بمد ذراعيه بالعطاء للسائلين أيام حياته، والغرض تزيين وتحسين ما أجمع الناس على قبحه.

٦- تشويه المشبه للتنفير منه كما في قول ابن الرومي[(٣)]:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير

ويشير ابن الرومي إلى غرضي التزيين والتقبيح في تشبيه عسل النحل بالمجاج

---

(١) البلاغة الواضحة القاهرة دار المعارف ١٣٩٧هـ. علي الجارم ومصطفى أمين.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان (٤/ ٧٨)، وهي للشاعر محمد بن عمر بن يعقوب، أبو الحسن ابن الانباري: شاعر مقل، من الكتاب. كان أحد العدول ببغداد. وكان صوفيا واعظا. اشتهر بقصيدته في رثاء الوزير (ابن بقية) وهذا البيت منها توفي ٣٩٠هـ الأعلام (٦/ ٣١٢). وابن خلكان هو أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المؤرخ الحجة، والاديب الماهر، صاحب (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما توفي ٦٨١هـ. الأعلام (١/ ٢٢٠).

(٣) ديوان ابن الرومي (٢/ ١٥١) دار الأرقم الطبعة الأولى ١٤٢١هـ. وابن الرومي هو علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن: شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الاصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموما ٢٨٣هـ. الأعلام (٤/ ٢٩٧).

وهو الريق للتزيين فيه وفي تشبيه عسل النحل آياً بقيء الزنانير وهو ذباب اليم اللسع للتقبيح له.

٧- استطراف المشبه وبيان طرافته وغرابته كما في قول ابن المعتز:

ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

فقد صور الشاعر اللازوردية (وهي البنفسج الشبيه بحجر اللازوردي لكونه على لونه زرقاء يفوق جمالها الياقوت الأحمر وصورها فوق أعوادها الضعيفة بالنار المشتعلة في أطراف الكبريت، وهي صورة نادرة الحضور في الذهن وحضورها مع صحة الشبه استطراف).

والشاهد فيهما: كون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها في الذهن عند حضور صورة البنفسج، فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فإنه أراك شبها لنبات غض يرف، وأوراق رطبة من لهب نار، استولى عليه اليبس، ومبنى الطبائع على أن الشئ إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أكثر، وهي بالشغف به أجدر [1].

وفي حالة المشبه به: قد يكون الغرض:

١ - إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه وذلك في التشبيه المقلوب وهو تشبيه معكوس تحول فيه المشبه إلى مشبه به وبالعكس تحول المشبه به إلى مشبه كما في قول محمد بن وهيب[2]:

---

(١) معاهد التنصيص (٢/ ٥٦).

(٢) ديوان ابن وهيب (١/ ٥٥) محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر: شاعر مكثر، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح، ويتشيع، وله مراث في أهل البيت توفي =

وبـــدا الـــصباح كـــأن غرتـــه وجـــه الخليفـــة حـــين يمتـــدح

قد أراد الشاعر إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء فقلب طرف التشبيه فأصبح مشبها وهو في الأصل مشبه به وأصبح وجه الخليفة مشبها به وفي الأصل مشبه [1].

٢- بيان الاهتمام بالمشبه به وهو ما يسمى إظهار المطلوب كما في قول ابن المعتز[٢]:

و كـأن الـشمس المنـيرة بـه دينـا رجلتـــه حدائـــد الـــضراب

وفيه يبين اهتمامه بالمشبه به وهو الدينار أصلا في تشبيه الشمس المنيرة بالدينار الذي خرج من تحت يد صانعه و سابكه.

٢٢٥هـ. الأعلام (٧/ ١٣٤).

(١) معاهد التنصيص (٢/ ٥٩).

(٢) ديوان ابن المعتز (١/ ١٤٢).

المبحث الرابع
مفهوم أثر التشبيه القرآني

المقصود بأثر التشبيه القرآني وهو ما يمكن أن يضيفه التشبيه القرآني الكريم من صور بديعة تكسوا المعنى المراد رونقاً وجمالاً فيكون وقعه في النفوس أبلغ وتأثيره في القلوب أكبر، بل إن التشبيه يرتقي بالبيان ليبلغ به منزلة عظيمة تستميل قلوب السامعين حتى يخيل إليهم من حسنه أنه سحر.

ولهذا لما أعجب الناس بالبيان الجميل سماه النبي ﷺ سحراً كما في الحديث الصحيح عن ابْنِ عُمَرَ قال: "جَاءَ رَجُلانِ مِنْ الْمُشْرِقِ فَخَطَبَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا".[1]

قال ابن حجر ~ عند شرح الحديث: وَالْبَيَان نَوْعَانِ، الأَوَّل مَا يُبَيِّن بِهِ الْمُرَاد، وَالثَّانِي تَحْسِين اللَّفْظ حَتَّى يَسْتَمِيل قُلُوب السَّامِعِينَ. وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي يُشَبَّه بِالسِّحرِ، وَالْمَذْمُوم مِنْهُ مَا يُقْصَد بِهِ الْبَاطِل، وَشَبَّهَهُ بالسِّحر لأَنَّ السِّحر صَرْف الشَّيْء عَنْ حَقِيقَته.

إلى أن ذكر كلام صَعْصَعَة بْن صُوحَان حيث قال: صَدَقَ رَسُول الله ﷺ، الرَّجُل يَكُون عَلَيْهِ الْحَقّ وَهُوَ أَلْحَن بِالْحُجَّةِ مِنْ صَاحِب الْحَقّ فَيَسْحَر النَّاس بَيَانه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب إن من البيان لسحرا انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٣٧)، وأبو داود في سننه (٤٣٥٤)، وأورده الحاكم في مستدركه على الصحيحين(٦٦٤٦)، وأسوق هنا لفظ الحاكم لأن فيه بيان لما قاله الرجلان فقد ذكره بسنده إلى أبي بكرة، قال: كنا عند النبي ﷺ فقدم عليه وفد بني تميم فيهم قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر، فقال النبي ﷺ لعمرو بن الأهتم: ما تقول في الزبرقان بن بدر، فقال: يا رسول الله، مطاع في ناديه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان: يا رسول الله والله إنه ليعلم مني أكثر مما وصفني به ولكنه حسدني، فقال عمرو: والله يا رسول الله، إنه ذامر المروءة، ضيق العطن، لئيم الخال، أحمق الموالد، والله ما كذبت أولا، ولقد صدقت آخرا، ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، فقال النبي ﷺ: « إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما».

فَيَذْهَب بِالْحَقِّ.[1]

ولاشك أن التشبيه يسهم إلى حدٍ بعيد في إقناع الناس بالحق.

ولأن القرآن كتاب هداية للبشرية وكتاب رحمة، فإنه ينوع أساليب البلاغة والبيان من أجل الوصول للمقصود وهو أن يقتنع الخلق بالحق فيتبعوه وتنكشف لهم سوءة الباطل فيجتنبوه، ولهذا تجد الآية الكريمة تارة تفتتح بقسم وتارة باستفهام وأخرى تأتي على هيئة تشبيه وأخرى على سبيل الاستعارة، كل ذلك وغيره من أجل تقرير الحقيقة المرادة التي يسعى القرآن إلى لفت انتباه السامع لها ويسعى من ثم إلى تقريرها في النفوس.

وبالمثال يتضح المقال، فلو أن القرآن مثلا اكتفى بالإخبار عن الدنيا أنها زائلة وأن الله قادر على أن يغير فيها ما يشاء، لفهم هذا المعنى ولكنه لا يبلغ في النفوس معشار ما بلغت الآية الكريمة حيث يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:٢٤].

ولست بحاجة إلى أن تعيد النظر في الآية لتقف على الفرق الكبير بين المعنيين والبون الشاسع بين العبارتين من حيث جمال العبارة ووضوح الفكرة وسهولة وصول المعنى المراد إلى النفس.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر(١٤/ ٤٠٨). تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ومحب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، وابن حجر العسقلاني هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالادب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للاخذ عنه وأصبح حافظ الاسلام في عصره (ت٨٥٢هـ)، وانظر ترجمته: الأعلام (١/ ١٧٨).

لقد أضفى هذا التشبيه الرائع على المعنى المراد صورة عظيمة تهتز لها النفوس وتأخذ بشغاف القلوب فلا يملك البيان إلا أن يخر ساجدا في محراب الإعجاز البلاغي القرآني.

إن هذا التشبيه درس وجداني مؤثر يصل إلى المشاعر مباشرة فيتنقل بها في جنبات الصورة ويخرجها من حيزها الضيق وينطلق بها إلى أقطار الكون الرحبة فيختصر هذه الحياة الدنيا التي يتنافس فيها الناس ويتكالبون على ما فيها من زخرف وأدناس، فيصورها في نبتة تفتحت وازدانت من المطر فلما غدت أجمل ما يكون وأبهج ما يُنظَر، وفرح أصحابها بها، أرسل الجبار إليها أمره النافذ فإذا بها في لحظة خاطفة وبكلمة خاطفة (حصيداً) يابساً بعد الخضرة والنظرة.

فأي أسلوب أروع وأي بيان أجمل، إنه الإعجاز في الإيجاز، إنها بلاغة القرآن وكفى.

وبالجملة فإنه يمكننا القول أن للتشبيه آثاراً خاصة لكل تشبيه يمكن للمتأمل أن يستخرجها من التشبيه نفسه وذلك بمعونة السياق والقرائن وبما يتضمنه التشبيه من المفردات وكذلك بمقارنة التشبيه بما قد يشابهه من تشبيهات وأمثلة في موطن آخر..

وللتشبيهات آثار عامة ومشتركة في معاني الآيات، وهذه الآثار غالباً ما توجد في كل تشبيه بلا استثناء ومنها:

١) إبراز المعنى المراد في أجمل صورة لتكون أشد تأثيراً في النفوس وأعظم وقعاً في القلوب و بالتالي تكون أدعى للقبول.

٢) التشبيه يكون فيه غالباً زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى.

٣) لا يكاد يخلو تشبيه من صيغة مبالغة أو توكيد وهذا يعزز المعنى ويقويه.

٤) يساعد التشبيه أحياناً في ترجيح قول على الآخر ومن أمثلة ذلك ما أفاده التشبيه في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧]، فالتشبيه هنا أفاد أن الدخول الثاني مثل الدخول

الأول بما فيه من قتل وتدمير وإهلاك وأنهم دخلوه بالسيف والقهر والغلبة والإذلال، وهذا يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب [1].

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس:٢٧]، ففي الآية قولان للمفسرين:

الأول: أن المقصود هم الكفار خاصة.

والثاني: أنهم أصحاب المعاصي عموماً.

فيأتي تشبيه وجوههم بقطع الليل المظلم لسوادها، ليرجح القول الأول خصوصاً إذا ما أضيف إليه الآيات الأخر التي ذكرت سواد الوجوه في سياق الكلام على الكفار مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ [آل عمران:١٠٦].

٥) التشبيه أبلغ في بيان الحجج وإقامتها وأوضح في تثبيت الحقيقة التي يسعى القرآن إلى تقريرها في النفوس.

٦) يبرز التشبيه الأمر المعقول في صورة المحسوس ليقربه للأذهان ولتوضيح الحقائق المقصودة.

٧) يحتوي التشبيه صوراً بديعة من البلاغة وحسن المنطق وجمال النظم تتسلل إلى القلوب وتسري في النفس كما يسري فيها النَفَس، ولا يزال هذا البيان يترقى بالروح ويسموا بها شيئاً فشيئاً حتى تتشوف لمعرفة المعنى المراد، فإذا أدركته عانقته وتلبست به فتمكن منها أيما تمكن فقبلته وأذعنت له، بل أحبته وتشبثت به، وهذا هو المقصود الأعظم لأي تشبيه ألا وهو تقرير الحقيقة المرادة وتثبيتها في نفس المخاطب.

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٠، ١١)، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

القسم الثاني

القسم الثاني

تحليل التشبيهات القرآنية

وفيه عشرون مبحثًا :

بعدد وترتيب السور في المصحف من أول سورة (يونس) إلى آخر سورة (العنكبوت)

(يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، النحل ، الإسراء، الكهف ، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان ، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت)

المبحث الأول: التشبيهات القرآنية في

سورة يونس

وعددها (١١) تشبيهًا

الآية الأولى: ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس:١١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مؤكد مجمل " بليغ "[1] والشاهد في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ .

المشبه: تعجيل الله الشر للناس من عذاب ونحوه.

المشبه به: تعجيل الخير والإمهال والإمداد بالنعم.

أداة التشبيه: محذوفة والتقدير " كما نعجل لهم " فاستغنى عن أداة التشبيه بذكر المصدر "استعجالهم".

وجه الشبه: السرعة في إجابة الدعاء.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

قد يبدو في ظاهر الآية أنها ليست تشبيها بالمعنى الذي يقصده البلاغيون لأنها لا تشير إلى مشاركة أمر لأمر آخر في معنى بشكل فيه تصوير ؛ لكن بتأمل الآية نجدها تشير إلى حالتين متشابهتين هما: حالة تعجيل الناس الشر، وحالة استعجال الخير ؛ ولذلك يستخدم القاسمي في وصف التشابه كلمة مثل في قوله: " ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ وهم الذين لا يرجون لقاءه تعالى لكفرهم ﴿ٱلشَّرَّ﴾ أي: الذي كانوا يستعجلون به، فإنهم كانوا يقولون: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال:٣٢] ونحو ذلك ﴿ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: تعجيلا مثل استعجالهم الدعاء بالخير ﴿لَقُضِيَ

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٧).

إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ " [1] وفي هذا البحث نميل إلى رأي المفسرين في التشبيه أكثر مع عدم إغفال إشارات البلاغيين وقواعدهم التي استخرجوها من المفسرين.

تفسير الآية الكريمة:

هذه الآية معطوفة على الآية السابعة من هذه السورة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس:٧] الآية بدليل أنه ختم هذه الآية بقوله ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، فلما ذكر العذاب الذي سيصيرون إليه ناسب أن يبين لهم هنا سبب تأخير العذاب عنهم في الدنيا.

وللمفسرين في الآية أقوال خلاصتها:

الأول: ولو يعجِّل الله للنَّاسِ الشرَّ إذا دَعَواْ على أنفسهم عند الغضب وعلى أهليهم، واستعجلوا به، كما يعجِّل لهم الخير لهلكوا، قال مجاهد في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: "اللهم لا تبارك فيه والعنه"[2]، وقد ارتضى ابن القيم هذا الرأي، وبين أنه رأي السلف [3].

(١) تفسير محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ١١)، تحقيق أحمد بن علي وحمدي صبح القاهرة دار الحديث ١٤٢٤هـ.

(٢) ذكره ابن جرير الطبري (٣١٠هـ): جامع البيان. تحقيق: أحمد شاكر بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ (١٥/ ٣٤) بأسانيد مختلفة عن مجاهد وهو ابن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس توفي عام ١٠٤، (الأعلام) (٥/ ٢٧٨)، ورواه أيضاً عن قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري من أئمة التفسير والحديث واللغة توفي عام ١١٨هـ، الأعلام (٥/ ١٨٩).

(٣) انظر: بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية (٢/ ١٣١)، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد، وراجعه ونسق مادته ورتبها: صالح أحمد الشامي الرياض دار ابن الجوزي ١٤٢٧هـ، وابن قيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الاصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق توفي ٧٥١هـ، انظر ترجمته في =

والثاني: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجَّل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعُجِّل لهم قضاء آجالهم ليتعجَّلوا عذاب الآخرة.[1]

الثالث: ولو عجلنا لهم الشرّ الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لأميتوا وأهلكوا، و الشر الذي كانوا يستعجلون به هو قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال:٣٢].[2]

والناس: اسم عام لجميع الناس، ولكنه هنا متجه للمشركين على الخصوص لأنهم المستحقون للشر ويؤيد ذلك ختمه سبحانه للآية بقوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وذُكر في جانب الشر ﴿يُعَجِّلُ﴾ ليدل على أي قدر يفهم منه التعجيل، وعبر عن تعجيل الله الخيرَ لهم بلفظ ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ بزياد السين والتاء لغير الطلب ليفيد المبالغة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح:٧].

والأجل: المدة المعينة لبقاء قوم.

﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي لأهلكوا ولم يمهلوا، لكن لا يعجل لهم الشرّ، ولا يقضي إليهم أجلهم، فنذرهم الخ: أي فنتركهم ونمهلهم.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الفاء عاطفة، والمعنى فإذا انتفى التعجيل فنحن نترك الذين لا يرجون لقاءنا في المدة المحددة والأجل المعدود لهم بتأخير العذاب عنهم ليتلبسوا بطغيانهم.

= الأعلام (٦/ ٥٦).

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٢) بيروت المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير. (٢/ ٦٠٣)، للشوكاني نقله عن القرطبي في تفسيره للآية قال: هو قول النضر بن الحارث.

وقرأ الجمهور ﴿لَقُضِيَ﴾ بالبناء على ما لم يسم فاعله ورفعِ ﴿أَجَلُهُمْ﴾ على أنه نائب الفاعل، وقرأه ابن عامر ويعقوب بفتح القاف والضاد على البناء للفاعل ونصب ﴿أَجَلَهُمْ﴾ والفاعل ضمير عائد على اسم الجلالة في قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ الخ.

والقراءتان صحيحتان لكن قراءة البناء على ما لم يسم فاعله أقرب لأنها قراءة الأكثر.[1]

ولأنها أليق بالسياق فهي مما يعرف بعادة الكبراء في البناء للمجهول مع ترك ما يدل على الفاعل.

والطغيان مجاوزة الحد في كل أمر، ونسبه إليهم إشارة إلى اختصاصه بهم.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ والعمه: في البصيرة كالعمى في البصر، والمعنى يتحيرون ويتخبطون، أي نتركهم يتحيرون في تطاولهم وتكبرهم، وعدم قبولهم للحق وهذا من استدراج الله لهم ليزدادوا إثما على إثمهم. قال الزمخشري ~ : "والعمه: مثل العمى، إلا أن العمى عامّ في البصر والرأي، والعمه في الرأي خاصة، وهو التحير والتردّد، لا يدري أين يتوجه. ومنه قوله: بالجاهلين العُمّه، أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق. وسلك أرضاً عمهاء: لا منار بها"[2].

وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١].

(١) وهذا اختيار ابن جرير ، جامع البيان (١٥/ ٣٦).وانظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١).

(٢) الكشاف (١/ ١٠٧).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

يتضح للمتدبر في هذا التشبيه في الآية أنه قد جاء ليقرر حقيقة عظيمة أثبتها القرآن وهي أن رحمة الله وسعت كل شيء وأن رحمته جل شأنه قد سبقت غَضَبَه(1)، وأسهم هذا التشبيه في إبراز هذا المعنى وتجليته أيما تجلية فبينت الآية أن الإنسان مجبول على العجلة في الأمور كلها وأنه ربما يدعوا بهلاك نفسه أو ماله أو من لا يحب هلاكه ثم إن الله بحكمته البالغة وسابق علمه بما ينفع الناس وما يضرهم لا يستجيب لدعائهم على أنفسهم، وبالغ في ذلك بأن حذف أداة التشبيه فكأن المشبه عين المشبه به، ثم ذكر صيغة مبالغة أخرى وذلك بذكر المصدر استعجالهم بدلا من تعجيلهم كل ذلك لتخرج لنا صورة تشبيهية بليغة مقررة تلك الحقيقة العظيمة وهي حلم الله وجهل الناس ورحمة الله وعتوا الناس.

لقد بينت الآية أن الله ﷻ لطيف بعباده وأنه سبحانه أقام نظام العالم على الرفق بالخلق ولم يجعل الخير والشر متساويين، بل قدم الخير وغلّبه وييسر سبله ودعا إليه، ودحض الشر وقلل منابعه وحلم على أصحابه، وكل ذلك من أدلة رحمته الواسعة فله الحمد، ولا أدل على ذلك من قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد:٦].

قال الطاهر بن عاشور ~ : " فبينت هذه الآية أن الرفق جعله الله مستمراً على عباده غير منقطع عنهم لأنه أقام عليه نظام العالم إذْ أراد ثَبات بنائِه، وأنه لم يقدّر توازيَ الشر في هذا العالم بالخير لطفاً منه ورفقاً، فالله لطيف بعباده، وفي ذلك منة

---

(١) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي". فتح الباري (٣١٩٤) باب ما جاء في قول الله تعالى (و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه) (٦/ ٢٨٧).

عظيمة عليهم، وأن الذين يستحقون الشر لو عُجل لهم ما استحقوه لبطل النظام الذي وضع عليه العالم"(١).

وفي التشبيه - إضافة لما تقدم - إشارة إلى ضعف الإنسان وجهله بما ينفعه وما يضره فقد يدعو العبد ويدعو، ويتمنى لو أجاب الله دعوته، بل ربما يزداد به الأمر سوءاً فيتسخط على قدر الله ويجزع لأنه لم ير إجابة لدعوته، ولو كشف الله له الحجب وأطلعه سبحانه على ما قد يلحقه من ضرر فيما لو أجيبت دعوته لحمد الله أن لم تجب تلك الدعوات، فلله الحكمة البالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفيه أن الخير كل الخير فيما يختاره الله للعبد، لا ما يختاره العبد لنفسه ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة:٢١٦]، ولذلك فقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه دعاء الاستخارة فقال: (...ثُمَّ لِيَقُلْ اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ). (٢)

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (١١/ ١٠٦).

(٢) رواه البخاري في باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢) فتح الباري (١١/ ١٨٤)، وأبو داود (١٣١٥)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٠١).

الآية الثانية: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس:١٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيهان مرسلان.

الأول في قوله تعالى: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ ﴾ ، والثاني في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾.

المشبه الأول: حال الإنسان بعد كشف الضر عنه.

المشبه به الأول: ما كان عليه من إعراض عن الدعاء قبل وقوع الضر.

أداة التشبيه الأولى: كأن.

ويشير إلى هذا التشبيه الطبري في قوله " قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الإنسان الشدة والجهد ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ ، يقول: استغاث بنا في كشف ذلك عنه ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ ، يعني مضطجعًا لجنبه. ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ بالحال التي يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ ﴾، يقول: فلما فرّجنا عنه الجهد الذي أصابه ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾، يقول: استمرَّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به، وعاد للشرك ودَعوى الآلهةِ والأوثانِ أربابًا معه. يقول تعالى ذكره: (كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون)، يقول: كما زُيِّن لهذا الإنسان الذي وصفنا صفتَه، استمرارُه على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر "[1].

(١) جامع البيان (١٥/ ٣٦-٣٧).

المشبه الثاني: عمل المسرفين المجاوزين الحد في المعصية.

المشبه به الثاني: الدعاء عند البلاء، والإِعراض عند الرَّخاء.

أداة التشبيه الثانية: الكاف.

وجه الشبه: التزيين واغترار الفريقين بحاله وما أوتي وظنه الاستغناء عن خالقه ورازقه ومالك أمره.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

۞ تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ المقصود جنس الإنسان والكفار على وجه الخصوص، "والتعريف باللام يفيد الاستغراق العرفي، أي الإنسان الكافر، لأن جمهور الناس حينئذٍ كافرون".[1]

﴿ٱلضُّرُّ﴾ اسم جنس والمراد المرض والفقر وما شابهما.

﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي في حال اضطجاعه.

﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ والمراد في كل أحواله فهذا دأب المضرور لا يفتر عن الدعاء في كل حال.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ إذا أذهبنا عنه ما به من ضر.

﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ استمرَّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وترك الشكر لربه[2].

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كما زُيّن للإنسان الدعاء عند الضرّ والإِعراض عند الرخاء، فقد زين للمسرفين الإعراض عن الله في حال انكبابهم على

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٠٩).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٣٦).

المعاصي وبعدهم عن طاعة الله.

قال ابن كثير ~ : "يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت:٥١] أي: كثير، وهما في معنى واحد؛ وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كربته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء، ثم ذم تعالى مَنْ هذه صفته وطريقته فقال: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مستثنى من ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود:١١]، وكقول رسول الله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن".[١] والتزيين إما أن يكون من الله بالخذلان، أو من الشيطان بالوسوسة، أو من النفس الأمارة بالسوء، وربما كان بعض أفراد المسلمين ممن يتناوله الخطاب في هذه الآية، كما ذكر ذلك الشوكاني حيث قال: (وهذه الحالة التي ذكرها الله سبحانه للداعي لا تختص بأهل الكفر، بل تتفق لكثير من المسلمين، تلين ألسنهم بالدعاء وقلوبهم بالخشوع والتذلل عند نزول ما يكرهون بهم. فإذا كشفه الله عنهم غفلوا عن الدعاء والتضرّع، وذهلوا عما يجب عليهم من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم، من إجابة دعائهم ورفع ما نزل بهم من الضرّ، ودفع ما أصابهم من المكروه. وهذا مما يدلّ على أن الآية تعمّ المسلم والكافر، كما يشعر به لفظ الناس، ولفظ الإنسان)[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٥٣٨): والحديث رواه مسلم في الصحيح برقم (٥٣١٨) باب المؤمن كله خير. وابن كثير هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (ت٧٧٤هـ) حافظ مؤرخ فقيه، له مصنفات كثيرة.أنظر ترجمته في كتاب الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠).

(٢) فتح القدير (٢/ ٦٠١).

ويشير الخازن في تفسيره اللباب إلى هذا التشبيه بقوله: " يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين " (١).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد أبرز التشبيهان المعنى المراد في أوضح صورة وأجلاها حيث بين ﷻ حال الإنسان عموماً في تعامله مع ربه فهو يتضرع في الضراء وينسى في السراء ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق:٦-٧].

إنها صورة مذمومة مكرورة لذلك الإنسان الذي ينسيه الرخاء ويطغيه الغنى فيتمرد إذا ما واتته الظروف وساعدته الصحة والبنون وأنس برغد العيش، وعبر بقوله "مر" وكأن فيه إشارة إلى المروق السريع فلا يلتفت إلى النعماء و أوقات الرخاء فلا شكر ولا ثناء ولا تضرع ولا دعاء(٢).

وهذا حال أكثر الناس إلا من رحم ربي، وبيّن التشبيهان أن الإنسان المسرف على نفسه قد يصل به الحال إلى أن يُزين له فيظن أن بإمكانه الاستغناء عن ربه المنعم عليه المالك لجميع أمره المتصرف في جميع شئونه، فينسى ما كان يلهج به من الدعوات في حال الضراء، وهذا من أسوأ ما يكون من سوء الأدب مع الكريم الذي لا يزال يغدق عليه النعم في حال إقباله وفي حال غفلته..

قال الفخر الرازي ~ في تفسيره مبيناً لطيفةً في وصف الكافر بالإسراف: "المسرف هو الذي ينفق المال الكثير لأجل الغرض الخسيس، ومعلوم أن لذات الدنيا

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٠/ ٣٨١)، القاهرة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥هـ.

والخازن هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الاصل، نسبته إلى " شيحة " بالحاء المهملة، من أعمال حلب توفي (٧٤١هـ) الأعلام (٥/ ٥).

(٢) هذا المعنى مأخوذ من كلام سيد قطب ~ . انظر في ظلال القرآن (٣/ ١٧٦٩).

وطيباتها خسيسة جداً في مقابلة سعادات الدار الآخرة.

والله تعالى أعطاه الحواس والعقل والفهم والقدرة لاكتساب تلك السعادات العظيمة، فمن بذل هذه الآلات الشريفة لأجل أن يفوز بهذه السعادات الجسمانية الخسيسة، كان قد أنفق أشياء عظيمة كثيرة، لأجل أن يفوز بأشياء حقيرة خسيسة، فوجب أن يكون من المسرفين".[1] إن التشبيهين في هذه الآية ليعتبان على هذا الإنسان الجاحد الذي لم يقدر الله حق قدره ولم يشكره حق شكره فيا للعجب كيف ينعم ويتفضل، يوسع في الأرزاق ويكشف السوء ويدفع الضر، ويمنح المنح ويسبغ النعم التي لا تعد ولا تحصى، ثم في لحظة غفلة عابرة ينسى العبد ذلك كله وكأنه قادر على العيش بلا رب منعم متفضل.

إن التشبيهين ليقولان لهذا الإنسان عجباً لك يا من تعصي الله بنعمه ثم تعرض عن شكره وتغفل عن دعاءه، ألا تستحي من الكريم؟ ألا تشكر الرزاق ؟ ألا تنسب المنة للمنان؟! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨].

والملاحظ أن هذا العبد كان يتضرع إلى الله في كل أحواله قائماً أو قاعداً أو على جنبه وما ذلك إلا لشدة حاجته وعظيم رغبته فيما عند الله ﷻ، وهذه الصورة تذكر بعبد آخر بضد هذا وهو العبد المؤمن الذي يدعو الله الدعاء نفسه ويذكر الله كذكر هذا بل أكثر منه وعلى الحالات نفسها، ولكنه يفعل ذلك في السراء والضراء على حدٍ سواء، ولذلك امتدح الله سبحانه من كان على هذه الشاكلة وأخبر أنهم هم أصحاب العقول الذكية والأنفس الزكية فقال عنهم:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

(١) مفاتيح الغيب (١٧/ ٤٣).

فكلا الفريقين يدعو الله ويتضرع ويتوسل قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، لكن الفرق أن الغافل الجاحد إذا أعطي سؤله نسي وأعرض، أما المؤمن الشاكر فإنه أذا أعطي سؤله ذكر فشكر، وإن أبتلي وأصيب صبر وتضرع واستمر في دعائه على كل أحواله، فيتقلب بين دعاء الشكر والعبادة ودعاء المسألة فهو أكثر عرفاناً للجميل وأعظم شكراً للمنعم وأشد حباً لله.

الآية الثالثة: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ﴾ [يونس:١٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت فيه أداة التشبيه دون وجه الشبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾.

المشبه: جزاء كفار قريش.

المشبه به: جزاء المجرمين الأول.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الهلاك.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾ الأمم الماضية.

﴿مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ من قبل أهل مكة.

﴿لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ بسبب ظلمهم وهو الشرك.

﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ قد جاءهم الرسل بالدلالات الواضحات والحجج النيرات الدالة على صدقهم.

﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ ﴾ أي الأمم السابقة.

﴿كَذَٰلِكَ ﴾ "كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسَهم، وتكذيبهم رسلهم، وردِّهم نصيحتَهم، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه

بسَخَطي في الدنيا، وأوردُه النار في الآخرة"[1].

﴿نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي من الكافرين المعاصرين للنبي ﷺ.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بين التشبيه أموراً منها:

١) أن سبب هلاك القرون الماضية هو الظلم، وأظلمه الشرك، وإن كانت بعض الآيات بالوعيد نفسه في الذنوب على وجه العموم كما قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾ [الأنعام:٦].

٢) عبر بالقرون لبيان كثرتهم وتعددهم.

٣) أن الله لم يهلكهم إلا بعد أن أرسل إليهم الرسل وأقام عليهم الحجج.

٤) في قوله ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ دليل على أن الله قد علم أنهم سيصرون على الكفر ولا فائدة مرجوة من إمهالهم.

٥) بعد هذا البيان الوافي لأسباب هلاك الأولين رغم كثرتهم ورغم إرسال الرسل إليهم، جاء التشبيه ليتهدد كل من يكذب النبي ﷺ ويصر على الجرم الكبير وهو الكفر وليقول لهم اعملوا ما شئتم، فإن الذي أهلك تلك الأمم العاتية والقرون البالية قادر على إهلاككم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [يونس:١٣-١٤].

وقال ﷻ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ [القصص:٥٨].

---

(١) انظر جامع البيان (١٥/ ٣٨)

وقـال تبـارك وتعـالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المرسلات:١٦-١٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

٦) وفي التشبيه أيضاً بيان لعدل الله سبحانه، وأنه لا يفضل أمة على أمة إلا بتقواها له سبحانه وبطاعتها له، فجزاءه العدل واقعٌ على كل من خالف أوامره وأصر على معصيته، والناس في ذلك سواء المتقدم منهم والمتأخر.

الآية الرابعة: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:٢٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تمثيلي " تشبيه مركب " حيث شبه حالة مركبة بحالة مركبة.

المشبه: الحياة الدنيا في سرعة تقضيها وتقلبها وعدم ثباتها على حال.

المشبه به: حال نبات الأرض في جفافه وتحوله إلى حطام من بعدما التف وتكاثر حتى تزينت به الأرض ففرح أهل تلك الأرض بثمارها وظنوا أنهم متمكنون من حصدها، ضرب الله زرعها ببعض العاهات أو أرسل عليها أحد أسباب الهلاك بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم فجعل زرعها شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن زرعها لم يكن في تلك الصورة البديعة.

أداة التشبيه: مثل وهي الأداة الشائعة في التشبيه المركب.

وجه الشبه: سرعة الهلاك وتحول الحال.

غرض التشبيه: تقبيح حال المشبه.

وقد توقف عبد القاهر الجرجاني أمام هذا التشبيه وأطلق عليه لفظ مثل وأنه جاء في عدة جمل، وبدت كما لو كانت جملة واحدة في قوله:" ألا ترى نحو قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كيف كثرت الجمل فيه ؟ حتى أنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت. وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معا حاصلة تشير إليها جملة واحدة، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها " (١).

(١) أسرار البلاغة (١/ ١٠٩).

وقد أشار ابن القيم ~ إلى هذا المثل وفصله تفصيلا جيدا بقوله: " شبه الله ﷻ الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه، فيميل إليها اغترارا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبهها بالأرض التي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها، ويروق منظرها للناظر فيغتر بها، ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة ؛ فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه، وتصبح يداه منها صفرا. فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس ".(1)

تفسير الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة التفاخر في الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين إذ يصير ذلك إلى الفناء كمطرٍ نزل من السماء وجاء بأداة القصر هنا لتأكيد المقصود من التشبيه وهو سرعة التقضي فأكد لينزل السامعين منزلة المنكر لانقضاء هذه الدنيا، وإن كانوا لا ينكرون تحول الدنيا في الظاهر، لكن انكبابهم عليها ولهثهم الشديد وراء زخرفها يوحي لمن يرى منهم ذلك أنهم ينكرون تقلب الدنيا واضمحلالها..

﴿فَٱخۡتَلَطَ﴾ والاختلاط: تشبثه به، وتلقفه إياه، وقبوله له، لأنه يجري له مجرى الغذاء، فتكون الباء للمصاحبة، وكل مختلطين يصح في كل منهما أن يقال: اختلط بصاحبه، فلذلك فسره بعضهم بقوله: خالطه الماء وداخله، فغذّى كل جزء منه. (2).

﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من بُر وشعير وسائر ما يأكله الناس من النبات.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ سائر العشب المرعي الذي ترعاه الأنعام.

﴿أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ أي أخذت بهجتها من النبات وتزينت بالأزهار

(1) الأمثال في القرآن (1/ 12).

(2) البحر المحيط لأبي حيان (5/ 144).

والتزين بالألوان المختلفة حتى ظهرت زينتها، وقد يجيء الزخرف بمعنى الذهب.(١)

﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ أصله: تزينت سكنت التاء لتدغم فاحتيج إلى ألف الوصل وفيها قراءات أخرى.(٢)

﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ أي تيقنوا أو غلب على ظنونهم أنهم متمكنون من تلك النباتات والثمار.

﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ الله أعلم بهذا الأمر فقد يكون الريح أوالصر أوالسموم أو ضربها ببعض العاهات ونحو ذلك.

﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ وذكر الليل والنهار لينبه أن الأمر آت فلا يؤمن في أي وقت فالخوف وزوال الأمن في كل وقت.

﴿حَصِيدٗا﴾ التالف الهالك من النبات وإن لم يهلك بحصاد وكأن الآفة حصدته قبل أوانه.

﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ﴾ أي كأن لم تنعم ولم تنضر ولم تغر بنضرتها وجمالها في الأمس القريب.

وهذه الآية يشبهها في التصوير والمعنى آيتان الأولى في سورة الكهف وهي قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف:٤٥].

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٤٣).

(٢) قال ابن جرير: " واختلفت القراء في قراءة قوله: (وازينت)، فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق: (وَازَّيَّنَتْ) بمعنى: وتزينت، ولكنهم أدغموا التاء في الزاي لتقارب مخرجيها، وأدخلوا ألفا ليوصل إلى قراءته، إذ كانت التاء قد سكنت، والساكن لا يُبْتَدأ به، ثم ذكر قراءة أخرى عن آخرين وهي أنهم قرءوا ذلك: (وَأَزْيَنَتْ) على مثال "أفعلت"، ثم رجح فقال: قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك: (وَازَّيَّنَتْ) لإجماع الحجة من القراء عليها. انظر جامع البيان (١٥/ ٥٨، ٥٩). والحق أنه ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة انظر النشر (٢/ ٢١٢).

والثانية في سور الحديد وهي قوله ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد:٢٠].

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا التشبيه من أعظم وأبدع التشبيهات في كتاب الله -وكل ما في كتاب العظيم عظيم- قال عنه الطاهر ابن عاشور ~ : "ومن بديع هذا التشبيه تضمنه لتشبيهات مفرقة من أطوار الحالين المتشابهين بحيث يصلح كل جزء من هذا التشبيه المركب لتشبيه جزءٍ من الحالَيْن المتشابهين، ولذلك أطنب في وصف الحالين من ابتدائه.

فقوله: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ شُبه به ابتداء أطوار الحياة من وقت الصبا إذ ليس ثمة سوى الأمل في نعيم العيش ونضارته، فذلك الأمل يشبه حال نزول المطر من السماء في كونه سبب ما يؤمَّل منه مِن زخرف الأرض ونضارتها.

وقوله: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ شُبه به طور ابتداء نضارة العيش وإقبال زهرة الحياة، فذلك يشبه خروج الزرع بعيد المطر فيما يشاهد من بوارق المأمول، ولذلك عطف بفاء التعقيب للإيذان بسرعة ظهور النبات عقب المطر فيؤذن بسرعة نماء الحياة في أول أطوارها. وعبر عنه بالاختلاط بالماء بحيث ظهر قبل جفاف الماء، أي فاختلط النبات بالماء أي جاوره وقارنه.

وقوله: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ وصف لنبات الأرض الذي منه أصناف يأكلها الناس من الخضروات والبقول، وأصنافٌ تأكلها الأنعام من العشب والكلأ، وذلك يشبَّه به ما ينعَم به الناس في الحياة من اللذات وما ينعم به الحيوان، فإن له حظاً في نعيم الحياة بمقدار نطاق حياته.

ولما كان ذلك قد تضمن المأكول والآكل صح أن تُشبه به رغَبات الناس في تناول لذائذ الحياة على حسب اختلاف مراتب الهمم، وذلك يتضمن تشبيه معالي

الأمور من نعم الدنيا التي تسمو إليها الهمم العوالي بالنبات الذي يقتاته الناس، وتشبيهَ سفاسف الأمور بالنبات الذي تأكله الأنعام، ويتضمن تشبيه الذين يجنحون إلى تلك السفاسف بالأنعام، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ [محمد:١٢]" [(١)].

لقد أضفى التشبيه على معنى الآية صورة منفرة للدنيا يدركها المؤمن الحصيف فلا يغتر بها وبما يبدو عليها من الزينة الظاهرة والبهرج الخادع، فكما أن ذلك الزرع الجميل الذي اكتست به الأرض حلة جميلة زاهية الألوان هلك فجأة وصار إلى زوال ودمار لما جاءه أمر ربه، فكذلك الحياة الدنيا إلى زوال وفناء..

وقد أطنب وأطال في وصف الخصب والزينة والاطمئنان حتى كأن السامع ينظر إلى ذلك المشهد الجميل وبدون حجب، فلما آن الأوان بالهلاك جاءت كلمة واحدة مقتضبة خاطفة (حصيدا) ليقول لهم: "في ومضة، وفي جملة، وفي خطفة.. - وذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان- هذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس، ويضيعون الآخرة كلها لينالوا بعض المتاع، هذه هي، لا أمن فيها ولا اطمئنان، ولا ثبات فيها ولا استقرار، ولا يملك الناس من أمرها شيئاً إلا بمقدار" [(٢)].

إنها حقيقة عظيمة وموعظة جليلة يجليها الله سبحانه لعباده المؤمنين حتى لا ينخدعوا بهذه الحياة الدنيا التي هذه حالها، فكشف عوارها وهتك أستارها وبين لخلقه أسرارها لكي لا يركنوا إليها ولا يفرحوا بملذاتها..

وهذا الجمال في التشبيه من أسرار بلاغة القرآن التي تذهل العقول وتخلب

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٤١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٧٧٥) لسيد قطب بن إبراهيم وهو مفكر مصري معاصر له مؤلفات كثيرة سجن في مصر وقتل ظلماً عام ١٣٨٧ ~ رحمة واسعة.

انظر ترجمته في: أعلام الزركلي (٣/ ١٤٧، ١٤٨).

القلوب، وتكاد لحسنها تسحر الأسماع، كما ذكر ذلك الجرجاني ~ حين قال وهو يصف التمثيل: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهَةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً، فإن كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم، وأنبلَ في النفوسَ وأعظم، وأهزَّ للعِطْف، وأسْرع للإلف، وأجلب للفَرح، وأغلب على المُمْتَدَح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرِّ المواهب المنائح، وأسْيَر على الألسن وأذكَرَ، وأولى بأن تَعْلَقه القلوب وأجدر، وإن كان ذمّاً، كان مسُّهُ أوجعَ، ومِيسَمُه ألذع، ووقعُه أشده، وَحدُّه أحَدّ، وإن كان حِجاباً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر، وإن كان افتخاراً، كان شَأْوُه أمدّ، وشَرَفه أجَدّ، ولسانه أَلَدّ، وإن كان اعتذاراً، كان إلى القَبُول أقرب، وللقلوب أخْلَب، وللسَّخائم أسلّ.." [(1)].

---

(1) أسرار البلاغة (١/ ١١٥).

الآية الخامسة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس:٢٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: " تشبيه مرسل مفصل"[(١)] ذكر فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، وذلك في قوله: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًا﴾.

المشبه: وجوه الكفار وما يعلوها من الذلة والمهانة.

المشبه به: قطع الليل المظلم حالكة السواد.

أداة التشبيه: كأنما وهي شائعة الاستعمال في التشبيه التمثيلي.

وجه الشبه: سواد الظلام الحالك في الليل وكذلك في ظلمات المعاصي والكفر.

غرض التشبيه: تقبيح حال المشبه.

ويشير إليه البغوي بقوله: " يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله إياهم...كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم " [(٢)].

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ الاسم الموصول معطوف على (الذين أحسنوا)، في الآية التي قبلها. أي وللذين ﴿كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوا المعاصي بأنواعها وأشدها جرماً الشرك والكفر وقيل أنها عامة في جميع المعاصي لكن السياق يذكر الفروق بين المحسنين والمسيئين والوعيد الشديد المذكور يناسب الكفار والمشركين فالسواد الذي يعلو الوجوه إنما هو من أوصاف الكفار كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣١).

(٢) البغوي (٣/ ١٨٧).

وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران:١٠٦].

ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس:٤٠-٤٢].

وكذلك قوله ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يشبه قوله في حق ابن نوح الذي أصر على اتباع الكافرين: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود:٤٣].

ثم إنه ختم الآية بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ والخلود في النار لا يكون إلا للكفار والمشركين.

كل ذلك يدل على أن الخطاب متوجه هنا للكفار.

﴿كَسَبُواْ﴾ وعبر بالكسب وكأنه سبحانه يذكّر ويقول: لئن كانت الدنيا تجارة وصفقات فهذا هو الكسب الذي حصله أهل الكفر في حياتهم الدنيا.

﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ فيه دلالة على عدله ﷻ وأنه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ومن يجازي بالمثل بعد الإعذار والإنذار فقد بلغ قمة العدل وهي مقابل ما في الآية السابقة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ التي تتجلى فيها رحمة الله وفضله على المؤمنين.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ ذلة عظيمة يدل على ذلك التنكير والتنوين (ذلةٌ) فهي ذلة وأي ذلة، وأسند الرهق إلى أنفسهم ولم يسنده إلى وجوههم للدلالة بأن الذلة محيطةٌ بهم غاشيةٌ لهم جميعاً، وهذه الجملة أيضاً وعيدٌ للكافرين في مقابل ما جاء من الوعد للمؤمنين في الآية السابقة ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٦].

﴿عَاصِمٍ﴾ مانع يمنعهم من الله.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾ كأنما أُلبست.

﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ بفتح الطاء جمع (قطعة)، وإسكانها أي جزءاً من الليل.

﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًا﴾ ومظلما صفة لليل أو حال عامله أغشيت.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ جملة خاتمة معرفة الطرفين فيها مؤكدات عدة أن أولئك القوم المتصفين بتلك الصفات قد استحقوا الخلود في النار.[1]

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد صور الحق سبحانه في هذا التشبيه صورة كاملة الوضوح للظلام الحسي والنفسي الذي يغشى تلك الوجوه الكافرة والتي باءت بالكرة الخاسرة، الوجوه التي ركبتها الذلة من كل مكان فكربتها وأحاطت بأصحابها خطايا غابر الزمان.

صوّر التشبيه الليل الحالك وكأنه قد قُطع إلى قطع فرقت ثم ألقيت على وجوه القوم، إنها ساحة رعب يلفها الظلام وتملأها الرهبة إذا نظرت فيها رأيت وجوه القوم الحائرة الخاسرة وقد ألبست بظلام من ذلك الليل الأليل البهيم.

قال في البحر: "لما ذكر ما أعد للذين أحسنوا وحالهم يوم القيامة ومآلهم إلى الجنة، ذكر ما أعد لأضدادهم وحالهم ومآلهم، وجاءت صلة المؤمنين أحسنوا، وصلة الكافرين كسبوا السيئات، تنبيهاً على أنّ المؤمن لما خلق على الفطرة وأصلها بالإحسان، وعلى أن الكافر لما خلق على الفطرة انتقل عنها وكسب السيئات، فجعل ذلك محسناً، وهذا كاسباً للسيئات، ليدل على أنّ المؤمن سلك ما ينبغي، وهذا سلك ما لا ينبغي".[2]

وكل ذلك التشبيه البديع والتصوير الفظيع لتلك الحال دليل على رحمة الرحمن، ذلك أنه سبحانه بيّن لنا مآل كل من صد عن سبيل الله وقارف السيئات فأقام الحجة وأظهر المحجة فله الحمد على كل حال، فليس يهلك على الله إلا هالك، وويل لمن غلبت آحاده عشراته..

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٧٣-٧٦).

(٢) البحر المحيط (٥/ ١٤٩)

وبالإضافة إلى ما أضفاه التشبيه من أثر بديع على المعنى، فإن له أثر آخر مهم وهو الإسهام في ترجيح قول من قال أن المقصود هم الكفار لا عموم العصاة وخصوصاً إذا ما قرنت الآية بما يشبهها من الآيات كآيتي آل عمران وعبس المتقدمتين في تفسير الآية، ففيهما التصريح بإطلاق سواد الوجوه على الكفار لا سواهم كما حكى ذلك أبو حيان ~ في البحر.(١)

---

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٥٠)، وفي ذلك ملحظ مهم وهو أن على المفسر عند تفسيره لآية ما أن يذكر ما شابهها من الآيات في اللفظ أو المعنى وأن يعرف أسباب النزول ثم يبنى حكمه وتفسيره بعد استيفاء ما ورد من الآيات ولا يغفل من ذلك شيئاً لأن القرآن يفسر ويصدق بعضه بعضاً.

الآية السادسة: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس:٣٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل حيث ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه.

المشبه: إحقاق الحق على غيرهم من قوله "حقت" في حال فسقهم.

المشبه به: إحقاق الحق عليهم في حالهم وما هم عليه من الفسق.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: فسقهم وهو خروجهم عن طاعة الله التي أخرجتهم من دائرة الإيمان.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

ويشير أبو جعفر الطبري ~ إلى نوعية التشبيه بقوله: " يقول تعالى ذكره: كما قد صُرِف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، يقول: وجب عليهم قضاؤه وحكمه في السابق من علمه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾، فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يقول: لا يصدِّقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه ﷺ" [1].

ويشير ابن كثير ~ إلى التشبيه بين حالتهم وحالة مستحق العذاب بقوله: "وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بتوحيده؛ فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار، كقوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ

(١) جامع البيان (١٥/ ٨٥).

ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ [الزمر:٧١]" [1].

تفسير الآية الكريمة:

قال الطاهر ابن عاشور عن تشبيه يشبه هذا التشبيه وهو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وما يماثله وهو كثير جداً في القرآن: "والتحقيق عندي أن أصل: (كذلك) أن يدل على تشبيه شيء بشيء والمشبه به ظاهر مشار إليه أو كالظاهر ادعاءً، فقد يكون المشبه به المشار إليه مذكوراً مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ [هود:١٠٢] إشارة إلى قوله: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [هود:١٠١] الآية.

وكقول النابغة:

فأَلْفَيْــتُ الأَمانــةَ لم تَخُنْهــا كــذلك كــانَ نــوحٌ لا يَخُــون [2]

وقد يكون المشبه به المُشارُ إليه مفهوماً من السياق فيحتمل اعتبار التشبيه ويُحتمل اعتبار المفعوليَّة المطلقة كقولِ أبي تمَّام:

كَذا فليجلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدحَ الأَمْر فليس لعين لم يفض دمعُها عُذر [3]

وقد يكون مراداً منه التنويه بالخبر فيجعل كأنه مما يروم المتكلم تشبيهه ثم لا يجد إلاّ أن يشبهه بنفسه وفي هذا قطع للنظر عن التشبيه في الواقع، ومثله قول أحد شعراء فزارة في الأدب من "الحماسة":

كذاك أُدِّبْت حتى صار من خُلُقي أني رأيتُ مِلاكَ الشِّيمة الأدبا"

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٧).

(٢) ديوان النابغة الذبياني (١/ ٢٢٢). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة دار المعارف ١٤١٠هـ،و النابغة الذبياني هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى (ت١٨ قبل الهجرة)، الأعلام (٣/ ٥٤).

(٣) ديوان أبي تمام (٤/ ٧٩).

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أن أولئك القوم قد صدوا عن الإيمان وصرفوا عنه.

﴿حَقَّتْ﴾ وجبت.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ الكلمة هي العذاب أو قوله سبحانه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾، أو ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَسَقُوٓاْ﴾ أي كفروا.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بعلم الله تعالى الذي قضاه فيهم بأنهم لا يؤمنون وعدم الإيمان هذا أوجب لهم العذاب.

ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر:٧١].(١)

(١) التحرير والتنوير سورة البقرة تفسير الآية ١٤٣ بتصرف، (٢/ ١٥).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

من آثار هذا التشبيه في تفسير الآية أنه أوضح جانباً من عدل الله سبحانه فإنه سبحانه لا يعذب أحداً إلا بما يستحق، فهؤلاء القوم جاءتهم الآيات فكذبوها وأتتهم النذر فتجاهلوها ونصبت لهم البراهين فأعرضوا عنها، فكان عاقبتهم أن جازاهم الله بما يستحقون وهو إخراجهم من دائرة الإيمان ومن حرم الإيمان فقد حرم.

حرموا الإيمان بسبب فسقهم وهو خروجهم عن طاعة مولاهم سبحانه، فوجبت لهم عقوبة الإخراج من الإيمان والجزاء من جنس العمل. فهو سبحانه لم يحرمهم الإيمان ابتداء ولكن ذلك باختيارهم هم..قال في الظلال: "لا لأنه يمنعهم من الإيمان. فهذه دلائله قائمة في الكون، وهذه مقدماته قائمة في اعتقادهم. ولكن لأنهم هم يحيدون عن الطريق الموصل إلى الإيمان، ويجحدون المقدمات التي في أيديهم، ويصرفون أنفسهم عن الدلائل المشهودة لهم، ويعطلون منطق الفطرة القويم فيهم"(1).

حرموا الإيمان في الدنيا فحرموا بذلك أعظم اللذات وهي الأنس بالله والتلذذ بمناجاته ورقي الروح وسموا النفس في درجات الرفعة والقربى إلى الله، وعوقبوا بالإخلاد إلى الشهوات العاجلة نظير كفرهم بالآيات وما ينتظرهم في الآجلة أشد وأخزى..

ومن يحرم الإيمان في الدنيا فإنه يحرم ما يترتب عليه في الآخرة من النعيم المقيم، بل ويصير إلى العذاب الأليم فيجتمع عليه عذابا الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

(1) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٨٣).

الآية السابعة: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٩﴾ [يونس:٣٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل حيث ذكرت الأداة ووجه الشبه، في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

المشبه: تكذيب المشركين بالقرآن.

المشبه به: تكذيب الأمم السابقة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التكذيب المتسرع دون علم.

غرض التشبيه: تقبيح حال المشبه.

ويوضح ابن عاشور التشبيه بعناصره في قوله: " والإشارة ب﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى تكذيبهم المذكور، أي كان تكذيب الذين من قبلهم، والمراد بالذين من قبلهم الأمم المكذبون رسلهم كما دل المشبه به" (1)

تفسير الآية الكريمة:

ويفسر الطبري ~ الآية بقوله: " يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين يا محمد، تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ممَّا أنزل الله عليك في هذا القرآن، من وعيدهم على كفرهم بربهم﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ، يقول: ولما يأتهم بعدُ بَيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعّدهم الله في هذا القرآن ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ، يقول تعالى ذكره: كما كذب هؤلاء المشركون، يا محمد، بوعيد الله، كذلك كذّب الأمم التي خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٧٣).

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر، يا محمد، كيف كان عُقْبى كفر من كفر بالله، ألم نهلك بعضهم بالرجفة، وبعضهم بالخسْف وبعضهم بالغرق ؟ يقول: فإن عاقبة هؤلاء الذي يكذبونك ويجحدون بآياتي من كفار قومك، كالتي كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الأمم، إن لم ينيبوا من كفرهم، ويسارعوا إلى التوبة ".[1]

وهو ما يعقب عليه ابن كثير ~ بقوله: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ كذبوا بالقرآن ولم يتأنوا حتى يتدبروه وإنما تكذيب مكابرة ومعاندة، قال ابن كثير: "بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه".[2].

﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ ولم يعلموا عاقبة ما في هذا القرآن من الوعيد.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التكذيب.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الأمم السابقة كذبت رسلها.

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تأمل كيف أصبح مآل الظالمين وما أصابهم من هلاك بسبب ذلك التكذيب.

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٩٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٠).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

كشف التشبيه أن الكفر ملةٌ واحدةٌ، وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة.

كذلك فإن الله ليس بينه وبين الخلق نسب فكل من كذب بالآيات والنذر فقد عرّض نفسه لغضب الله وعقابه، وأن سنة الله في أخذ المكذبين معلومة.

وبين التشبيه أن من عادة المعاندين على مر العصور التكذيب بالحق بادئ الرأي دون تدبر ولا تفكر ولا تؤدة وإنما استكباراً عن كل ما يخالف منهجهم وما هم عليه من الباطل، كما عرّض التشبيه بالعذاب والهلاك الذي ينتظر من كذب بالقرآن كما عذب وأهلك الذين من قبلهم..

قال الآلوسي: "المراد أنهم سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبروا ما فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفاً ويعلموا أنه ليس مما يمكن أن يؤتى بسورة مثله، والتعبير عنه بهذا العنوان دون أن يقال: بل كذبوا به من غير أن يحيطوا بعلمه أو نحوه للإيذان بكمال جهلهم به وأنهم لم يعلموه إلا بعنوان عدم العلم به وبأن تكذيبهم به إنما هو بسبب عدم إحاطتهم بعلمه لما أن تعليق الحكم بالموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له، وأصل الكلام بما لم يحيطوا به علماً إلا أنه عدل عنه إلى ما في النظم الكريم لأنه أبلغ".(١)

وفي التشبيه وصف للتكذيب بالحق دون تريث وتدبر ودون تأمل وتجرد بأنه ظلم وعاقبة الظالم وخيمة مظلمة، والحقيقة أن الذي لا يتدبر ما أنزل إليه من ربه من هدى وحكمة فإنه ظالم لنفسه مبين فقد كان الأولى به أن يصغي لداعي الخير ثم يقف مع تلك الدعوة وقفة تجرد وإنصاف ورغبة في معرفة الطريق الحق ثم سلوكه، ولا يكابر ويتلقى الرسالة بالتكذيب المباشر والإصرار على التمسك بالباطل.

وفي التشبيه أيضاً تسلية للنبي ﷺ من جهتين أولاهما أنه وإن كُذب فقد كُذب

---

(١) روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٢٠).

الرسل من قبله فليصبر كما صبروا.

وثانيتهما أن لا تخف ولا تحزن فإن سنة الله في المكذبين ماضية وقدره فيهم نافذ وإحاطته بهم شاملة، وإن متعوا قليلاً أو ظهروا في الأرض ومكنوا فيها كما قال ﷻ: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١].

في التشبيه تذكير بأن الظلام إذا أحلولك انقشع، وأن الحبل إذا اشتد انقطع، وأن مآل المكذبين إلى الهلاك والعذاب المهين، وأن العاقبة الحسنى لعباد الله الصالحين، فقص علينا أخبار الأمم الظالمة ثم عقب بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود:٤٩].

وفي التشبيه أيضاً دعوة للنبي ﷺ وكل من يصلح له الخطاب من بعده لأن يتأمل في أخبار الأمم الغابرة وما باءت به من صفقة خاسرة من هلاك في الدنيا وعذاب أخزى في الآخرة.

ومن الدروس المستفادة من الآية أنه ينبغي للمؤمن أن يتأني في أحكامه على ما يصله من أخبار وفيما يطلقه على الجماعات والأفراد من أحكام، وعلى وجه الخصوص التي فيها تبديع أو تفسيق أو تضليل لبعض فئات الأمة، وألا يكون المسلم عجولاً في أحكامه سريعاً في إطلاق التهم وفي ردوده على المخالفين له، بل لا بد من التريث والتثبت وإحسان الظن والتماس العذر للمسلمين قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات:٦]، وقال بعدها بثلاث آيات ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات:١٠]، فالمؤمنون أخوة ومن حقوق الأخوة الإنصاف في الحكم والمحبة الصادقة والتناصح في لين ورفق، لا الغلظة ولا الجفوة ولا المبادرة لإساءة الظن وتلمس العثرات.

الآية الثامنة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس:٤٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي حيث شبه حالهم في الحشر بحال الذين لم يطل مكثهم في القبور، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾.

المشبه: المحشورون بعد أزمان في القبور.

المشبه به: المحشورون ولو لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: تحقق وحصول الحشر، فلا يمنع من الحشر طول المكوث في القبر، بل يحشر من طال مكثه في القبر كمن بقي في القبر ساعة ولا فرق.

غرض التشبيه: بيان مقدار حال المشبه.

يوضح ابن عاشور التشبيه بقوله: " والمعنى تشبيه المحشورين بعد أزمان مضت عليهم في القبور بأنفسهم لو لم يلبثوا في القبور إلا ساعة من النهار" (١)

تفسير الآية الكريمة:

يفسر الطبري ~ الآية والتشبيه بقوله: "يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم في موقف الحساب، كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم، ثم انقطعت المعرفة، وانقضت تلك الساعة يقول الله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾، قد غُبن الذين جحدوا ثوابَ الله وعقابه وحظوظَهم من الخير وهلكوا ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ يقول: وما كانوا موفّقين لإصابة

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٨٢).

الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله، لأنه أكسبهم ذلك ما لا قِبَل لهم به من عذاب الله". (١)

ويتوقف ابن الجوزي فيعلق على الآية بـ:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ يوم خروجهم إلى المحشر كأنهم لم يمضوا في الدنيا أو القبور.

﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ إلا مدة يسيرة لما رأوه من الأهوال.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتعرف بعضهم إلى بعض ثم تنقطع المعرفة لما يرون من الأهوال قال في زاد المسير: " قال ابن عباس: إذا بعثوا من القبور تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة. قال الزجاج: وفي معرفة بعضهم بعضاً، وعِلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخُ لهم، وإثباتُ الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا وبَّخ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسَّبتني دخول النار". (٢)

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي كذبوا بالبعث يوم القيامة.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ من الضلالة.

ونظائر هذه الآية كثير في كتاب الله نحو ما جمعه ابن كثير ~ في تفسيره: "ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم:٥٥-٥٦].

---

(١) جامع البيان (٥/ ٩٧).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٦)، والزجاج هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو اسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره، من كتبه (معاني القرآن)، و (الاشتقاق)، و (خلق الانسان)، و (الأمالي) في الأدب واللغة، وتوفي في بغداد عام ٣١١، أنظر الأعلام للزركلي (١/ ٤٠)

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات:٤٦]، وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه:١٠٢-١٠٤]، وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة كما قال: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤]". (١)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

كشف التشبيه عن جانب من أهوال يوم القيامة وما يصيب الناس من فزع عظيم، ويظهر ذلك جلياً من هذا المشهد الذي يختلف فيه المكذبون فيظن بعضهم أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، وبعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم، والبعض الآخر يقول لبثنا ضحى أو عشية يوم من الأيام كما في آيات أخرى، وما ذلك إلا لما عاينوه من الأهوال الباعثة على الفزع والحيرة، وزاد في حيرة المكذبين أنهم بعثوا بأجسادهم كما كانوا في الدنيا فينظر بعضهم إلى بعض ويتساءلون فيما بينهم كأنهم لم يفنوا وتستحيل أجسادهم إلى تراب..

فكان هذا البعث على ما كانوا عليه من الهيئات زيادة في إبطال دعواهم في عدم البعث.

وفي التشبيه أيضاً تنبيه إلى عظيم قدرة الله في بعث الموتى فيستوي عنده سبحانه من لبث في قبره ساعة من النهار ومن لبث في قبره آلاف القرون، ذلك لأنه لا يعجزه ﷻ شيء إنما أمره أن يقول للشيء كن فيكون.

"هذا مجرد تشبيه لهذا الحياة الدنيا، وللناس الذين دخلوا ثم خرجوا، كأن لم يفعلوا شيئاً سوى اللقاء والتعارف؟

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٠).

إنه لتشبيه، ولكنه حق اليقين وإلا فهل ينتهي البشر في هذه الأرض من عملية التعارف؟ إنهم يجيئون ويذهبون وما يكاد أحدهم ينتهي من التعرف إلى الآخرين، وما تكاد الجماعة فيهم تنتهي من التعرف إلى الجماعات الأخرى، ثم يذهبون، وإلا فهل هؤلاء الأفراد الذين يتنازعون ويتعاركون ويقع من سوء التفاهم بينهم وبين بعضهم في كل ساعة ما يقع.. هل هؤلاء تم تعارفهم كما ينبغي أن يكون؟

وهذه الشعوب المتناحرة، والدول المتخاصمة - لا تتخاصم على حق عام، ولا على منهج سليم، إنما تتعارك على الحطام والأعراض - هذه، هل عرف بعضها بعضاً؟ وهي ما تكاد تفرغ من خصام حتى تدخل في خصام.

إنه تشبيه لتمثيل قصر الحياة الدنيا، ولكنه يصور حقيقة أعمق فيما يكون بين الناس في هذه الحياة.. ثم يرحلون! "[1]

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٩٥).

الآية التاسعة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [يونس:٧٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل ذكرت فيه الأداة ووجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

المشبه: الطبع على قلوب المعتدين.

المشبه به: الطبع على قلوب هؤلاء.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم دخول الإيمان في قلوبهم.

غرض التشبيه: تقبيح حال المشبه.

ويوضح الطبري ~ أطراف التشبيه بقوله: " ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ، يقول تعالى ذكره: كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها، فلم يكونوا يقبَلون من أنبياء الله نصيحتَهم، ولا يستجيبون لدعائهم إيّاهم إلى ربهم، بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربّه فتجاوز ما أمره به من توحيده، وخالف ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته، عقوبة لهم على معصيتهم ربَّهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم" (١)

تفسير الآية الكريمة:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد نوح عليه السلام.

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ مثل هود وصالح وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

(١) جامع البيان (١٥/ ١٥٤)

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحات أو بالمعجزات.

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي أنهم استقبلوا الرسل بالتكذيب ثم لما جاءهم رسلهم بالحجج والبراهين، أصروا على تكذيبهم الأول ولم يتزحزحوا عنه. وقيل المعنى أن المتأخرين ماضون على سنة الأولين في التكذيب أي أن هؤلاء الكفار لم يكونوا ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح من قبلهم.(١)

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي مثل هذا الختم الذي ختمناه على قلوب هؤلاء نختم على قلوب المتجاوزين الحدود في الكفر والشرك، فلا تقبل قلوبهم الإيمان.

---

(١) القول الثاني هو اختيار ابن جرير ~ انظر جامع البيان (١٥/ ١٥٥)، وسار عليه جمع من المفسرين من بعده كابن الجوزي في زاد المسير والشوكاني وأبو حيان في البحر وإن كان لم يعتمده بل جعله من ضمن الأقوال، والأقرب للصواب إن شاء الله هو ما ذكرناه أولاً لأن سياق الآية يدل على أن الضميرين في (كذبوا)، وفي (ليؤمنوا) مرجعهما واحد وهم أقوام الرسل المتأخرين ولأن الكلام على قوم نوح قد تقدم وفرغ منه. وهذه الأقوال جمعها أبو حيان ~ في البحر المحيط (٥/ ١٧٩).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بين التشبيه حقيقةً مهمةً ينبغي أن يعقلها كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهي أن جزاء من تعدى حدود الله وانتهك حرماته واستقبل رسالات الله بالتكذيب، فإن مآلهم جميعاً واحدٌ، وهو الطبع التام والختم الكامل على قلوبهم فلا ينتفعون بعلم، ولا يتعظون بموعظة، ولا تثمر فيهم دعوة، نسأل الله السلامة.

وبين التشبيه أن الذين كذبوا الرسل قد ارتكبوا إثما عظيماً وجرما كبيراً أهلهم لأن يكونوا مثالاً يشبه به كل من اعتدى وظلم.

كما بين التشبيه أن الختم يكون على القلب وتلك هي المصيبة العظمى والبلية الكبرى التي لا ينجع معها دواء، إنها الطامة التي تثمر الوبال على الجسد كله، وتورث الشقاء في الدنيا بالبعد عن ذكر الله، وتورث الخزي والعذاب الأليم في الآخرة.

وفي الآية دليل على عدل الله فهو ينزل الآيات ويرسل الرسل وينذر فيعذر، فمن آمن أفلح وأنجح، ومن كذب وأبى فقد خاب وخسر وظلم وتعدى.

وفيها أيضاً أن المتضرر من تكذيب الرسل هم المكذبون أنفسهم ولا يضرون الله ولا يضرون رسله شيئاً كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل:٣٣].

وفي الآية كذلك أن مكذبي الرسالات هم أكثر الناس ظلماً واعتداءاً ولذلك استحقوا هذه العقوبة وذلك الوصف، فأما العقوبة فهي الطبع على القلوب حتى يهلكوا وما عرفوا نور الإسلام وما اهتدوا بهداية الإيمان، وأما الوصف فقد وصفهم بالمعتدين وذلك لتعديهم حدود الله وتكذيبهم بما أنزل الله.

الآية العاشرة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس:٨٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[1] أداة التشبيه محذوفة، ووجه الشبه من غير جنس المشبه به وهو في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.

المشبه: بيوت بني إسرائيل التي أمروا باتخاذها.

المشبه به: القبلة التي يتجه إليها المصلون.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: أنها ملاذ آمن ومهوى أفئدة المؤمنين.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

اختلف المفسرون في بيان البيوت والقبلة:

* منهم من فسر القبلة بالجانب أي اجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لأجل الصلاة.

* منهم من فسر القبلة بمعنى المقابلة أي يقابل بعضها بعضا.

---

(١) أغلب المفسرين على أنه ليس بتشبيه وإنما أمر صريح بجعل البيوت متقابلة أو باتجاه القبلة، لكن انقدح في ذهني أنه تشبيه بليغ مثل قوله تعالى "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا " الفرقان (٢٣) أي اجعلوا بيوتكم كالقبلة التي يأوي إليها المؤمنون الفارون من فرعون وجنده، ولقد كدت أن أتراجع عن هذا القول حتى وجدت تفسيراً يشبه هذا الذي ذهبت إليه بعد البحث، وهو ما ذكره جمع من علماء الأزهر في كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم الذي أعده المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: القاهرة ١٤٢٧هـ، حيث جاء فيه" وأن يجعلا هذه البيوت قبلة يتجه إليها أهل الإيمان الذين يتبعون دعوة الله ، وأن يؤدوا الصلاة على وجهها الكامل.." (١/ ٣٥١)، فشجعني هذا على إيراده كقول محتمل في تفسير الآية دون جزمٍ بصحته ودون تفضيل له على قول سلف الأمة -رحمهم الله-.

وقد رجحت قرينة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أن تكون البيوت مكان الصلاة، وأن الله قد أمر موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل بالصلاة في بيوتهم خفية من فرعون وقومه [1]، وهذا الرأي يرجح تشبيه البيوت بقبلة الصلاة.

ويفهم من تفسير المنتخب أيضًا جعل البيوت كالقبلة في قوله: " وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن يتخذا لقومهما بيوتا يسكنونها بأرض مصر، وأن يجعلا هذه البيوت قبلة يتجه إليها أهل الإيمان الذين يتبعون دعوة الله ".

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أوحى الله إلى موسى وأخيه هارون -وأبهم الأخ هنا لأنه قد ذكره في الآيات المتقدمة فاكتفى بذلك- بأن يتخذا بيوتاً لهم في مصر.

واختلف المفسرون في المقصود بالبيوت وكيفية جعلها قبلة على أقوال:

الأول: اجعلوها مساجد[2].

ونقل ابن كثير ~ عن مجاهد والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن: "وكأن هذا -والله أعلم- لما اشتد بهم البلاء من قبَل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم،

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٤).

(٢) رواه ابن جرير عن مجاهد، وعكرمة والضحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي. انظر جامع البيان في تأويل القرآن (١٥/ ١٧١).

وعكرمة هو أبو عبد الله البربري القرشي الهاشمي مولى ابن عباس عالم مفسر ثقة ثبت روى له أصحاب الكتب الستة توفي عام ١٠٤، وقيل بعدها الأعلام (٤/ ٢٤٤).

والضحاك هو ابن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، كان يؤدب الأطفال توفي عام ١٠٥، الأعلام (٣/ ٢١٥).

والنخعي هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث توفي عام ٩٦، الأعلام (١/ ٨٠).

أمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة:١٥٣]. وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى، ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: بالثواب والنصر القريب". (١)

والثاني: اجعلوها قِبَل القبلة. (٢)

الثالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضاً. (٣)

الرابع: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلةً لكم في الصلاة. (٤)

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي أتموها.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصر والأمن من فرعون في الدنيا وبشرهم بالجنة في الآخرة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٨٩). والحديث الذي ذكره ابن كثير رواه أبو داود في بَاب وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ اللَّيْلِ عن حذيفة برقم (١٣١٩) حسنه الألباني ~ في صحيح أبي داود ولكنه ضعفه في مشكاة المصابيح، والحق أنه حسن إن شاء الله لأن في سنده عكرمة بن عمار عن محمد ابن عبد الله الدؤلي، والأول قال عنه ابن حجر صدوق يغلط، ووثقة الذهبي، وقال عن الثاني مقبول وبقية رجال السند كلهم ثقات فالحديث حسن.

(٢) رواه ابن جرير عن العوفي عن ابن عباس. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: قِبَل مكة. وقال مجاهد: أُمروا أن يجعلوها مستقبلة الكعبة، وبه قال مقاتل، وقتادة. (المصدر السابق).
والعوفي هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي، أبو الحسن من أعلام المفسرين لكنه ضعيف عند المحدثين فقد ضعفه الذهبي وقال ابن حجر صدوق يخطئ كثيراً، توفي عام ١١١، الأعلام (٤/ ٢٣٧).

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس أيضاً وعن سعيد بن جبير. (المصدر السابق)، وسعيد هو ابن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، قال عنه الزركلي: (كان أعلم التابعين على الإطلاق)، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر قتله الحجاج عام ٩٥، الأعلام (٣/ ٩٣).

(٤) زاد المسير في التفسير (٤/ ٥٥).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد صور التشبيه الهيئة التي ينبغي أن تكون عليها البيوت التي أمروا باتخاذها بأن تكون قبلة وحذف أداة التشبيه زيادة في المبالغة في التشبيه حتى كأنه عين المشبه به ولهذا يعرف هذا وأشباهه بالتشبيه البليغ.

وبين التشبيه ما ينبغي أن يكون عليه أتباع دعوة الحق من تآلف وتآزر وتآخٍ فيكون بيت أحدهم بيتاً لإخوانه فيقصدونه وقت الشدائد ويلوذون به عند المخاوف، وليكونوا يداً واحدة على عدوا الله وعدوهم، وثنّى بإقامة الصلاة لما فيها من معاني الاجتماع والوحدة، وما تبعث عليه من قوة في النفس وصدق في العزيمة وصبر على نوائب الدهر كقوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥].

فيا ليت شعري أين فرار المؤمنين اليوم إلى الصلاة عند الشدائد، ويا ليت شعري أين تكاتف المؤمنين وتوادهم في مواجهة أعدائهم وأين هم من قوله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

فيستفاد من التشبيه أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا أكثر ألفة وأشد تكاتفاً يسعى بعضهم في خدمة بعض، فيجتهد كل واحدٍ من أفراد الأمة لنصرة إخوانه المؤمنين وكلٌ ينفق مما وهبه الله فهذا بعلمه وهذا بماله وذاك بجاهه وآخر بمشورته..

فكل فردٍ منهم قد جعل بيته قبلة يؤمها المعوزون ويقصدها المستفتون وتهفو إليها قلوب إخوانه المؤمنين، كما قال النبي ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ). (1)

---

(١) البخاري، باب نصر المظلوم (٢٤٤٦) فتح الباري (٥/ ٩٩).

الآية الحادية عشرة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس:١٠٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل ذكرت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

المشبه: إنجاء الرسول ﷺ والمؤمنين معه.

المشبه به: إنجاء الرسل السابقين والمؤمنين بهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الوعد بالنجاة.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يفسر الطبري ~ هذا التشبيه بقوله " قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم، ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم ننجّي هناك رسولَنا محمدًا ﷺ ومن آمن به وصدّقه واتبعه على دينه، كما فعلنا قبل ذلك برُسلنا الذين أهلكنا أممهم، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حقّ على أممهم ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها، كذلك نفعل بك، يا محمد، وبالمؤمنين، فننجيك وننجي المؤمنين بك، حقًّا علينا غير شك.﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حكاية حال لإنجاءه سبحانه لرسله السابقين والمؤمنين من الشدائد والكربات في

الدنيا ومن العذاب في الآخرة " [1]

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الإِنجاء.

﴿حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ واجب علينا لاشك فيه أن ننجي النبّي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين، وهذا مما كتبه الله على نفسه من باب الوعد الحق، ومن باب التفضل والرحمة، لا أن العبد يستحق على الله وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢١٦).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

جاء التشبيه في الآية ليسلي النبي ﷺ وأتباعه المؤمنين الذين عانوا من أذى المشركين ما عانوا، فليتربص أولئك المكذبون ولينتظر أولئك المشركون أن يحل بهم ما حل بأسلافهم من التدمير والهلاك الدنيوي ومن الخزي والعذاب الأخروي.

وفي المقابل فلينتظر أولئك المؤمنون، وليتصبر أولئك المضطهدون وليبشروا بالنجاة والفوز والفلاح، ذلك لأن سنة الله كما أنها ماضية في إهلاك المجرمين فهي كذلك ماضية في إنجاء المؤمنين المصدقين وفي هذا وعد لا يتخلف من الملك الحق سبحانه فهي بشارة وأي بشارة..

فإذا رأى المؤمنون الكفر قد أرعد وأزبد وتوعد وتهدد، أو ربما ساد يوماً من الدهر وشاد، إذا رأى المؤمنون الكفر وقد صال صولته وجال بين الناس جولته ودالت على أهل الأرض دولته، فلا ينبغي أن ييأسوا من روح الله ولا يقنطوا من نصر الله وليتذكروا هذا الوعد الرباني الحق. وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١].

ومما يفيده التشبيه أيضاً: أن هذا الوعد لا يختص بأنبياء الله وأتباعهم الذين ناصروهم، ولكنها سنة الله الماضية في كل المؤمنين وعلى مر العصور، ويؤكد هذا أنه في بداية الآية أخبر عن نجاة الرسل ومن كان معهم ثم جاء التشبيه ليذكر المؤمنين بصيغة العموم، ليدخل في ذلك كل المؤمنين وإن تأخرت أزمنتهم عن الأنبياء، فسبب نجاتهم هو إيمانهم بالله وتصديقهم وحسن توكلهم عليه ورغبتهم فيما عنده، والمعنى نفسه أيضاً في آية سورة غافر المتقدمة ولذلك قال عز من قائل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والواو تقتضي المغايرة.

المبحث الثاني : التشبيهات القرآنية في

سورة هود

وعددها (١١) تشبيهًا

الآية الأولى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [هود:٢٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيهان مفرقان كل منهما مرسل مفصل. (١)

المشبه: الكفار والمؤمنون.

المشبه به: الأعمى والأصم، والبصير والسميع.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: استفادتهم من الحق المسموع والمنظور وعدمها.

غرض التشبيه: تزيين وتقبيح المشبه، فالتزيين للمؤمنين والتقبيح للكافرين.

والتشبيهان يشكلان مثلاً شرحه وذكر أطرافه الطبري في قوله: " يقول تعالى ذكره: مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئًا، والأصم الذي لا يسمع شيئًا، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيمٌ في ضلالته، يتردَّد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسمعَ داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.."(٢).

(١) الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣١).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٢٩١).

۞ تفسير الآية الكريمة:

﴿مَثَلُ﴾ أي صفة.

﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ فريق الكفار وفريق المؤمنين.

﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ أعمى فلا يرى آيات الله المنظورة في الكون وفي الخلق العظيم، وأصم فلا يسمع آيات الله المسطورة في الكتاب الكريم، وهذا مثل الكافر.

﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ هذا بضد الأول وهو مثل العبد المؤمن الذي أبصر الحق وسمعه فانتفع به.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ وهذا استفهام إنكاري وإلا فالإجابة معروفة لدى المخاطب فلا يستويان قطعاً.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أفلا تعتبرون وتتعظون.

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

قال ابن القيم ~ في كتاب الأمثال في القرآن: "ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه فشبهت بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء وسمعه أصم عن سماع الأصوات والفريق الآخر بصير القلب سميعه كبصير العين وسميع الأذن فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ". (١)

لقد أبرز التشبيه المعقول في صورة المحسوس ليبين أن الفريق الكافر قد عطل حواسه عن إبصار الحق وسماعه كأنه أعمى أصم لم يستفد من تلك الحواس التي منحه

(١) الأمثال في القرآن (١/ ١٣).

الله إياها فرغم تكاثر الآيات الكونية أمام ناظريه ورغم ما يُتلى على سمعه من الآيات القرآنية فهو أعمى أصم عن إدراك ذلك كله وبالتالي فهو محروم من الانتفاع بشيء منه وهذا قمة الخذلان والعياذ بالله.

فيا عجبا كيف يعصي الإله   أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد[1]

وفي المقابل فإن المؤمن في قبوله للحق وانتفاعه به مثل البصير السميع السوي الذي أنعم الله عليه بالبصر فاستفاد منه على أكمل وجه، فتأمل في بديع خلق الله، واستمع لما يتلى عليه من آيات الله والحكمة فربط بين ما يبصره وما يسمعه فقاده ذلك للإيمان والتصديق فسعد بذلك في الدارين.

فأنى يستوي الفريقان؟، فالاستفهام يفيد تفضيل فريق المؤمنين ولا شك.

وفي الآية تذكير للسامع والمخاطب بالقرآن بحال المشركين وما هم عليه من الضلال ثم ختمها بقوله أفلا تذكرون، ليعتبر أولو الأبصار فلا يقعوا فيما وقع فيه المشركون فيصيبهم ما أصابهم، وحث على اقتفاء آثار المؤمنين ليفوز كما فازوا ويسعد كما سعدوا.

(١) نسبه الأصفهاني في الأغاني إلى أبي العتاهية (١/ ٣٥٦)، أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، العنزي أبو إسحاق (ت٢١١هـ)، وهو شاعر مكثر له قصائد زهدية كثيرة توفي عام ٢١١هـ، الأعلام (١/ ٣٢١).

الآية الثانية: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود:٣٨-٣٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي في قوله ﷻ: ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

المشبه: سخرية نوح عليه السلام والمؤمنين.

المشبه به: سخرية المشركين.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: سبب السخرية وهو اعتقاد كل فريق جهل الآخر، ولا سواء.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

قال ابن جرير ~ : " يقول تعالى ذكره: ويصنع نوح السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه ﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ ، يقول: هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحوّلت نجارًا بعد النبوّة، وتعمل السفينة في البر؟ فيقول لهم نوح: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا﴾ ، إن تهزءوا منا اليوم، فإنا نهزأ منكم في الآخرة، كما تهزءون منا في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ، إذا عاينتم عذابَ الله، مَن الذي كان إلى نفسه مُسِيئًا منَّا"[1]

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ نوح عليه السلام والمؤمنون، قال أبو السعود ~ : "حكايةُ حالٍ ماضيةٍ لاستحضار صورتِها العجيبةِ".[2]

(١) جامع البيان (١٥/ ٣١٠).

(٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٠٦).

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ جماعة من قادة الكفر وائمة الضلال.

﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ استهزأوا به وبصنعه للسفينة على اليابسة إذ لا بحر ولا نهر قريب.

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ أي إن كنتم تسخرون من قولنا أو بناءنا للسفينة، فإنا نسخر منكم لجهلكم بالله أو نسخر منكم عند غرقكم أو تسخرون منا في الدنيا، فانا نسخر منكم في الآخرة.

وقد ذكر ابن الجوزي ~ خمسة أقوال في المقصود من هذه السخرية:

أحدها: إن تسخروا من قولنا فانا نسخر من غفلتكم.

والثاني: إن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة، فانا نسخر منكم عند الغرق.

والثالث: إن تسخروا منا في الدنيا، فانا نسخر منكم في الآخرة، قاله ابن جرير.

والرابع: إن تستجهلونا، فانا نستجهلكم، قاله الزجاج.

والخامس: إن تسخروا منا، فانا نستنصر الله عليكم، فسمى هذا سخرية، ليتفق اللفظان كما في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥] (١)

والسخرية مما لا يليق بالأنبياء وصالح المؤمنين ولكنها هنا جاءت من باب الجزاء بالمثل لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠].

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

---

(١) انظر هذه الأقوال في زاد المسير (٤/ ١٠٣).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

أبرز التشبيه كيف رد نوحُ عليه السلام على المستهزئين به من عِليةِ القوم ردا سريعاً واضحاً ومحدداً يكسوه الأدب ويحيط به العدل والإنصاف، فلم يستطل في شتمهم والرد عليهم بأسلوبهم بل اكتفى بلفظ السخرية على وجه الإجمال، وقدم ذكر سخريتهم ليبين أنه لم يكن ليبدأهم بالسخرية فليس هذا من أدب الأنبياء وإنما فعل ذلك رداً عليهم جزاء وفاقاً ليجازيهم من جنس عملهم وكاف التشبيه تفيد المساواة في مقدار السخرية دون زيادة كعادة الطغاة ولا نقص كفعل الجبناء..

وسخريتهم من نوح عليه السلام حمل فعله على العبث بناءً على اعتقادهم أن ما يصنعه لا يأتي بتصديق ما يدعيه، أما سخرية نوح عليه السلام والمؤمنين من الكافرين فهي من سفه عقولهم وجهلهم بالله وصفاته، فالسخريتان مقترنتان في الزمن.

وبذلك يتضح وجه التشبيه في قوله: ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ فهو تشبيه في السبب الباعث على السخرية، وإن كان بين السببيْن بَون كبير.

"وقيل إن كاف التشبيه مفيدة معنى التعليل كالتي في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٨] فيفيد التفاوت بين السخريتين، لأن السخرية المعللة أحق من الأخرى، فالكفار سخروا من نوح عليه السلام لعمل يجهلون غايته، ونوح عليه السلام وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم بأنهم جاهلون في غرور، كما دل عليه قوله: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ فهو تفريع على جملة ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ أي سيظهر مَن هو الأحق بأن يسخر منه".(١)

لقد أوضح التشبيه الخلق الرفيع الذي كان عليه نوح عليه السلام والذي ينبغي أن يتأسى به المؤمنون في عدم مجاوزة الحد، والإنصاف من النفس وانتقاء الألفاظ كما ينتقى أطايب التمر، ولو كان ذلك في مقابلة أشد الناس عداوة وأسوأهم منطقاً وأجهلهم على المؤمنين، امتثالا لأمره عز وجل حين قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٨، ٦٩)

ﱡﭐ... ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ﱠ [الأنعام:٩٠].

كذلك فقد أوضح التشبيه ما كان عليه نوح وأصحابه من الثقة العظيمة بموعود الله فلم يشغل نفسه عليه السلام بإطالة الرد عليهم وإنما اكتفى بهذا الرد الموجز وتوعدهم بالخزي والعذاب وكأنه يرى ذلك رأي العين، ثم تابع عمله ومن معه في صنع الفلك وكأن شيئاً لم يكن، فدلاء سخريتهم ومكرهم لم تعكر بئر إيمانه العميقة، وثقته الكاملة، وتصديقه التام لما سيحدث من وعد الله ووعيده، وهذا مما ينبغي للمؤمنين والعاملين لدين الله في كل العصور أن يتحلوا به من اليقين الذي لا يعتريه شك في نصر الله، فلا يفت من عضدهم سخرية ساخر ولا يلتفتون لحبائل ماكر حتى يأتي الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، ﱡﭐوَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَﱠ [يوسف:٢١].

وقد بينت الآية أن الله إذا أراد شيئاً هيىء أسبابه، فأمر نوح عليه السلام ببناء السفينة وحمل المؤمنين عليها والدواب أيضاً، كل ذلك تفضلاً منه ورحمة، وبياناً لأهمية أخذ العبد بالأسباب فكما أن قوم نوح كانوا يقولون له ساخرين: سفينة تمشي على اليابسة؟!، فقد كان رده العملي عليهم يقول بلسان الحال:

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس (١)

وأخيراً فإن التشبيه يكشف للناس عن مسألة عقدية مهمة وهي أن الأنبياء لا ينطقون عن الهوى بل يتكلمون بلسان الوحي، فكل وعد أو وعيد جاء منهم فهو لا محالة واقع، وشاهد ذلك ما ذكره الله من وعد للأنبياء في سورة الأنبياء فقال سبحانه ﱡﭐثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَﱠ [الأنبياء:٩].

---

(١) ذكره ابن حبان ونسبه إلى أبي العتاهية. انظر: ابن حبان البستي: محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي (٣٥٤هـ): روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. وهو علامة محدث جغرافي مؤرخ وله مصنفات كثيرة توفي عام ٣٥٤هـ، الأعلام (٦/ ٧٨)،

الآية الثالثة: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود:٤٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل[1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

المشبه: الموج الذي تجري عليه السفينة.

المشبه به: الجبال.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الارتفاع والعظمة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي: أن السفينة تسرع بنوح ومن ركب معه من المؤمنين والبهائم والدواب..

﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ شبه عظمة الموج وضخامته وتراكمه بالجبال والله مع ذلك حافظها وحافظ من عليها كما في قوله سبحانه: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:١٣-١٤]. قال ابن عاشور ~ : "وعدل عن الفعل الماضي إلى المضارع لاستحضار الحالة مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر:٩]، والموج: ما يرتفع من الماء على سطحه عند اضطرابه، وتشبيهه بالجبال في ضخامته. وذلك إما لكثرة الرياح التي تعلو الماء وإما لدفع دفقات الماء الواردة من

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣١)، قلت والذي يبدو لي أنه تشبيه مرسل مجمل لأنه ذكر فيه الأداة ولم يذكر وجه الشبه، فإن من صفات المفصل أن يذكر الأداة ووجه الشبه.

السيول والتقاء الأودية الماءَ السابقَ لها، فإن حادث الطوفان ما كان إلاّ عن مثل زلازل تفجرت بها مياه الأرض وأمطار جمّة تلتقي سيولها مع مياه العيون فتختلط وتجتمع وتصب في الماء الذي كان قبلها حتى عم الماء جميع الأرض التي أراد الله إغراق أهلها"[1].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ ومن هذا النداء من نوح عليه السلام لابنه يفهم أنه لم يركب مع أبيه كما فعل المؤمنون السابقون.

﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ والمعزل المكان المنقطع والمراد هنا يحتمل وجوهاً:[2]

الأول: أنه كان في معزل من السفينة لأنه كان يظن أن الجبل يمنعه من الغرق.

الثاني: أنه كان في معزل عن أبيه وإخوته وقومه.

الثالث: أنه كان في معزل من الكفار كأنه انفرد عنهم فظن نوح عليه السلام أن ذلك إنما كان لأنه أحب مفارقتهم.

فناداه نوح عليه السلام بشفقة الأبوة وبرحمة النبوة فقال:

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ نداء أخير ناصح للركوب في سفينة المؤمنين الناجين ومجافاة الكافرين الهالكين.

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٧٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١٧/ ١٨٥).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

أظهر التشبيه طرفاً من عناية الله بعباده المؤمنين وحفظه لهم وكيف أنه جلت قدرته نجاهم في تلك الفلك رغم أنها كانت تصارع الأمواج العاتية العظيمة التي غطت الجبال وزادت فوق ارتفاعها حتى كأنها جبال فوق الجبال ومع ذلك حفظها سبحانه برعايته وكلأها بعنايته.

ولئن كانت الآية السابقة قد بينت أهمية الأخذ بالأسباب فقد بينت هذه الآية عظمة قدرة مسبب الأسباب وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، ينجي من يشاء بفضله، ويهلك من يشاء بعدله، وأن الأسباب وحدها لا تكفي، ولذلك لما أراد ابن نوح أن يأخذ بالأسباب -في نظره هو- بين له النبي عليه السلام المدرك لحقيقة التوكل، أنه لا عاصم من أمر الله إلا من رحم فلا أسباب تنفع ولا حيل تجدي إذا وقع أمره.

كما بينت الآية أن الناس انقسموا إلى فريقين لا ثالث لهما، فريق هدى و فريق حق عليهم الضلالة، وأن من لا يصحب المؤمنين فيخشى عليه أن يهلك مع الهالكين.

وبينت أيضاً أن العبد إذا ركن إلى رأيه واستقل به عن ما جاء به الدليل واستغنى عن رأي أهل العلم والإيمان، فربما أورد نفسه المهالك وأقدم على حتفه في حين كان يؤمل في فعله النجاة.

كذلك فإن في الآية إشارة لطيفة لشؤم العقوق وأنه طريق للهلكة، فكيف إذا كان الوالد نبي مرسل وهو نوح عليه السلام.

وفيها بيان لرحمة نوح بابنه وحرصه الشديد على مواصلة الدعوة إلى الله حتى آخر لحظة من لحظات العمر، وفيها أن النسب الشريف لا يغني عن صاحبه شيئاً وإنما العبرة بالعمل الصالح ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم:٣٩].

الآية الرابعة: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ [هود:٧٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾.

المشبه: نساء قوم لوط عليه السلام.

المشبه به: بنات لوط عليه السلام.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: في التصرف والأبوة.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ أي قوم لوط عليه السلام لما علموا بقدوم الضيوف إليه.

﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ يُسرعون.

﴿وَمِن قَبۡلُ﴾ قبل مجيئهم.

﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يقارفون الفواحش وأعظمها وهي إتيان الرجال في الأدبار شهوة من دون النساء.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ قيل بناته لصلبه، وقيل قصد نساء قومه فهو بمثابة الأب لهم لأنه نبيهم، وشبه نساء قومه ببناته تشبيهاً بليغاً كما ذكر ذلك الطاهر ابن عاشور ~ فقال: "وقد رُويَ أنه لم يكن له إلاّ ابنتان، فالظّاهر أن إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ، أي هؤلاء نساؤكم كبناتي.

وأراد نساءً من قومه بعدد القوم الذين جاءوا يُهرعون إليه. وهذا معنى ما فسر به مجاهد، وابن جبير، وقتادة، وهو المناسب لجعلهنّ لقومه إذ قال: {هنّ أطهر لكم}، فإن قومه الذين حضروا عنده كثيرون، فيكون المعنى: هؤلاء النساء فتَزَوّجوهنّ. وهذا أحسن المحامل".[1]

وفي قول آخر لقتادة عند ابن جرير أنه أراد أن يفدي ضيفه ببناته لشدة خوفه عليهم وحرصه على نجاتهم من القوم الكافرين وهذا القول يرد عليه كلام ابن عاشور المتقدم[2].

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ أي زواجكم منهن أطهر مما تمارسون من الفاحشة فلا تفضحون في أضيافي.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ عاقل صالح سديد الرأي فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد صور لنا التشبيه حرص لوط عليه السلام على نجاة قومه ومحاولاته المضنية لانتشالهم من حمئة الخطيئة واستنقاذهم من غياهب الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين، فلشدة حرصه تراه يعرض عليهم الزواج المباح الحلال الطيب عوضاً عما هم فيه من الفجور.

فناداهم بحرف النداء وذكرهم بأنهم قومه لعل نفوسهم أن ترق فتصغي لنصحه، ثم شبه نساء قومه بأنهن بناته حاذفاً أداة التشبيه ليصور المشبه وكأنه عين المشبه به، ثم ذكرهم أن الطهر والخير في الزواج لا في الفواحش.

(١) لم أجد من صرح بأنه تشبيه من المفسرين سوى ابن عاشور ~ ، انظر التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٧).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٤١١).

وختم بتذكيرهم بتقوى الله وبحق الضيف فإن كانت فطرتهم أبت إلا الانحراف ولم يكترثوا بأوامر الله، فلا أقل من يكون لديهم بقايا من نخوة البدو في إكرام الضيف وحسن معاملته فكيف يتهجمون عليهم ويفضحونه فيهم..

وفي ذلك كله صدع بمعاني الغيرة على الأضياف، ومعاني الأبوة وأنوار النبوة التي تختلج في نفس لوط ﷺ، وكيف بلغ الغاية واستنفذ الجهد في تبليغ دعوة الله والنصح لقومه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ونشراً للفضيلة ودحراً للرذيلة.

وفي ذلك عظة بليغة للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر والداعين إلى الله أن يضاعفوا الجهود وأن يبذلوا الوسع ويتسابقوا إلى التضحيات لاستخراج الأمة من وهدة الذنوب والمعاصي والسمو بها في درجات الطاعة.

ومن جماليات الآية الإعراض عن ذكر الغرض الذي جاء من أجله قوم لوط ولكنه أشار بقوله ﴿يُهْرَعُونَ﴾ للتعبير عن استبشارهم واستعجالهم، رغبةً في ممارسة ما اعتادوه من الفواحش، وأشار إليه أخرى بقوله ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهذا أسلوب القرآن العظيم المترفع عن ذكر ما لا يليق والتصريح بالفحشاء.

وفي قوله ﴿يُهْرَعُونَ﴾ إشارة إلى مدى ما وصل إليه أولئك القوم من سوء وفحشاء حتى تعلقت بها قلوبهم فتاقت إليها أنفسهم فأصبحوا يهتبلون كل فرصة ليقضوا وطرهم في أقبح فاحشة لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين، وفي هذه العبارات التي تنبئ عن شغفهم بهذه الفاحشة وإصرارهم عليها توطئة وإشارة لطيفة إلى بعض الأسباب التي لأجلها حق عليهم العذاب بالإضافة إلى الكفر والإشراك.

وفي قول لوط ﷺ لقومه ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ حكاية لما بلغ به ﷺ من اليأس منهم، وأن هذا الوباء قد دب واستشرى في الجميع، فلا عاقل يعول على عقله ولا مؤمن حكيم يرجع إليه، فالجميع قد تلبس بهذه الجريمة فعميت البصائر وعدم العقلاء.

الآية الخامسة: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:٨٢-٨٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ(١) في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾.

المشبه: حجارة العذاب.

المشبه به: حجارة سجيل من جهنم.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: حرارتها وقوتها.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي أمر الله بإهلاكهم و لفظ الجمع للتفخيم.

﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي قلبنا قراهم ظهراً على عقب فرفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض(٢).

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ حجارة من طين غاية في الشدة والقوة، ويدل على أن السجيل هو الطين قوله في القصة نفسها لكن في موضع آخر: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات:٣٣-٣٤].

---

(١) القول بأنه تشبيه بليغ مما تفرد به ابن عاشور ~ ، انظر التحرير والتنوير (١٢/ ١٢٧)

(٢) جامع البيان (١٥/ ٤٤٠)

﴿مَّنضُودٍ﴾ نضد في السماء بعضه فوق بعض أو متتابع السقوط.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب بأسماءهم.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه.

﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم.

﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي من كل ظالم و قيل أهل مكة[1].

ويلخص ابن كثير ~ شرح الآية: " يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس، ﴿جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا﴾ وهي [قريتهم العظيمة وهي] سَدُوم [ومعاملتها] ﴿سَافِلَهَا﴾ كقوله ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم:٥٣-٥٤] أي: أمطرنا عليها حجارة من "سجيل" وهي بالفارسية: حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: أي من "سنك" وهو الحجر، و"كل" وهو الطين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات:٣٣] أي: مستحجرة قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية، [وقال بعضهم: مطبوخة قوية صلبة] وقال البخاري. "سِجيل": الشديد الكبير. سجيل وسجين واحد، اللام والنون أختان، وقال تميم بن مُقبِل: وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُون البَيْضَ ضَاحِيَةٌ... ضَرْبًا تواصَت به الأبطال سِجّينا وقوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.
وقال آخرون: ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم.
وقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي مُعْلَمَة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه" [2].

---

(١) قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره متهددًا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم. انظر جامع البيان (١٥/ ٤٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٤٠).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

أظهر التشبيه عظمة الجرم الذي أحدثه القوم فاستحقوا لذلك هذا العذاب فجعل الله نهايتهم بأن جمع عليهم عقوبات شتى من طمس أعينهم وإهلاكهم بالطاغية وإرسال الصاعقة عليهم وأخذهم بالرجفة وحمل قريتهم للسماء ثم قلبهم ورميهم إلى أرض تتبعهم الحجارة، وليست أي حجارة بل حجارة شديدة قوية قد أوقد عليها في النار ما شاء الله من الزمن...

قال في البحر: "والظاهر أن ضمير هي عائد على القرى التي جعل الله أعاليها أسافلها، والمعنى: أنّ ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام، يمرّ عليها قريش في مسيرهم، فالنظر إليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ. وقيل: هي عائدة على الحجارة، وهي أقرب مذكور. وقال ابن عباس: وما عقوبتهم ممن يعمل عملهم ببعيد، والظاهر عموم الظالمين" [1].

إنها نهاية بشعة وصورة مروعة تحمل في طياتها أقسى وأشد أنواع التدمير والهلاك، وكما قلبوا الفطرة قلب الله الأرض عليهم جزاءاً وفاقاً.

ولا أدل على شدة ما أصابهم من تشبيه الحجارة المرسلة عليهم بالطين الذي سُجّر في جهنم ما شاء الله أن يُسجّر تشبيهاً بليغاً حذفت أداة التشبيه فيه، أي كأن حرارته هي عين الحرارة التي تخرج من النار.

وكما أن في الآية بياناً لسوء مصرع القوم الذين تعدوا حدود الله وتمردوا على شرعه، فإن فيها كذلك تهديداً للظلمة في كل زمان ومكان، فإن تلك الحجارة الشديدة الحارة كانت ولا زالت في متناول بارئها وهو القادر أن يرسلها متى شاء على من شاء فلا تغادر منهم أحداً فهو سبحانه القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

والحقيقة أن في كل قصة من قصص القرآن عبرة وعظة ولهذا قال سبحانه:

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٥٠).

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٦]، ففي بعض القصص يذكر ربنا ﷻ القصة مبيناً سبب هلاك القوم ويتركها دون تعليق ليعتبر المؤمن من مصير الهالكين الأولين، أما في هذه القصة فقد أخبر بالقصة مفصلة وذكر السبب الذي به استحقوا التدمير، ثم علق محذراً الظالمين مما قد يحل بهم إن هم شابهوهم وساروا في ركابهم، وما ذلك إلا لبيان خطر هذه الفاحشة وسوء عاقبة من يقارفها.

الآية السادسة: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود:٨٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾.

المشبه: النبوة.

المشبه به: المال.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الحسن والكمال والخيرية لأنه من الله.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يحتمل تفسير الآية على التشبيه في حالة القصد من الرزق النبوة كما أوضح ذلك ابن كثير في قوله: " يقول لهم أرأيتم يا قوم ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على بصيرة فيما أدعو إليه، ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾ قيل: أراد النبوة. وقيل: أراد الرزق الحلال، ويحتمل الأمرين. وقال الثوري(1): ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ أي: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم، كما قال قتادة في قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ يقول: لم أكن لأنهاكم عن أمر وأركبه ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ أي: فيما آمركم وأنهاكم، إنما مرادي إصلاحكم

(١) هوسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى،وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة وتوفي عام ١٦١هـ. الأعلام (٣/ ١٠٤).

جهدي وطاقتي، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ أي: في إصابة الحق فيما أريده ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في جميع أموري، ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أي: أرجع، قاله مجاهد وغيره." (١).

قلت والعلم عند الله: ما ذكر من أن المقصود بالرزق هو النبوة قد يكون الأقرب ذلك أنه ﷺ كان يأمرهم بالوزن بالقسط وإخراج حق الله في المال وهو الزكاة وهذا معناه أن عندهم مال، فالرزق الحسن الذي تميز به شعيب عنهم ينبغي أن يكون أمراً مختلفاً عما عندهم وهو النبوة، وأمر آخر أن المال لا يوصف بالحسن ولكن الذي يمتدحه الوحي وكل الأنبياء هو ما يربط العبد بالله ولا شيء أعظم من مقام النبوة في هذا الشأن، أما المال فقد يعطيه الله لمن يحب ومن لا يحب. (٢)

وقيل مالاً حلالاً، فهل يصح أن أشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟. (٣)

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ فأرتكب التطفيف في الميزان وظلم الناس بأكل أموالهم بالباطل.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ ما أريد لكم إلا العدل.

﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ أي مقدارَ ما استطعتُه من الإصلاح.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي كوني موفقاً لإصلاحكم فهوبتأييد الله وتسديده ونصرته سبحانه لا بحولي ولا بقوتي.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٤٤).

(٢) وهذا المعنى من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ في المسند برقم (٣٤٩٠)، وله روايات متعددة أغلبها ضعيف، واللفظ الصحيح هو ما ذكره الألباني في الصحيحة برقم (٢٧١٤)، وهو: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من أحب فمن ضن بالمال أن ينفقه وخاف العدو أن يجاهده وهاب الليل أن يكابده فليكثر من قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر).ولعل هذا ما حمل الطاهر ابن عاشور ~ على القول بأنه تشبيه حيث شبه النبوة بالرزق.

(٣) جامع البيان (١٥/ ٤٥٣).

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ والتقديم في هاتين الجملتين يفيد الحصر الحقيقي، والمراد: عليه وحده دون سواه أتوكل وإليه وحده أعود في كل أمر.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

استطاع شعيب عليه السلام من خلال هذا الحوار أن يفحم قومه ويقيم الحجة عليهم بأسلوبه الخطابي الرصين المتصف بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومقارعتهم بقوة البيان، فشبه النبوة بالرزق الحسن لمشاكلتهم فيما يتحدثون فيه وهو الرزق(1)، وقد صدق عليه السلام، فهل في الدنيا شيء يمكن أن يُرزَقه الإنسان أحسن من النبوة التي فيها السعادة الروحية والحسية بل عليها قوام سعادة الدارين وبحرمانها أو عدم التصديق بها شقاوتها؟!.

ومن آثار التشبيه في تفسير الآية: أن أهل الدنيا اللاهثين وراء حطامها الدنيء وزخرفها الزائل ظناً منهم أن هذا هو الرزق الحسن، أنهم مغبونون في الحقيقة بل محرومون، فإن الرزق الصحيح الذي ينبغي أن يطلب ويجتهد في تحصيله هو ما يصلح به حال العبد حساً ومعنى، دنياً وأخرى ولا يكون إلا بالإيمان بالله وطاعته.

وفي الآية درس لكل من يتصدى لإصلاح الناس وقيادة الأمة وتربية بنيها أن يكون قدوة حسنة فلا يخالفهم لما ينهاهم عنه.

وفيها دعوة أخرى للدعاة السائرين على خطى النبيين أن يحسنوا الخطاب وذلك بحسن اختيار الألفاظ والجمع بين إقامة الحجة والتلطف في الأسلوب واللباقة في تبليغ المعاني السامية والأهداف النبيلة إلى الناس.

---

(1) قال ابن عاشور ~ : والمراد بالرزق الحسن هنا مثل المراد من الرحمة في كلام نوح وكلام صالح عليهما السلام وهو نعمة النبوءة، وإنّما عبّر شعيب عليه السلام عن النبوءة بالرزق على وجه التشبيه مشاكلة لقولهم: (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) (هود ٨٧) لأنّ الأموال أرزاق. التحرير والتنوير (١٢/ ١٤٣).

وفيها أنه ينبغي للدعاة إلى الله أن ينظروا للمدعوين من كفار وعصاة بعين الشفقة لا بعين التعالي والترفع والتبكيت الدائم، وكذلك بمد يد العون لهم للأخذ بحجزهم عن النار وذلك بالتنزل لهم ومداراتهم، لا بفظاظة الحال وغلظة القول وقد كان نبينا ﷺ أعظم قدوة وخير أسوة في ذلك فجمع الله له صفات النبل كلها فقال عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

بل إن الله ﷻ امتدح نبيه ﷺ بهذه الصفات الكريمة ثم ذكّره وأمره بالاستزادة من حسن الأسلوب وجميل المعاملة فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران:١٥٩].

وفيها وجوب بذل الوسع، واستنفاذ الجهد وسلوك كل السبل، وطلب التوفيق من الله، وحسن التوكل عليه والالتجاء إليه فإن هذا هو منهاج المرسلين، والعلماء الربانيون هم ورثة الأنبياء ولذلك ينبغي أن يحذوا حذوهم ويقتفوا أثرهم.

الآية السابعة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود:٩٤-٩٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيهان مرسلان مجملان مختلفان، الأول في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾، والثاني في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

المشبه الأول: قوم شعيب بعد الهلاك.

المشبه به الأول: من لم يقم يوماً بدار ويتصرف فيها.

أداة التشبيه الأولى: كأن.

وجه الشبه: الضياع وعدم الانتفاع بشيء من هذه الحياة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

المشبه الثاني: البعد لمدين.

المشبه به الثاني: البعد لثمود.

أداة التشبيه الثانية: الكاف.

وجه الشبه: سبب الهلاك وكذلك نوع العذاب.

غرض التشبيه: بيان تقبيح حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ وقع أمرنا بإهلاك قوم شعيب.

﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ من العذاب له ولمن اتبعه من المؤمنين برحمة من الله ومنّة.

﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ أرسل الله عليهم صيحة من السماء أخمدتهم، فلا تسمع لهم صوتا، ولا ترى منهم حركة.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولم يتنعموا فيها يوماً من الدهر.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ أي أن هاتين الأمتين قد اشتركتا في البعد والهلاك.

ويوضح ابن عاشور ~ التشبيه الثاني بقوله: " وأما قوله ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود ووجه الشبه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد بذم ثمود لأنهم كانوا أشد جرأة في مناوأة رسل الله".(1)

(1) التحرير والتنوير(١٢/ ١٥٤).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

ذكر الله هلاك مدين ووصفه بأكثر من وصف في آيات مختلفة، ولذلك أسرار أورد بعضها ابن كثير ~ في تفسيره فقال: "وذكر هاهنا أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقَمُ كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ [الأعراف:٨٨]، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشعراء:١٨٧]، قال ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾ [الشعراء:١٨٩]، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، ولله الحمد والمنة كثيرًا دائمًا".(١)

لقد صور التشبيه الأول حال تلك القرية الظالمة تصويراً بديعاً حتى كأن القارئ يراهم رأي العين وجاء بأداة التشبيه كأن والتي تفيد تمام المشابهة والمشاكلة فحالهم بعد الهلاك مثل حال من لم يسكن يوماً ولم يملك أو يتصرف يوماً..

فهي موعظة وأي موعظة لمن كان له قلب حي أو أذن واعية.

وفيها -كما في قصص القرآن كلها- عبرة للمتأخرين مما نال المتقدمين وهي تلويح بالعذاب الشديد لكل من يتبع خطاهم في الظلم والكفر.

وصور التشبيه الثاني حال مدين بحال ثمود من حيث التكذيب والمكابرة ومن حيث الهلاك والبعد والدمار سواءاً بسواء.

لقد تشابه الفريقان في الكفر، فتشابها في العاقبة وفي ذلك عبرة لمن يعتبر بأن من سار على الدرب وصل، وأن سنة الله الماضية في خلقه لا تتغير ولا تتبدل ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٤٧).

فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٢].

فكل من تشبه بأولئك القوم في الضلالة، ومصادمة الوحي، والسخرية منه والصد عنه، فعليه أن يتربص، فإن الذي أخذ الهالكين الأول -على شدتهم وقوة بأسهم- قادر على أخذ هؤلاء من باب أولى، ولذلك قص الله ﷻ علينا قصصهم وأخبرنا سبحانه بما جرى لهم لنتعظ ونعتبر فقال: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٧-١٣٨].

وقدم ﷻ منته على شعيب والمؤمنين معه على إهلاك الكافرين لحكم منها تكريم نبيه والمؤمنين، وتحفيزاً لكل مؤمن يأتي من بعدهم وحضاً لهم على الإيمان وترغيباً فيه لأنه سبب النجاة والعلو في الدنيا والآخرة، ومنها أيضاً التذكير بأن رحمته سبحانه قد سبقت غضبه..

قال الآلوسي ~ : "وإنما قدّم تنجيتُه اهتماماً بشأنها وإيذاناً بسبق الرحمةِ التي هي مقتضى الربوبيةِ على الغضب الذي يظهر أثرُه بموجب جرائِرهم وجرائمهم ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ أي لم يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ متصرفين في أطرافها متقلبين في أكنافها ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ العدولُ عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدلَّ على طغيانهم الذي أدّاهم إلى هذه المرتبةِ وليكون أنسبَ بمن شُبّه هلاكُهم بهلاكهم أعني ثمود، وإنما شُبّه هلاكُهم بهلاكهم لأنهما أُهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة، غير أن هؤلاءِ صيح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم".(1)

(١) روح المعاني (١٢/ ١٢٩).

الآية الثامنة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود:١٠٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.(1)

المشبه: القرى السابقة التي قص الله أخبارها.

المشبه به: القائم من الزرع الذي بقيت آثاره، والزرع المحصود.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الخراب والدمار.

غرض التشبيه: تقبيح حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي هذا الذي وصفنا لك وقصصنا عليك من أخبار تلك الأمم الهالكة، والقرون الغابرة.

﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ أي نزل به جبريل، فقرأه عليك دلالة على صدق نبوتك.

﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي أن من تلك القرى من بقيت آثارهم قائمة شاهدة على قوتهم وعلى هلاكهم، ومن تلك القرى أيضاً ما هو حصيد بمعنى المحصود الذي أبيد وخرب وهلك أهله.

---

(١) قال ابن عاشور عن هذا التشبيه: "والمعنى: منها زَرع قائم وزرع حصيد، وهذا تشبيه بليغ. والقائم: الرزع المستقل على سُوقه. والحصيد: الزرع المحصود، فعيل بمعنى مفعول. وكلاهما مشبّه به للباقي من القرى والعافي. والمرادُ بالقائم ما كان من القرى التي قصّها الله في القرآن قُرى قائماً بعضها كآثار بلد فرعون كالأهرام ومثل آثار نينوى بلد قوم يونس عليه السلام، وأنطاكية قرية المرسلين الثلاثة، وصنعاء بلد قوم تُبّع..." التحرير والتنوير (١٢/ ١٥٨).

قال أبو السعود ~ : "﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ أي ذلك النبأُ بعضُ أنباءِ القرى مقصوصٌ عليك ﴿مِنۡهَا﴾ أي من تلك القرى ﴿قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ أي ومنها حصيد، حُذف لدلالة الأولِ عليه، شُبّه ما بقيَ منها بالزرع القائمِ على ساقه وما عفا وبطَل بالحصيد".[1]

ويفسر الطبري ذلك بقوله: " قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لكَ في هذه السورة، ، والنبأ الذي أنبأناكه فيها، من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ فنخبرك به ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾ ، يقول: منها قائم بنيانه، بائدٌ أهله هالك، ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيدٌ بنيانه، خرابٌ متداعٍ، قد تعفى أثرُه دارسٌ "[2]

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا التشبيه هو فذلكة لتلك القصص التي جاء ذكرها في السورة وتعقيب عليها وتعليق، له آثاره الكثيرة والتي من أهمها الاعتبار من عواقب من سبق، فلا تخلوا أمة طاغية باغية مكذبة عاتية من إحدى حالين: إما التدمير الكامل والخراب الشامل الذي يذرها قاعاً صفصفاً فتصبح كأمس الدابر..

وإما الهلاك والعذاب مع الإبقاء على شيء من آثارهم كشاهد عيان على عظيم قدرة الله وقوة نكاله بمن عصوه وإن عتوا، وشدة بطشه بمن ناصب أولياءه العداء وإن طغوا في البلاد وظهروا، فيأخذهم سبحانه في تقلبهم حتى يصبحوا أثراً بعد عين.

ولقد ذكر الفخر الرازي ~ فوائد وعبر لقصص القرآن فقال:

"والفائدة في ذكرها أمور:

أولها: أن الانتفاع بالدليل العقلي المحض إنما يحصل للإنسان الكامل، وذلك إنما

(١) إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٣٩).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٤٧٠).

يكون في غاية الندرة. فأما إذا ذكرت الدلائل ثم أكدت بأقاصيص الأولين صار ذكر هذه الأقاصيص كالموصل لتلك الدلائل العقلية إلى العقول.

الوجه الثاني: أنه تعالى خلط بهذه الأقاصيص أنواع الدلائل التي كان الأنبياء عليهم السلام يتمسكون بها ويذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل وشبهاتهم في دفعها، ثم يذكر عقيبهما أجوبة الأنبياء عنها ثم يذكر عقيبها أنهم لما أصروا واستكبروا وقعوا في عذاب الدنيا وبقي عليهم اللعن والعقاب في الدنيا وفي الآخرة، فكان ذكر هذه القصص سبباً لإيصال الدلائل والجوابات عن الشبهات إلى قلوب المنكرين، وسبباً لإزالة القسوة والغلظة عن قلوبهم، فثبت أن أحسن الطرق في الدعوة إلى الله تعالى ما ذكرناه.

الفائدة الثالثة: أنه ﷺ كان يذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب، ولا تتلمذ لأحد وذلك[1] معجزة عظيمة تدل على النبوة كما قررناه.

الفائدة الرابعة: إن الذين يسمعون هذه القصص يتقرر عندهم أن عاقبة الصديق والزنديق والموافق والمنافق إلى ترك الدنيا والخروج عنها، إلا أن المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة، والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة، فإذا تكررت هذه الأقاصيص على السمع، فلا بد وأن يلين القلب وتخضع النفس وتزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال، فهذا كلام جليل في فوائد ذكر هذه القصص".[2]

لقد اختصرت هذه الآية الكثير من الأخبار والعبر والعظات وعبرت عن مصارع تلك الأمم بعبارة موجزة معجزة جمعت الكثير من المشاهد والعذابات المختلفة يصفها سيد قطب ~ فيقول: "ومصارع القوم معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال، منهم الغارقون في لجة الطوفان الغامر، ومنهم المأخوذون

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصحيح "تلك".

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٥).

بالعاصفة المدمرة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسف به وبداره الأرض، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، وما حل بهم من قبل في الدنيا يخايل للأنظار.. في هذا الموضع وقد بلغ السياق من القلوب والمشاعر أعماقها بتلك المصارع والمشاهد.. هنا يأتي هذا التعقيب:

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴾..

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ ﴾.. فما كان لك به من علم، إنما هو الوحي ينبئك بهذا الغيب المطمور. وذلك بعض أغراض القصص في القرآن.

﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ ﴾.. لا تزال آثاره تشهد بما بلغ أهله من القوة والعمران، كبقايا عاد في الأحقاف وبقايا ثمود في الحجر. ومنها ﴿وَحَصِيدٞ ﴾ كالزرع المحصود. اجتث من فوق الأرض وتعرى وجهها منه، كما حل بقوم نوح أو قوم لوط.

وما الأقوام؟ وما العمران؟.. إن هي إلا حقول من الأناسي كحقول النبات. غرس منها يزكو وغرس منها خبيث! غرس منها ينمو وغرس منها يموت!". [1]

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٢٧)، (٤/ ١٩٢٨).

الآية التاسعة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود:١٠٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل ذكرت فيه الأداة ووجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾.

المشبه: أخذ الله للظالمين في مكة، أو لأي قرية ظالمة.

المشبه به: أخذ الله للأمم الظالمة السابقة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكيفية والعاقبة.

غرض التشبيه: تقرير حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يفسر ابن جرير ~ هذا التشبيه بقوله: " يقول تعالى ذكره: وكما أخذت، أيها الناس، أهلَ هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتُهم به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾، يقول: إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه ﴿أَلِيمٞ﴾، يقول: موجع ﴿شَدِيدٌ﴾ الإيجاع"[(١)] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ أي وكما ذُكر من أخذنا الأمم المهلكة أَخْذُ ربك للظالمين من أهل مكة وغيرهم من أعداء دعوة الحق.

﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ أي كافرة قاله ابن عباس.[(٢)]

﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ صيغتا مبالغة من الألم والشدة بمعنى كثير الوجع..

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٧٤).

(٢) انظر زاد المسير (٤/ ١٥٧).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

جاء التشبيه في ختام ذكر قصص الأمم الظالمة من قبل كتعريض بمشركي مكة وغيرهم ليصل إليهم التهديد والوعيد، ليعلموا أن أخذه سبحانه قوي شديد وجيع فلن ينجوا أحد من سطوته.

وتذكير الظالمين المعاصرين بأخذ الله للظالمين السابقين يرسم في أذهانهم صور الدمار والعذاب المتقدمة التي طالت أولئك العتاة فيكون ذلك أبلغ في التهديد وأدعى للسامع بأن يحذر من مخالفته لأوامر الله.

فمن آثار التشبيه أن الأمم المكذبة قد اشتركت في الجرم العظيم وهو الكفر، فكانت العاقبة أن تشابهت عقوباتهم، فكلهم قد أُخذوا بذنوبهم، وإن اختلفت طريقة الأخذ فقد تشابهت في الأمر الأهم وهو أخذ الله الأليم، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام:٦]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [فاطر:٢٥-٢٦] وقوله: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزمر:٢٥-٢٧]. وغيرها من الآيات، ولهذا جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته "، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ .(1)

(١) صحيح البخاري باب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ كتاب التفسير برقم (٤٦٨٦)، وصحيح مسلم باب تحريم الظلم (٢٥٨٣)، وأبو موسى هو عبدالله بن قيس بن الأشعري الصحابي توفي عام ٥٠ للهجرة وقيل بعدها رضي الله عنه. الأعلام (٤/ ١١٤).

قال أبو حيان ~ : "أي ومثل ذلك الأخذ أخذ الله الأمم السابقة أخذ ربك، والقرى عام في القرى الظالمة، والظلم يشمل ظلم الكفر وغيره.

وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة، وأما الظلمة في الغالب فمعاجلون.." ثم بين الغرض من ذلك التهديد فقال: " إنّ في ذلك أي: فيما قص الله من أخبار الأمم الماضية وإهلاكهم لآية لعلامة لمن خاف عذاب الآخرة، أي: إنهم إذا عذبوا في الدنيا لأجل تكذيبهم الأنبياء وإشراكهم بالله، وهي دار العمل فلأن يعذبوا على ذلك في الآخرة التي هي دار الجزاء أولى، وذلك أنّ الأنبياء أخبروا باستئصال من كذبهم، وأشركوا بالله، ووقع ما أخبروا به وفق إخبارهم، فدل على أنّ ما أخبروا به من البعث والجزاء صدق لا شك فيه". (١)

ويقول سيد قطب ~ : "ذلك الأخذ الأليم الشديد في الدنيا علامة على عذاب الآخرة، يراها من يخافون عذاب الآخرة، أي الذين تفتحت بصائرهم ليدركوا أن الذي يأخذ القرى بظلمها في هذه الحياة سيأخذها بذنوبها في الآخرة، فيخافوا هذا العذاب..." (٢)

ولذلك فإن للتشبيه فوائد:

أولها: بيان قدرة الله البالغة وأنه لا يستطيع أحد من الخلق ولا أمة من الأمم - مها طغت وبغت- أن تفلت من حساب العليم الخبير ولا تنجو من عقاب القوي الجبار ذي البطش الشديد.

ثانيها: تخويف المعاندين المعاصرين وإخبارهم عما حاق بأسلافهم، وتذكيرهم بما سيناهم إذا سلكوا مسالكهم في الكفر واقتفوا آثارهم في طرق الغواية.

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٨٢).

ثالثها: طمأنة النبي ﷺ وأصحابه والمؤمنين في كل زمان بأن العاقبة للمتقين وأن الله منتقم من المجرمين في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

الآية العاشرة: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود:١٠٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي فمثل طريقة المشركين في العبادة بطريقة الآباء الضالة في قوله تعالى: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾.

المشبه: عبادة مشركي مكة.

المشبه به: عبادة آباءهم الشركية وعقابهم كعقاب آبائهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإصرار على الشرك تقليداً.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

وفسر ابن جرير ~ هذا التشابه بقوله: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تَك في شك، يا محمد، مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام، أنه ضلالٌ وباطلٌ، وأنه بالله شركٌ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ ، يقول: إلا كعبادة آبائهم، من قبل عبادتهم لها، يُخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدُوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعًا منهم منهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهموها، لا عن أمر الله إياهم بذلك، ولا بحجة تبيَّنوها توجب عليهم عبادتها. ثم أخبر جل ثناؤه نبيَّه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ ، يعني: حظهم مما وعدتهم أن أوفّيهموه من خير أو شر ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ ، يقول: لا أنقصهم مما وعدتهم، بل أتمّم ذلك لهم على التمام والكمال"(١).

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٩١-٤٩٢).

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرۡيَةٍ﴾ نهي للنبي ﷺ أن يشك في بطلان ما يعبدون أو في سوء عاقبتهم، وهذا تعريض لغيره فحاشاه أن يشك ﷺ.[1]

﴿مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الأصنام الكثيرة والآلهة المتفرقة.

﴿مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ﴾ أي كعبادتهم فأنا معذبوهم كما عذبنا آباءهم من قبل.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٍ﴾ "يحتمل أن يكون المراد إنا موفوهم نصيبهم أي ما يخصهم من العذاب، ويحتمل أن يكون المراد أنهم وإن كفروا وأعرضوا عن الحق فإنا موفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد إنا موفوهم نصيبهم من إزالة العذر وإزاحة العلل وإظهار الدلائل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، ويحتمل أيضاً أن يكون الكل مراداً".[2]

أثر التشبيه في تفسير الآية:

نهى الله نبيه ﷺ وأمته من بعده عن الشك فيما يعبد هؤلاء المشركون ثم بين أن العلة في النهي أن هؤلاء ليس لهم مستند في عبادتهم تلك والحق أنهم إنما يقلدون آباءهم بجهل، فلا هدى ولا كتاب منير.

لقد بين التشبيه أنهم شابهوهم من حيث كفرهم وعبادة مالا ينفعهم ولا يضرهم، فكانت العاقبة أن شابهوهم أيضاً في جني ثمار كفرهم وحصاد تعنت عقولهم المقلدة الجاهلة فوفاهم الله نصيبهم من الرزق في الدنيا كما فعل بأشياعهم من قبل،

(١) قال أبو حيان ~ : (والخطاب في فلا تك متوجه إلى من داخله الشك، لا إلى الرسول ﷺ، والمعنى: والله أعلم قل يا محمد لكل من شك لا تك في مرية مما يعبد هؤلاء، فإنّ الله لم يأمرهم بذلك، وإنما اتبعوا في ذلك آباءهم تقليداً لهم وإعراضاً عن حجج العقول.) البحر المحيط (٥/ ٢٦٥).

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ٥٥).

وسيمتد عدله سبحانه لينالهم في الآخرة ما نال سابقيهم من النكال وما كان ربك نسياً.

وفي توفيته سبحانه لهم رزقهم مع ما هم فيه من الكفر والإعراض دليل على سعة رحمته جل وعلا، وفيه كذلك إشارة لطيفة لكيلا يظن ظانٌّ أن هذه التوسعة في الرزق دليل على رضاه سبحانه عنهم فإن الله يعطي الدنيا لمن يحب و من لا يحب ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحب[1] كما قال الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦].

وجاء التشبيه بصيغة المضارع في قوله: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾

من أجل استحضار الصورة ولبيان أن فعل التقليد في الشرك، ومجابهة الحق وتبني الباطل أمر مستمر عند القوم ولا ينفك عنهم.

وفي توجيه الخطاب للنبي ﷺ دون توجيهه مباشرة للمعنيين بالخطاب تعريض جميل يوحي بأنه حديث عن حقائق تاريخية وصور مكروهة مكرورة متجددة لمن لا خلاق لهم على مر العصور وليس فيه جدال مع أحد بعينه، ولا خطاباً للمتلبسين بها، إهمالاً لهم وقلة انشغال بهم، [2]، وهذا أسلوب عظيم النفع يتطلبه الخطاب الدعوي في بعض مراحله.

وكذلك فإن في هذا التشبيه تسلية للنبي ﷺ بأن لا يحزن على المكذبين المصرين على الكفر، لأن مصيرهم إلى النار وعاقبة سعيهم إلى بوار كما فعل أسلافهم وما باءوا به في آخرتهم.

---

(١) هذا المعنى من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد تقدم تخريجه عند الآية السادسة من سورة هود.

(٢) انظر في ظلال القرآن (٤/ ١٩٣٠)

الآية الحادية عشرة: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود:١١٢]

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته ولم يذكر وجه الشبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾.

المشبه: الاستقامة في المستقبل.

المشبه به: الاستقامة المأمور بها.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكمال والاستمرارية.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

ويفسر ابن جرير ~ الاستقامتين بقوله: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، يقول: ومن رجع معك إلى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾، يقول: ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾، يقول: إن ربكم، أيها الناس، بما تعملون من الأعمال كلِّها، طاعتها ومعصيتها " بصير "، ذو علم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصرٌ. يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله، أيها الناس، أن يطَّلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعلمون، وهو لكم بالمرصاد" [1].

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٩٩).

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ على ما أمرت به من العقائد والشرائع.

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ المؤمنين التائبين من الشرك.

﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ لا تتجاوزوا حدود الله.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فلا يخفى عليه منكم شيء فيجازيكم به.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد حوى هذا التشبيه كل ما يمكن أن يخطر بذهن الإنسان من الأمور المطلوب الاستقامة عليها فاختصرها سبحانه في عبارة واحدة ﴿كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ فلا إفراط ولا تفريط ولا جفاء ولا غلو، بل لزوم للحق ما بقي الخلق.

والآية جاءت لتعقب على قصص الهالكين من الأمم سالفة الذكر واختلافهم على أنبياءهم، طمأنة للنبي ﷺ بأنه لن يسأل عنهم ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾ [البقرة:١٣٤].

وابتداء الجملة بالفاء كأنه يقول للنبي ﷺ والأمة من بعده إذا كان قوم موسى ومن قبلهم قد اختلفوا وخالفوا وطغوا وتمردوا فلا تلتفتوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلالة ولكن ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥] أأطروها على الحق وألزموها طريقه.

إن المعنى العظيم الذي اشتمل عليه هذا التشبيه قد أدركه النبي ﷺ وقدره حق قدره فكان سببا في شيبته بأبي هو وأمي، كما في قوله جواباً لأصحابه عندما سألوه عن سبب انتشار الشيب فيه "شيبتني هود وأخواتها"(١).

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٢٩٧) مطولاً والحاكم في المستدرك (٣٢٧٢)، وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ولفظه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ: "شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"

وقد خرج الحديث الألباني في الصحيحة (٣٥)، و (٩٥٥)، وقال إسناده جيد.

ولا ريب أن الاستقامة على الأمر أشق من إدراك الأمر ابتداءاً فالاستقامة تتطلب معرفة الطريق واليقظة التامة والتحري الكامل والتدبر الدائم والانتباه والحذر من تعدي حدود الله والثبوت على ذلك الأمر مدى العمر(1).

وفي التشبيه درس بليغ لكل مسلم وهو أن المطلوب منه هو الثبات ولزوم طريق الاستقامة الشاق، ويزيد من مشقته أنه طريق واحد مخصوص لا ثاني له وهو طريق محمد ﷺ الذي أمر به، فكل زيغ أو انحراف عنه فهو انحراف عن طريق الاستقامة المأمور بها، وكلما كان العبد من السنة أقرب كان أوفر حظاً من تلك الاستقامة جعلنا الله من أهلها.

ولم يكتف النبي ﷺ بامتثال الأمر في نفسه بل أوصى به أمته من بعده وذلك من تمام أداءه للأمانة وتبليغه للرسالة فقال لسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ حين قَالَ: (قُلْتُ يَا رَسُولَ الله قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِالله ثم استقم)(2).

وفي اكتفائه عليه الصلاة والسلام بهذه الوصية الجامعة المانعة دليل على عظمة وأهمية هذه المعاني التي جاء بها التشبيه..

فالاستقامة أمرٌ آخر زائد عن الإيمان ولكنه يعني الثبات على ذلك الإيمان وما يقتضيه حتى الممات فلا تواني أو تكاسل ولا غلو ولا ابتداع، وإنما لزوم هدي محمد ﷺ بحسن الاتباع.

(1) انظر في ظلال القرآن (٤/ ١٩٣١).

(2) رواه الإمام أحمد (١٤٨٧٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٨٩)، والترمذي (٢٤١٠)، وقال حديث حسن صحيح ورواه أيضاً ابن ماجة (٣٢٠٨)، وأصله في صحيح مسلم برقم (٦٨) إلا أن لفظ مسلم: فاستقم بدلاً من قوله ثم استقم، وسفيان هو ا بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث، و يقال سفيان بن عبد الله بن حطيط الثقفى، أبو عمرو و يقال أبو عمرة، الطائفى الصحابي رضي الله عنه.

المبحث الثالث: التشبيهات القرآنية في

سورة يوسف

وعددها (٤) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦].

وصف التشبيه وتحليله:

هذه الآية فيها تشبيهان منفصلان بيانهما كالتالي:

نوع التشبيه الأول: تشبيه مرسل مجمل في قوله ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾.

المشبه الأول: اجتباء الله ليوسف عليه السلام في مستقبل أيامه.

المشبه به الأول: اجتباء الله له بما خصه به من الرؤيا وما فيها من مزيد عنايته سبحانه بيوسف عليه السلام.

أداة التشبيه الأولى: الكاف في قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾.

وجه الشبه الأول: العناية والرعاية الإلهية.

نوع التشبيه الثاني: تشبيه مرسل مفصل[1][2]، وذلك في قوله تعالى:

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣١).

(٢) وقوله تعالى: (ويعلمك) يمكن أن يدخل في التشبيه كما نقل ذلك الآلوسي وإن كان قد استبعد صحته فقال: (وَيُعَلِّمُكَ) ذهب جمع إلى أنه كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه أراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما أخبر به على طريق التعبير والتأويل أي وهو (يعلمك) (وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الاحاديث) أي ذلك الجنس من العلوم، أو طرفاً صالحاً منه فتطلع على حقيقة ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول، وعلل عدم دخوله تحت التشبيه بأن الظاهر أن يشبه الاجتباء بالاجتباء والتعليم غير الاجتباء فلا يشبه به، ونظر فيه بأن التعليم نوع من الاجتباء والنوع يشبه بالنوع، وقيل: العلة في ذلك أنه يصير المعنى ويعلمك تعليماً مثل الاجتباء بمثل هذه الرؤيا ولا يخفى سماجته فان الاجتباء وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ولم يلاحظ في التعليم ذلك.

وقال بعض المحققين: لا مانع من جعله داخلاً تحت التشبيه على أن المعنى بذلك الإكرام بتلك الرؤيا أي =

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ﴾.

المشبه الثاني: إتمام النعمة على يوسف وعلى ذرية يعقوب عليهما السلام.

المشبه به الثاني: إتمام النعمة على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

أداة التشبيه الثانية: الكاف.

وجه الشبه الثاني: ما أوتوا عليهم السلام من النبوة والعلم والحكمة.

غرض التشبيهين: تزيين حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يوضح الطاهر بن عاشور ~ التشبيه الأول ويطلق عليه تشبيه تعليل في قوله: " والتشبيه هنا تعليل لأنه تشبيه أحد المعلولين بالآخر لاتحاد العلة. وموقع الجار والمجرور وموقع المفعول ل﴿يَجْتَبِيكَ﴾ المبين لنوع الاجتباء ووجهه "[1].

كما يوضح التشبيه الثاني بقوله: "والتشبيه في قوله ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ تذكير له بنعم سابقة، وليس مما دلت عليه الرؤيا. ثم إن كان المراد من إتمام النعمة النبوة فالتشبيه تام، وإن كان المراد من إتمام النعمة الملك فالتشبيه في إتمام النعمة على الإطلاق"[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كالذي رأيت من سجود الكواكب لك في المنام.

﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يختارك ويصطفيك.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ يعلمك تعبير الرؤيا.

= كما أكرمك بهذه المبشرات يكرمك بالاجتباء والتعليم ولا يحتاج في ذلك إلى جعله تشبيهين وتقدير كذلك. (روح المعاني) (١٢/ ١٨٥).

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢١٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٢١٧).

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ النعمة هي النبوة وقيل النبوة والملك.(١)

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ذرية يعقوب عليه السلام.

قال ابن جرير ~ : "وقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ باجتبائه إياك، واختياره، وتعليمه إياك تأويل الأحاديث ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يقول: وعلى أهل دين يعقوب، وملته من ذريته وغيرهم ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ ، باتخاذه هذا خليلا وتنجيته من النار، وفدية هذا بذبح عظيم".(٢)

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ المقصود هنا النبوة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يعلم أحوال خلقه ومن هو أهل للنبوة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، وهو حكيم بصنعه وتدبيره في خلقه.

أثر التشبيهين في تفسير الآية:

للتشبيهين أثر واضح في تعزيز تلك المعاني الجليلة في نفس يوسف عليه السلام وزرع الثقة فيها، وأبرز التشبيهان أن رؤياه عليه السلام ما هي إلا إرهاصات ومبشرات تتسابق إليه لتعده مبكراً للمنزلة السنية والمكانة العلية التي تنتظره وهي النبوة، ولهذا أدرك يعقوب عليه السلام تلك البشائر بما آتاه الله من العلم والحكمة، فأطلق هذه العبارات التي تشع فرحاً وينطلق من جنباتها الثقة والفخر والفرح والخوف، فأما الثقة فبصدق وعد الله، وأما الفخر فبهذا الابن المبارك الذي سيحوز تلك المنزلة ويتسنم تلك الدرجة الرفيعة، وأما

(١) قال ابن عاشور: " وإتمام النعمة عليه هو إعطاؤه أفضل النعم وهي نعمة النبوءة، أو هو ضميمة الملك إلى النبوءة والرسالة، فيكون المراد إتمام نعمة الاجتباء الأخروي بنعمة المجد الدنيوي" التحرير والتنوير (١٢/ ٢١٦).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٥٦١) قلت: وقول ابن جرير ~ بتنجية إسحاق عليه السلام من الذبح غير مسلم لأن الصحيح الثابت أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لا إسحاق عليه السلام. قال ابن كثير (وَإِسْحَاقَ)، ولده، وهو الذبيح في قول، وليس بالرجيح. (تفسير القرآن العظيم) (٢/ ٦١٧).

الفرح فإذا لم يكون بالنبوة في العقب فبماذا يكون؟، وأما الخوف فعلى هذا الصبي ومن المصائب التي تحدق به وتوشك أن تحل عليه إذا علم إخوته بذلك الفضل.

وفي التشبيه أيضاً اعتراف من يعقوب عليه السلام بالمنة والفضل لله ونسبة نعمة النبوة لله والتحدث بها، وكذلك رغبته الملحة وأمله الكبير في أن يجود الله بنعمة أخرى مواتية لذريته وموازية للتي نالها أبواه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

ومن آثار التشبيه صدق الأثر: (رؤيا الأنبياء وحي). (1)

ومن آثار التشبيه أنه أفرد النعمة وعرفها بالإضافة ليفيد الاختصاص وكأنه يقول هذه النعمة الحقة وأما غيرها فتبع لها، فالنعمة التي لا يعدلها نعمة هي نعمة الدين ومصداق ذلك قوله تعالى ممتناً على نبيه محمد ﷺ بنعمة الإسلام: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

فأعظم نعمة تستحق أن يفرح بها العبد هي نعمة الدين.

ومن آثاره كذلك تواضع يعقوب عليه السلام وإغفاله ذكر نفسه في الآباء الصالحين.

ومن الآثار والفوائد: أنه ينبغي للآباء أن يغرسوا الثقة في الأبناء وخصوصاً منهم النجباء، وأن يجتهدوا في تربيتهم على المثل العليا وتذكيرهم بنعم الله عليهم وربطهم بالقدوات الصالحة، كما فعل يعقوب عليه السلام مع ابنه الصغير يوسف عليه السلام بل مع أبنائه جميعاً كما حكى الله ذلك عنه في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة:١٣٢]، فربط الناشئة بالقدوات المؤمنة العظيمة منهج نبوي من لدن إبراهيم عليه السلام وسار على نهجه حفيده يعقوب كما هو ظاهر الآية، وقد آتت هذه الغراس ثمارها اليانعة حينما كبر يوسف عليه السلام

---

(1) رواه البخاري (١٣٨) عن عبيد بن عمير موقوفاً في باب التخفيف في الوضوء انظر فتح الباري (١/ ٢٣٨)، ورواه الترمذي عن ابن عباس (٣٦٨٩)، ورواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس (٣٥٧٢)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وذكره الألباني في كتاب صحيح سنن الترمذي (٣٦٨٩)، وقال: صحيح.

فحماه الله من فتنة امرأة العزيز وثبته في السجن فكان يدعو إلى الله في سجنه كما حكى الله عنه في حديثه إلى جليسيه في السجن: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف:٣٧-٤٠]، فدعاهما إلى الله ورغبهما في ملة آباءه القويمة التي تربى عليها والتي تدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ونبذ الشرك وأهله، إنها الدعوة التي تربى عليها والمثل العليا التي أُرضِع حبها فأُوزِع فيما بعد شكرها وتطبيقها، ثم أفتاهما بعد ذلك في رؤياهما.

ومن أهم آثار التشبيه الثاني بيان ضعف قول القائلين-كابن عاشور- بأن المقصود بالنعمة هو الملك لأن التشبيه يقتضي المماثلة بأبويه إبراهيم وإسحاق ومعلوم أنهما لم يكونا ملكين وإنما كانا نبيين، فيكون التشبيه قد أسهم في ترجيح قول القائلين بأن النعمة هي النبوة[1].

(١) قول ابن عاشور تقدم في الصفحة (١٢٠).

الآية الثانية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف:٢١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته دون وجه الشبه وذلك في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

المشبه: تنجية الله له من القتل والجب وتعطيف قلب العزيز عليه.

المشبه به: تمكين يوسف عليه السلام.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: قدرة الله وعنايته بنبيه عليه السلام.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

ويوضح الطاهر بن عاشور التشبيه بقوله: " تنويها بأن ذلك التمكين بلغ غاية ما يطلب من نوعه بحيث لو أريد تشبيهه بتمكين أتم منه لما كان إلا أن يشبه بنفسه"[(١)]

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ أي العزيز قال لامرأته زليخا وقيل اسمها راعيل بنت رعائيل كما روى ابن جرير[(٢)].

﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أكرمي منزلته ومكان إقامته.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أي ننتفع به كما ينتفع بالعبيد، أو نتبناه

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٦).

(٢) جامع البيان (١٥/ ١٨).

فنستمتع به كما لو كان ولدنا.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي كما أننا نجيناه حينما ألقي في الجب ورفعنا مكانته في قلب العزيز، مكنا له في أرض مصر وقلوب أهلها.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هي أرض مصر حتى بلغ تلك المنزلة.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ نعلمه تعبير الرؤيا.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ أي لا يعجزه ولا يتعاظمه شيء.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المقصود الكفار.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

صور التشبيه عظمة التمكين الذي مكنه الله ليوسف في الأرض وكأنه غاية التمكين الذي يتمناه كل أحد كما قال ابن عاشور ~ : (تنويهاً بأن ذلك التمكين بلغ غاية ما يطلب من نوعه بحيث لو أريد تشبيهه بتمكين أتم منه لما كان إلا أن يشبّه بنفسه.......... والسفاهة كاسمها) [1].

وقد يكون المقصود تشبيه التمكين ليوسف عليه السلام بالنعم العظيمة التي امتن بها عليه حين نجاه من قتل إخوته ومن الجب وترقيق قلب العزيز عليه، وذلك لأن كلا من الأمرين يعد من نعم الله الكبيرة التي تستحق التذكير بها ليعرف المنعَم عليه قدرها فيشكرها حق شكرها.

وليست نعمة التمكين في الأرض هي الوحيدة بل هناك نعم أخرى عظيمة ومنها تعليمه تأويل الرؤى والأحاديث وهذه كلها أمور بيد الله وحده وليست مما

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٦)، والبيت كما جاء في قصيدة النابغة الذبياني كالتالي:

نَبِئتُ زُرعَةَ وَالسَفاهَةُ كَاسمِها ... يُهدي إِلَيَّ غَرائِبَ الأَشعارِ

وانظر ديوان النابغة الذبياني (١/ ٢٢٢).

يحصله المرء باجتهاده بل هي هبة كريمة من الكريم الوهاب، ولذلك عقب بقوله ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ فلا مجبر أو مكره له، ولا متقدم بين يديه، ولا راد لفضله ولا مانع لعطائه، ولكن الحقيقة السائدة في كل زمان وفي كل أمة والتي تفرض نفسها في واقع الحياة أن ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وعلى أي من المعنيين فإن التشبيه قد أبرز هذا التمكين في صورة رفيعة تسر الناظرين وتستدر شكر العارفين وتظهر منة رب العالمين.

الآية الثالثة: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾ [يوسف:٣١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[1] وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

المشبه: يوسف عليه السلام.

المشبه به: ملَك من الملائكة.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: شدة الحسن والجمال.

غرض التشبيه: تزيين حال المشبه.

وقد أوضح عبدالقاهر الجرجاني طبيعة التشبيه في الآية بقوله: " ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، وذلك أن قوله: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ، مشابك لقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ ومداخل في ضمنه من ثلاثة أوجه: وجهان هو فيهما شبيه بالتأكيد، ووجه هو فيه شبيه بالصفة " [2].

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بقولهن فيها وغِيبتهنّ لها، وقيل هو مكر على الحقيقة حيث تكلمن فيها من أجل أن تخرج لهن يوسف عليه السلام ليظفرن بمشاهدته[3].

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٣).

(٢) دلائل الإعجاز (١/ ٢٢٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٢٦).

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طلبت حضورهن وأعدت مكاناً لجلوسهن وفيه طعام يقطع بالسكين.

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعطت كل واحدة سكيناً ثم أمرت يوسف بالخروج لكي يرينه، فهالهن جماله وأعظمنه حتى أنهن من هول المفاجأة.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لأن قلوبهن قد شغفت فشغلت بيوسف عليه السلام.

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ كلمة يراد بها التنزيه.

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ليس جماله يشبه شيئاً من جمال البشر لكنه جمال أعظم من ذلك لا نرى ما نشبهه به إلا بجمال الملائكة.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد ترك هذا التشبيه جملة من الآثار في تفسير الآية:

أولها: أن المركوز في أفهام الناس أن أحسن الأحياء صورة هم الملائكة، وأن أقبحها صورة الشياطين ولهذا يشبه بهما من تناهى حسنه أو قبحه وإن كان الناس لم يروهما، قال الزمخشري: "كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان، ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما، وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك، كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة، إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك، وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق، وجحودهم للعلوم الضرورية، ومكابرتهم في كل باب"(١).

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٤٠)، ويظهر من كلام الزمخشري هذا مدى تعنته وانتصاره لمذهبة ووقيعته في أهل السنة ووصفهم بالفئة المجبرة الخاسئة عفا الله عنه وغفر له.

قلت: لكن الحق الذي ينبغي أن يرجع إليه ويعول عليه هو أن خلق الإنسان أفضل على وجه العموم بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤].

والعجب من كثير من المفسرين الذين تعرضوا لتفسير هذه الآية ولم يردوا تلك الأفكار المتوارثة من ديانات سالفة واعتقادات بالية..

ثانيها: أن يوسف عليه السلام قد أوتي حسناً عظيماً شده أبصار النسوة فدهشن حتى لم يكتفين بأي تشبيه بل أتين بالتشبيه البليغ الذي حذفت فيه أداة التشبيه فكأن المشبه هو عين المشبه به، ولم يكتفين بذلك بل أكدنه بعدة مؤكدات منها تنزيه الله، ونفي بشرية يوسف عليه السلام، والاستثناء المفيد للحصر، وزيادة على ذلك وصفنه بالكرم ﴿إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾...

بالإضافة إلى ما كان من حالهن فقد شغفت قلوبهن به فشغلت حتى أفقدهن ذلك الإحساس بالألم فقطعن أيديهن وهن بلا شعور.

كل هذه المؤكدات تبين مدى ما أصاب أولئك النسوة من إعجاب بيوسف وما آتاه الله من الحسن ومصداق ذلك ما جاء في حديث الإسراء الطويل حيث قال ﷺ: (ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ) (١).

ثالثها: أن أولئك القوم لديهم بقايا من دين وإن كان قد غلب عليهم الكفر والشرك ويظهر ذلك في قولهن: ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ وكذلك ذكر الملك ووصفه بالكريم.

رابعها: في إعجابهن الشديد إشارة وتوطئة لمراودتهن كلهن ليوسف عليه السلام كما في الآيات التالية لهذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) رواه مسلم في باب الإسراء بالنبي ﷺ برقم (٣٣٠)، والإمام أحمد (١٢٥٢٧).

ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ [يوسف:٣٣-٣٤].

خامسها: في الآية بيان لخطر الإفتتان بالنساء وخصوصاً في الخلوات .

وصدق الصادق المصدوق ﷺ حين قال: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ) [1].

سادسها: بينت الآية وما قبلها كيف مكرت امرأة العزيز فادعت أن المراودة كانت من يوسف عليه السلام، وكيف مكر النساء بها ونالوا منها من أجل أن تخرج لهم يوسف عليه السلام فتقر أعينهن بنظرة إليه، ثم مكرت هي بهن وأعدت المكان والسكاكين، من أجل أن تظهر براءتها لهن، وقد شهد على هذا المكر والكيد شاهد من أهلها وهو العزيز نفسه بل أكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف:٢٨].

سابعها: أن الله مع المتقين، يتولاهم برعايته ويكلأهم بعنايته ويحيطهم بحمايته، وإن أولى المتقين بتلك العناية وذلك الحفظ هم أنبياء الله المصطفين الأخيار الذين هيأهم الله لتبليغ رسالته وأهلهم لحمل أمانته، فحاشاه سبحانه أن يخذلهم أو يكلهم إلى أنفسهم، أو يسلط عليهم من يفتنهم، فكيف إذا صاحب ذلك دعوة صادقة وتضرع مخلص من ذلك النبي الصالح، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

والفوائد من قصة يوسف عليه السلام لا تكاد تحصر، ولكن اكتفيت بما له علاقة مباشرة بهذه الآية والله تعالى أعلم.

(١) رواه البخاري في باب ما يتقى من شؤم المرأة برقم (٥٠٩٦). انظر فتح الباري (٩/ ١٣٧)، ومسلم (٧٠٤٥).

المبحث الرابع: التشبيهات القرآنية في

سورة الرعد

وعددها (٨) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد:١٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي[1]. حيث شبه عدم استجابة المدعوين باستجابة الماء لمن يسأله أن يأتي إلى فيه وأنى له ذلك.

المشبه: المشركون حينما يدعون آلهتهم ويرجون نفعها فلا تستجيب لهم تلك الآلهة بشيء.

المشبه به: من يحاول أن يحمل الماء إلى فيه وذلك في كفين مبسوطتين غير مقبوضتين وأنى له أن يبلغه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: طلب المحال، والجهل وسوء التقدير للأمور.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يبين الطاهر بن عاشور ~ طبيعة التشبيه بقوله: " والكلام تمثيلية شبه حال المشركين في دعائهم الأصنام وجلب نفعهم وعدم استجابة الأصنام لهم بشئ بحال الظمآن يبسط كفيه يبتغي أن يرتفع الماء في كفيه المبسوطين إلى فمه ليرويه وما هو ببالغ إلى فمه بذلك الطلب فيذهب سعيه باطلا".[2]

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي لله وحده كلمة الحق وهي (لا إله إلا الله)، فيجب أن يكون دعاء العبادة ودعاء المسألة له ﷻ فلا يصرف الدعاء، والرغبة والرهبة والحب

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤١).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/ ١٠٩).

والخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة والإنابة إلا له؛ فهو الإله الحق، وما سواه باطل.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعبدون غيره.

﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ أي شيء قليل كان أو كثير من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة.

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي إلا مثل استجابة باسط كفيه باتجاه الماء في البئر يسأله أن يأتي إلى فيه فلا يجيبه لأنه جماد، أو كمن يحمل الماء في كفين مبسوطتين ليوصله إلى فيه فلا يبقى على كفيه شيء، فكذلك آلهتهم ما هي بمستجيبة لهم.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي وما عبادتهم الآلهة، أو دعاءهم الله مع الشرك إلا ضياع.

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد صور التشبيه المشركين في دعائهم الأصنام تصويراً واضحاً فاضحاً فلا يمكن أن تراه في صورة أبلغ ولا أوضح من تلك الصورة، صورة العطشان الهائم على وجهه حتى إذا ما وجد الماء، أقبل عليه ومد يديه إليه سائلاً ومتوسلا للماء أن يتحرك من مكانه باتجاه فيه فيروي عطشه، وذلك ما لا يقول به من له مسحة من عقل.

فكذلك تلك الأصنام لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، فكيف تنفع غيرها. قال الزمخشري ~ : "إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم، وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطها ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً

ولم يبلغ طلبته من شربه"[1].

إنه تشبيه صادق يدعو أصحاب العقول ليتفكروا في أنفسهم وآلهتهم، أفمن يخلق أحق أن يعبد أم من لا يخلق، أفمن يرزق أحق أن يشكر أم من لا يرزق، أفمن يضر وينفع أحق أن يخشى ويرجى أم من لا يضر ولا ينفع، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء:٧٨].

ومن عجائب التشبيه أنه يرينا المشرك في غاية من العطش ولا يستطيع أن يصل إلى مبتغاه من الماء ليشرب، وهو يعيش في جو بينته الآيات السابقة، إنه الجو الذي قد ملأه البرق والرعد والسحاب الثقال..[2]

ومن آثار التشبيه أنه أورد نفي الاستجابة بصيغة المضارع التي تفيد التجدد والحدوث في الماضي والحاضر والمستقبل على حد سواء.

وفي الآية إثبات للاستجابة لله، بل حصر لها عليه ﷻ دون سواه، يفيد ذلك التقديم في قوله ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾.

وفي تنكير ﴿بِشَيۡءٍ﴾ إطلاق، فلا يمكن أن تنفعهم أو تضرهم تلك الأصنام بشيء، أي شيء مهما كان قدره.

ثم إن ختم الآية بتلك الجملة تأكيد بعد تأكيد أن سعيهم في خسار، وأن دعائهم في ضياع سواء دعوا تلك الأصنام، أم دعوا الله مع تلبسهم بالشرك وإصرارهم عليه.

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٩١).

(٢) انظر في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٥٢).

الآية الثانية: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد:١٦].

وصف التشبيه وتحليله:

في الآية تشبيهان بليغان وتشبيه مرسل منفي وبيانها كالتالي:

المشبه الأول: المشرك والمؤمن، في قوله تعالى: ﴿أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

المشبه به الأول: الأعمى والبصير.

أداة التشبيه: محذوفة.

المشبه الثاني: عبادة المشرك وعبادة المؤمن، في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾.

المشبه به الثاني: الظلمات والنور.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: معرفة الحق وإدراكه ومن ثم اتباعه في مقابل الجهل بالحق والمكابرة بالباطل.

غرض التشبيه: تزيين المشبه (المؤمنين) وتقبيح المشبه الآخر (الكفار).

التشبيه الثالث: تشبيه مرسل مفصل[1] منفي بالاستفهام، في قوله: ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾.

المشبه الثالث: خلق الشركاء.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣١).

المشبه به الثالث: خلق الله.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: في العظمة والإبداع.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يوضح الطبري ~ التشبيهات الثلاثة بقوله: " قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عَبدُوا من دون الله الذي بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضرُّ: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الذي لا يُبصر شيئًا ولا يهتدي لمحجة يسلكها إلا بأن يُهدى و" البصير" الذي يهدي الأعمى لمحجة الطريق الذي لا يُبصر؟ إنهما لا شك لغير مستويين. يقول: فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يُبصر الحق فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه، وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رَشَدًا.

وقوله: ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ ، يقول تعالى ذكره: وهل تستوي الظلماتُ التي لا تُرى فيها المحجة فتُسْلَك ولا يرى فيها السبيل فيُرْكَب والنور الذي تبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظّلام؟ يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله إنما صاحبه منه في حَيرة يضرب أبدًا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفةٍ منه بأن له مثيبًا يثيبه على إحسانه ومعاقبًا يعاقبه على إساءته ورازقًا يرزقه ونافعًا ينفعه.

وقوله: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أَخَلَق أوثانُكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله خلقًا كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرُها فيما خَلقت وخَلَق الله فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهابُ عن الصواب؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أنّ عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهلٌ، وأن العبادة إنما تصلح للذي يُرْجَى نفعه

وُيخْشَى ضَرَّه، كما أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهلُ فاعله، كذلك لا يشكل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويَمُونه، من لا يقدِرُ له على ضررّ ولا نفع." (١)

﴿قُلْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ بأن يخبر قومه وكل من يصح له الخطاب.

﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ استفهام إنكاري وذلك لأنهم يقرون بربوبيته كما في آيات أخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف:٩]

فإن لم يجيبوك خشية أن تلزمهم بتوحيده، فأجبهم أنت بأنه الله وحده. قال الزمخشري ~ : "﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم؛ لأنه إذا قال لهم: من رب السموات والأرض، لم يكن لهم بدّ من أن يقولوا الله. كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧] وهذا كما يقول المناظر لصاحبه: أهذا قولك فإذا قال: هذا قولي، قال: هذا قولك، فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه، ثم يقول له: فيلزمك على هذا القول كيت وكيت. ويجوز أن يكون تلقيناً، أي: إن كفوا عن الجواب فلقنهم، فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه" (٢).

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أين ذهبت عقولكم حتى تتولوا غيره مما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن ينفعوا غيرهم؟

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ وهذا مثال للكافر والمؤمن.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ شبه عبادة غيره سبحانه بالظلمات التي لا يمكن فيها إدراك المبصرات وشبه الإيمان به بالنور الذي تُرى فيه الأمور على حقيقتها. ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي هل اختلط عليهم خلق الشركاء بخلق

(١) (جامع البيان (١٦/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) الكشاف (٢/ ٤٩٢).

الله فلذلك ظنوا أنهم يستحقون العبادة؟ وهذا استفهام إنكاري تهكمي معناه ليس الأمر كما يظنون، فلا أحد يستحق العبادة إلا الخالق الحق سبحانه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ فإذا كان المتفرد بخلق كل شيء وحده، وهو مع ذلك قاهر فوق عباده، فهو الأحق بأن يوحد لا سواه.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

تركت هذه التشبيهات آثاراً عدة في تفسير الآية منها:

أولا: الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، فأمر النبي ﷺ أن يسألهم من رب السموات والأرض فإن أجابوا بأنه الله، لزمهم الاعتراف بأحقيته وحده بالعبادة لأنه الخالق الأوحد.

وإن لم يجيبوا فليقل لهم ﷺ أن الله هو الخالق، ثم ليسألهم هل يصح اتخاذهم شركاء من دونه يتولونهم، والحال أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟ وفي هذه الأسئلة دفع لشبهاتهم بالدليل العقلي والنقلي وجدال بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثانياً: في تشبيه المؤمن بالبصير وتشبيه الكافر بالأعمى موعظة بليغة ونصيحة كافية تبين لكل ذي لب البون الشاسع بين الفريقين، فالتشبيه يقول للقوم إن الفرق بين الحق والباطل من الوضوح بمكان بحيث لا ينكره أحد إلا أن ينكر الفرق بين الأعمى والبصير.

ثالثا: في تشبيه حال الكفار بالظلمات بصيغة الجمع وحال المؤمنين بالنور بالإفراد دليل على أن الحق واحد وأن طرق الكفر كثيرة متعددة على مر العصور كما قال سبحانه ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس:٣٢].

رابعاً: تشبيه الكفر بالظلمات لأن الكافر لا يزال يتقحم دركات الكفر فينغمس في الشكوك والحيرة والجهالات، أما الإيمان فإنه لا يزال يترقى بصاحبه في درجات

السمو والرفعة، فهو كالنور الذي يجلي لصاحبه الأشياء فيراها على حقيقتها فيعيش على بصر وبصيرة فيسعد في الدارين.

خامساً: خمسة أسئلة احتوت عليها الآية كلها إنكارية، وإجاباتها كلها معروفة لديهم متقررة عندهم، لا يملكون حيالها إلا أن ينطقوا بالإجابة الصحيحة التي تلزمهم بالحقيقة المترتبة على تلك الإجابات وهي أحقية الله وحده بالعبادة دون سواه.

سادساً: في قوله ﷻ: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ تهكم وأي تهكم ليريهم الله ضحالة تفكيرهم وتهافت حجتهم، فإن كان لهم بقايا عقل فليثوبوا إليه وليعلنوها مدوية: لا خالق إلا الله ومن ثم فلا إله معبود بحق إلا هو.

والتشبيه هنا منفي دل على ذلك الاستفهام في قوله ﴿أَمْ جَعَلُواْ﴾ قال الآلوسي ~ : "والهمزة لإنكار الوقوع وليس المنكر هو الجعل لأنه واقع منهم وإنما هو الخلق كخلقه تعالى، والمعنى أنهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ بسبب ذلك وقالوا: هؤلاء خلقوا كخلق الله تعالى واستحقوا بذلك العبادة كما استحقها سبحانه ليكون ذلك منشأ لخطئهم، بل إنما جعلوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً عما يقدر عليه الخالق" (1).

وقيل أن الاستفهام بمعنى بل كما قال الشوكاني ~ : "أم" هي المنقطعة التي بمعنى بل والهمزة، أي: بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، والاستفهام لإنكار الوقوع(2).

وعلى أي من هذه المعاني فإن المقصود هو المبالغة في الإنكار على هؤلاء المشركين اتخاذهم أولياء جعلوهم شركاء لله وهؤلاء الشركاء لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون.

ومن أهم آثار التشبيه أن أهل السنة استدلوا بهذه الآية في مسألة أفعال العباد

---

(1) روح المعاني (١٣/ ١٢٨).

(2) فتح القدير (٣/ ١٠٥).

وأنها خلق لله قال الآلوسي: "وبعموم الآية استدل أهل السنة على أن أفعال العباد مخلوقة له تعالى، والمعتزلة تزعم التخصيص بغير أفعالهم" [(1)].

(1) روح المعاني (٣/ ١٢٩).

الآية الثالثة: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد:١٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مركب (تمثيلي) حيث شبه جملة من الأشياء بأشياء أخرى.

المشبه:

١) الحق المنزل من السماء الذي فيه حياة الأرواح.

٢) النفع الذي يحتاجه الناس.

٣) القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها فيه.

٤) الشهوات والشبهات التي في القلوب عند وصول الحق إليها.

المشبه به وهي على الترتيب:

١) الماء المنزل من السماء الذي فيه حياة الأبدان.

٢) النفع الحاصل من الماء.

٣) الأودية واختلافها في حملها للسيل.

٤) الزبد الذي يكون فوق الماء.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: حياة الروح بالقرآن وحياة الأرض بالماء وكلاهما منزل من السماء.

غرض التشبيه:

١) تزيين الحق ونفعه في التشبيهين الأولين.

٢) بيان حال القلوب في التشبيه الثالث.

٣) تقبيح الشهوات والشبهات في التشبيه الرابع.

تفسير الآية الكريمة:

فصل ابن عاشور ~ هذا التمثيل بقوله: " وجيء في هذا التسجيل بطريقة ضرب المثل بحالي فريقين في تلقي شيء واحد انتفع فريق بما فيه من منافع وتعلق فريق بما فيه من مضار. وجيء في ذلك التمثيل بحالة فيها دلالة على بديع تصرف الله تعالى ليحصل التخلص من ذكر دلائل القدرة إلى ذكر عبَر الموعظة، فالمركب مستعمل في التشبيه التمثيلي بقرينة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ الخ.

شبه إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء. وشبه ورود القرآن على أسماع الناس بالسيل يمر على مختلف الجهات فهو يَمرّ على التّلال والجبال فلا يستقر فيها ولكنه يمضي إلى الأودية والوهاد فيأخذ منه كُلّ بقدر سعته. وتلك السيول في حال نزولها تحمل في أعاليها زَبَداً، وهو رغوة الماء التي تربو وتطفو على سطح الماء، فيذهب الزبد غير منتفع به ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقي.

ثم شُبهت هيئة نزول الآيات وما تحتوي عليه من إيقاظ النظر فيها فينتفع به من دخل الإيمان قلوبهم على مقادير قوة إيمانهم وعملهم، ويمر على قلوب قوم لا يشعرون به وهم المنكرون المعرضون، ويخالط قلوبَ قوم فيتأملونه فيأخذون منه ما يثير لهم شبهات وإلحاداً. كقولهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧]. ومنه الأخذ بالمتشابه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧].

شبه ذلك كله بهيئة نزول الماء فانحدَارِه على الجبال والتلال وسيلانه في الأودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبداً لا ينتفع به ثم لم يلبث الزبد أن ذهب وفني والماء بقي في الأرض للنفع.

ولما كان المقصود التشبيه بالهيئة كلها جيء في حكاية ما ترتب على إنزال الماء بالعطف بفاء التفريع في قوله: ﴿فَسَالَتْ﴾ وقوله: ﴿فَٱحْتَمَلَ﴾ فهذا تمثيل صالح لتجزئة التشبيهات التي تركب منها وهو أبلغ التمثيل.

وعلى نحو هذا التمثيل وتفسيره جاء ما يبينه من التمثيل الذي في قول النبي ﷺ «مثَل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيّة قبلتْ الماء فأنبتت الكلأ والعُشْبَ الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناسَ فشربوا وسقَوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هي قيعَان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، مثلَ منْ فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلتُ به»[1].

ويشير ابن عاشور ~ إلى تمثيل آخر في قوله: " وجملة ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ معترضة بين جملة ﴿فَٱحْتَمَلَ﴾ الخ وجملة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ الخ.

وهذا تمثيل آخر ورد استطراداً عقب ذكر نظيره يفيد تقريب التمثيل لقوم لم يشاهدوا سيول الأودية من سكان القرى مثل أهل مكّة وهم المقصود، فقد كان لهم في مكة صواغون كما دل عليه حديث الإذخر، فقرب إليهم تمثيل عدم انتفاعهم بما انتفع به غيرهم بمَثَل ما يصهْر من الذهب والفضة في البواتق فإنه يقذف زبداً ينتفي عنه وهو الخَبث وهو غير صالح لشيء في حين صلاح معدنه لاتخاذه حلية أو متاعاً. وفي الحديث «كما ينفي الكير خبث الحديد»[2]، فالكلام من قبيل تعدّد التشبيه القريب"[3].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ المطر.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدارِ ما يمكن أن تحمل تلك الأودية على تفاوت بينها.

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ١١٦-١١٨). والحديث رواه البخاري باب فضل من علم وعلم (١/ ١٤١) ومسلم في باب بيان مثل مابعث الله به النبي (١١/ ٣٩٥).

(٢) هذا جزء من حديث في الصحيحين ولفظه «أُمِرْتُ بقَريةٍ تأكُلُ القُرَى، يقولون: يَثرِبُ، وهيَ المدينةُ، تَنفي الناسَ كما يَنفِي الكيرُ خَبَثَ الحَديد». رواه البخاري برقم (١٨٥٠) ومسلم (٣٣٠٦) وهذا لفظ البخاري.

(٣) التحرير والتنوير (١٣/ ١١٨- ١١٩).

﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗا﴾ الزبد ما يكون طافياً على وجه الماء من أقذار ونحوها.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي من الذهب والفضة و غيرهما.

﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ طلباً لزينة أو ما ينتفع به كالأواني ونحوها.

﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ أي أن ما ينفيه الكير مثل زبد السيل.

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾ أي يضرب الله مثل الحق والباطل ليبينها للناس.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ ما كان فوق السيل وما أُوقِد عليه من الجواهر.

﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ يرمى به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء النافع والجواهر المفيدة.

﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي يبقى في الأرض زماناً.

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ يبيِّنها.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هـذا مثـل ضربـه الله تعـالى ليتبـين للنـاس الفـروق بـين الحـق والباطـل والهـدى والضلال فالماء الصافي من الشوائب الباقي على هيئته التي أنزله الله عليها مثل القـرآن المنزل لأن في الأول حياة الأشباح وفي الثـاني حيـاة الأرواح، وبقـاء القـرآن والهـدى في القلوب، واختلاف تلك القلوب في الانتفاع به مثل الأودية وتفاوتها في حملهـا للسيل واستفادتها منه.

وفي الجانب الآخر مثل بالزبد للشهوات والـشبهات بينما الحق مثـل المـاء المفيـد الماكث في الأرض الذي به حياة أهل الأرض.

وهذه التشبيهات لها آثار جمة منها:

١) أنـه تـصوير قـرآني بـديع لا تجد أدق ولا أحـق ولا أليـق منـه لوصـف الحـق والباطل وتصارعهما على مر العصور، فالباطل قد يربوا وينتفش كما أن الزبد قد يطغى فيغطي الماء النافع لكنه يوشك أن يضمحل فلا يلقي له أحدٌ بالاً، أما الحق فيبدو هادئاً سـاكناً وديعـاً واثقـاً، وكأنـه يقـول لنـا لا يغـرنكم كثـرة الهـالكين ولا تستوحـشوا لقلـة السالكين فالحق المبين سيظهر ولو بعد حين.

٢) أن القرآن الكريم هو قوت القلوب وبه حياة الأرواح ولذلك قال ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ). [(١)]

٣) أن أفضل الذكر هو القرآن لأنه كلام الله المنزل لهداية الناس وسعادتهم.

٤) في قوله بقدرها بيان لعظيم حكمة الله سبحانه وتقديره، فهـو أعلـم بمنفعـة خلقـه، فتـسيل تلـك الأوديـة كـل بقـدر حاجتـه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد:٨].

---

(١) البخاري في باب فضل ذكر الله (٦٤٠٧) فتح الباري (١١/ ٢٠٨).

٥) في تنكير ما يوقد عليه إغفال وإهمال لما للذهب والفضة والمعادن من قيمة لتقل قيمتها في قلوب السامعين فيزهدوا فيها ولكي لا تشغلهم عن المراد الأعظم من التشبيه.

٦) في إيراد هذه التشبيهات المتتالية بعد ذكر جنات النخيل والأعناب التي تسقى بالماء، ثم الرعد والبرق والسحاب الثقال والصواعق، ثم باسط كفيه للماء، كل ذلك يشير إلى قدرة الله سبحانه وأنه ﷻ الخالق المتصرف في هذه الكونيات الهائلة وهو كذلك المتصرف في القلوب والأرواح فيستوي عنده صغائر الأمور وعظائمها ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه:٦].

ويشهد لتفسير هذه التشبيهات على النحو الذي ذكرنا ما جاء في الحديث الصحيح عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ﷻ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) [1].

٧) في ضرب الله جل وعلا هذه الأمثلة المتكاثرة البديعة التي توضح تلك الحقائق العظيمة أبلغ توضيح، دليل على بالغ رحمة الله بعباده وشفقته عليهم فلم يترك شاردة ولا واردة إلا بينها، وتنوعت الأساليب وتعددت التشبيهات لاستنقاذ الناس من وهدة الجهل ودركات الشبهات وحمأة ظلم النفس ولكي لا تكون لأحد حجة بعد الرسل ليهلك من هلك عن بينة.

---

(١) رواه البخاري، باب فضل من علم وعلّم(٧٩) فتح الباري (١/ ١٧٥)، ومسلم (٦٠١٧)، وهذا لفظ مسلم.

الآية الرابعة: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد: ٣٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل حيث ذكرت الأداة دون أن يذكر وجه الشبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ﴾.

المشبه: إرسال النبي ﷺ.

المشبه به: الإرسال البين المشار إليه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: ما يترتب على الرسالة وتبليغها وما نال الأنبياء من تكذيب.

غرض التشبيه: تزيين حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء من قبلك.

﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ﴾ فالأمم المكذبة السابقة لأمتك كثيرة.

﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي لتقرأ عليهم القرآن.

﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إشارة إلى قولهم وما الرحمن؟ قال ابن كثير ي ~ : (هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به، لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا "بسم الله الرحمن الرحيم" وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم. قاله قتادة، والحديث في صحيح البخاري وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أحب

الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن". [1]

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ خطاب للنبي ﷺ لأن يعرف قومه بأن الله هو الرب والإله الحق وعليه التوكل وحده.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

وضح التشبيه الحقيقة الثابتة وسنة الأمم الهالكة في تكذيب الرسل ومعاداتهم، ففيه طمأنة للنبي ﷺ بأنه ليس بدعاً من الرسل، فعليه أن يصبر كما صبروا فإنه بإذن الله منصور ممكن له كما نصروا وكانت العاقبة لهم كما وعدهم ربهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

وفيه تذكير بأحوال الأمم الخالية، فمآل الظالمين إلى الخسران في الدنيا والآخرة وإن طال ليل المظلومين وإن أمهل الله أولئك المجرمين كما قال ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

فطريق الدعوة إلى الله شاق وشائك وطويل، فللباطل جولات ولكن العاقبة للمتقين، ثم إن النبي ﷺ مأمور بتلاوة القرآن على الناس كما أمر الأنبياء من قبل أن ينذروا أقوامهم بما أنزل عليهم من الوحي، فمهما وجد من مشاق وعقبات في سبيل هذا التبليغ فما عليه إلا الصبر والتبليغ والله عليه الحماية والرعاية ويهب لمن يشاء من عباده الهداية.

وقد جاءت الآية لتأمر النبي ﷺ بأن يقرأ عليهم القرآن الذي هو أعظم الذكر وبه تطمئن قلوب المؤمنين "والعجيب أنهم يكفرون بالرحمن، العظيم الرحمة، الذي

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٧٧)، وفتح الباري باب عمرة القضاء (٧/ ٥٠٣)، وحديث ابن عمر الذي في صحيح مسلم هو في باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء برقم (٣٩٧٥).

تطمئن القلوب بذكره، واستشعار رحمته الكبرى... وما عليك إلا أن تتلو عليهم الذي أوحينا إليك، فلهذا أرسلناك. فإن يكفروا فأعلن لهم أن اعتمادك على الله وحده، وأنك تائب إليه وراجع، لا تتجه إلى أحد سواه"[1].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٦١).

الآية الخامسة: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد:٤٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه ضمني.

المشبه: مكر الكفار بالنبي ﷺ.

المشبه به: مكر الكفار من الأمم السابقة بأنبيائهم.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: محاولة إيذاء الأنبياء والكيد بهم.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

وقد فسر الطبري ~ هذا التشابه في قوله: " يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قَبْل هؤلاء المشركين من قُرَيشٍ من الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورُسله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، يقول: فلله أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه: يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك، يا محمد، والله منَجّيك من مكرهم، ومُلْحِقٌ ضُرَّ مكرهم بهم دونك. "[1]

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي الأمم السابقة مكرت بأنبيائها.

(١) جامع البيان (١٦/ ٤٩٩).

﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي أن المكر كله لله وليس لهم، فإن مكرهم قاصر إلا أن يشاء الله أن يتمه، أما مكر الله فإنه نافذ لا مانع له ولا راد.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيجازيها بما كسبت ومما كسبت هذا المكر بالنبي ﷺ.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي أن الكفار سيدركون لمن تكون العاقبة الحسنة في الآخرة، ألهم أم للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

قال ابن عاشور ~ : "شبه عملهم بالمكر وشبهه بعمل المكذبين السابقين كقوله ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ [الأنبياء:٦]. وفي هذا التشبيه رمز إلى أن عاقبتهم كعاقبة الأمم التي عَرفوها"(١).

في هذا التشبيه تسلية وتسكين للنبي ﷺ بأن مكر هؤلاء الكفار ليس بجديد على الله، فكذلك كان يمكر الكفار من قبل وذلك بمحاولة قتل أنبيائهم، وليس ذلك بخافٍ على الله الذي يعلم ما تكسب كل نفس، والمكر من كسبهم الذي يعلمه الله وسيجازيهم به وكيف يخفى عليه شيء خلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

"وزيادة في التسلية للنبي ﷺ قارن سبحانه بين مكرهم ومكره ﷻ فقدم لفظ الجلالة في قوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ للإختصاص أي أن المكر له جل وعلا وحده والبشر لا يملكون إلا الأسباب، وعرف بأل التعريف ليظهر مكرهم كلا مكر وأن المكر الحقيقي هو مكره سبحانه، وأكد كل ذلك بقوله جميعاً حتى لا يبقى ما يبعث على الخوف من مكرهم"(٢).

---

(١) إذا أخذنا بقول ابن عاشور أنه تشبيه. انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١٧٣).

(٢) المصدر السابق.

المبحث الخامس : التشبيهات القرآنية في

سورة إبراهيم

وعددها (٥) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم:١٥-١٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾.

المشبه: الماء الذي يشربه أهل النار.

المشبه به: الصديد.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الطعم والهيئة.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ﴾ استفتح الرسل بسؤال النصرة من الله كقول شعيب عليه السلام ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف:٨٩].

أو استفتح الكفار واستعجلوا العذاب كقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص:١٦].

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ أي خسر من تجبر على الله وعلى الخلق وعاند الحق وعادى المرسلين خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي أمامه جهنم بالمرصاد.

﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾ يشبه الصديد في كل شيء من طعمه ولونه ورائحته ومع ذلك فقد بلغ من الحرارة الغاية.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يتبلعه و يتغصصه مرة بعد مرة لشدة حرارته ومرارته.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي يزدرده مكرهاً لقبحه فإذا قربه من وجهه شواه ثم إذا وصل هذا الماء إلى جوفه قطع أمعائه حتى يخرج من دبره.

﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ﴾ أي: يتألم من هذا الشراب كل عضو من جسده وكل عظم وعرق وحتى من أطراف شعره(١).

وقيل: ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله، ومن كل موضع من أعضاء جسده وما هو بميت، لأنه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح، ولا يحيا لتعلُّق نفسه بالحناجر(٢).

وقيل أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت ولكن الله قضى أن لا يموتوا كما قال تعالى: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر:٣٦-٣٧] (٣).

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ أي من وراء هذا الجبار العنيد عذاب قوي أليم متصل وهوعذاب الآخرة قال الطبري ~ "ومن وراء ما هو فيه من العذاب يعني أمامه وقدامه" (٤).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

أبرز التشبيه الماء الذي يشربه أهل النار من الكفار كأنه عين الصديد لما بينهما من التشابه الكبير في لونه وطعمه ورائحته، تلك الصورة القبيحة المقززة التي لا يطيق الإنسان النظر فيها أو حتى إجالتها في خاطره فكيف يستطيع أن يبتلع هذا الماء الذي

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٤).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٥٥٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٩٤).

(٤) جامع البيان (١٦/ ٥٥٢).

بهذه الصفات، وإضافة إلى ذلك فهو غاية في الحرارة كما أنه قمة في النتن والمرارة.

فلما كان بهذا السوء، فإن الكافر لا يقدم على شربه ابتداءاً واختياراً من تلقاء نفسه وإنما يسقيه غيره فلا يملك إلا أن يتجرعه بالقوة ويتغصص به غصباً وقهراً، ثم يكون من آثار هذا الشراب أن يحيط به الموت من كل الجهات ويطرق الموت كل عضو من أعضائه فيتمنى الموت فلا يجده، ليس هذا فحسب بل هناك صنوف شتى من العذاب الغليظ الأليم الذي ينتظر هذا الكافر المعاند.

ففي التشبيه وعيد شديد لكل جبار عنيد، من طغى وبغى، من تعدى حدود الله، وتطاول وظلم نفسه بالكفر والشرك أو ظلم عباد الله، ورد وأعرض عما جاءه من هدى الله، وكل من حاد عن الحق وجانبه.

يقول سيد قطب ~ : "المشهد هنا عجيب، إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد... مشهد الخيبة في هذه الأرض... ولكنه يقف هذا الموقف، ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها، وهو يُسقى من الصديد السائل من الجسوم، يُسقاه بعنف فيتجرعه غصباً وكرهاً، ولا يكاد يسيغه، لقذارته ومرارته، والتعزز والتكره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات! ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان، ولكنه لا يموت، ليستكمل عذابه.. ومن ورائه عذاب غليظ..

إنه مشهد عجيب، يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروّع الفظيع، وتشترك كلمة ﴿غَلِيظٌ ﴾ في تفظيع المشهد، تنسيقاً له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين"(١).

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٩٣، ٢٠٩٤).

الآية الثانية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم:١٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: " تشبيه تمثيلي "[1] أخرج فيه المعقول في صورة المحسوس وذلك في قوله تعالى: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾.

المشبه: أعمال الكفار في عدم قبولها عند الله.

المشبه به: الرماد الذي أطارته الريح بشدة فأخذته في يوم شديد العصف ففرقته في أماكن متباعدة متفاوتة لا يمكن حصرها أو الوصول إليها.

أداة التشبيه: الكاف في قوله كرماد.

وجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من اضمحلال شيء كثير بعد تجمعه وهو هنا ضياع الأعمال وعدم الاستفادة منها كما يضيع الرماد في الريح فلا يتوصل إليه ولا ينتفع به[2].

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

ويتوقف ابن القم أمام هذا التمثيل مبينا ومفصلا بقوله: " فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديد في يوم عاصف، فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان ؛ وكونها لغير الله تعالى وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف،

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/ ٢١٢).

فلا يقدر صاحبه على شئ منه وقت شدة حاجته إليه "[١]

ويزيد الطاهر ابن عاشور ~ فيقول: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ هذا تمثيل لحال ما عمله المشركون من الأعمال الصالحة حيث لم ينتفعوا بها يوم القيامة.

وسبب إيراد هذا التمثيل ما دلّت عليه الآيات السابقة لهذه الآية من شدة عذابهم، فربما خطر ببالهم أو ببال من يسمع من المسلمين أن يسأل نفسه أن لهم أعمالاً من الصلة والمعروف من إطعام الفقراء، ومن عتق رقاب، وقِرى ضيوف، وحمالة ديات، وفداء أسارى، واعتمار، ورفادة الحجيج، فهل يجدون ثواب ذلك عند الله في الدار الآخرة؟

والمثل: الحالة العجيبة، أي حال الذين كفروا العجيبة أن أعمالهم كرماد الخ.

والرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم.

واليوم العاصف هو شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثوراً لا يُقْدَرُ عليه، ولا يتوصل إليه وسمى اليوم عاصفاً مبالغة في الوصف كقولك نهاره صائم وليله قائم.

وقد اختلف المفسرون في هذه الأعمال ما هي فقيل: هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقراء الضيف وبر الوالدين، ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الأعمال، وإن كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كلها.

ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥] [٢].

وقيل: أراد بالأعمال الأعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فإنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله

(١) بدائع التفسير (٢/ ٩٢).

(٢) المصدر السابق.

تعالى: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾.

يعني في الدنيا.

وقيل: المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة وهذا قول ابن عباس[1] ووجه خسرانهم أنهم أتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالاً عليهم[2].

﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ يعني من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ يعني ذلك: الخسران الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت، فلا يرجى عودها والمقصود بالبعيد هنا الذي لا يرجى عوده.

(١) جامع البيان (١٦/ ٥٥٣).

(٢) مفاتيح الغيب (١٩/ ٨٣).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

من آثار التشبيه تقرير حقيقة عقدية مهمة جدا وهي أن الله لا يقبل من المشرك الذي يموت على شركه صرفاً ولا عدلاً، بل كل سعيه في بوار ومآله إلى النار وإن كان في أعين الناس من الأبرار.

لقد صور التشبيه للناس مشهداً متحركاً عاصفاً يقرع القلوب المؤمنة، ويوقظ النفوس الحية، ويحرك المشاعر الكامنة في الفطر السليمة الزكية، ليقول لها: عليك بالتوحيد أولاً، عضي عليه بالنواجذ فهو العروة الوثقى، وحبل الله المتين، وصراطه المستقيم.

التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع للناس الشرائع..

إنه التوحيد الذي جردت من أجله السيوف، وقامت سوق الجنة والنار، وافترق به الناس إلى مؤمنين أبرار وإلى كفرة فجار..

إنه التوحيد الذي توعد الله من عانده أو قصر في قبوله أو تردد بأشد وعيد..

التوحيد الذي أوذي فيه بل قتل من أجله الأنبياء..

التوحيد الذي لا ينفع بدونه عمل ولا أقوى دلالة على هذه الحقيقة من ذلك المشهد العاصف الذي تعصف فيه الريح القوية بذرات الرماد الخفيفة المتطايرة، فتتشتت في أصقاع الأرض فليس إلى وصول إليها من سبيل..

فكل عمل -وإن بلغ من الصلاح ما بلغ- فمآله الضياع، ما لم يؤسس على قاعدة التوحيد وركنه الركين ويتزين بزي الإيمان واليقين..

وكما أن كل عمل بلا توحيد يصبح هباءاً منثوراً، فكذلك كل ذنب للموحد عسى الله أن يغفره كما وعد ووعده الحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨].

وقد ذكر بعض البلاغيين الفرق بين هذه الآية وآية النور فقال: "وعليه تكون الأعمال المشبهة بالرماد في قوله تعالى: " أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ "هي أعمال مَثَلِ الذين كفروا بربهم، لا أعمالهم هم، خلافًا للأعمال، التي في قوله تعالى: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ من آية النور. ويمكن ملاحظة الفرق بين الآيتين من خلال المقارنة بينهما:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [النور:٣٩]

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم:١٨] فالأعمال المشبهة بالسراب في آية النور هي أعمال الذين كفروا. والأعمال المشبهة بالرماد في آية إبراهيم هي أعمال مَثَل الذين كفروا بربهم. وهذا واضح جلي، وهو أحد أوجه الفرق بين الآيتين الكريمتين. ولو كانتا سيَّان، لَمَا كان لذكر لفظ " مَثَل "في مطلع آية إبراهيم أيَّ معنى، ولكان زائدًا دخوله في الكلام، وخروجه منه سواء- كما حكِيَ ذلك عن الكسائي والفراء- وهذا ما يأباه نظم القرآن الكريم وأسلوبه المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه!" [1].

---

(١) ذكره الباحث علي بن نايف الشحود في كتابه الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم وهو عبارة عن كتاب جمع فيه مقالات متنوعة لعدد من البلاغيين المعاصرين (١/ ٣٩).

الآية الثالثة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل[١]. حيث ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾.

المشبه: كلمة التوحيد والإيمان.

المشبه به: الشجرة الطيبة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الثبات والسمو والارتفاع وكثرة الثمر.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

ويشرح ابن القيم هذا المثل بقوله: " فشبه ﷻ الكلمة الطيبة بالشجرة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين: الكلمة الطيبة: شهادة أن لا إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله فهو ثمرة هذه الشجرة " [٢].

ومن تفصيل ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي ألم تنظر إلى هذا المثل الذي ضربه الله.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣١).

(٢) الأمثال في القرآن (١/ ٣٥).

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي النخلة على الراجح[(١)].

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي أنها راسخة الجذور في الأرض وأغصانها منتشرة في جو السماء.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ تعطي ثمرها.

﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي بإذنه تعالى وكذلك المؤمن يرتفع منه العمل الصالح في كل وقت فيناله من بركته.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يبين الله للناس من أجل أن يتّعظوا فيؤمنوا [(٢)].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد وصف هذا التشبيه كلمة التوحيد وما يتبعها من الإيمان في قلب العبد المسلم أعظم وصف، واختار أفضل الأشجار لتكون شبيهة له، فكما أن النخلة راسخة الجذور لا تهزها الأعاصير، ممشوقة القوام لا يصل إليها الأقزام، فكذلك التوحيد والإيمان في قلب المؤمن راسخ كالجبال الراسيات، ثابت لا تغيره شبهة قادمة، ولا تؤثر فيه شهوة عارمة، ولا تفت من عضده قوة ظالمة.

---

(١) روى ذلك ابن جرير بسنده عن ابن عباس وأنس رضي الله عنهما وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي واختاره ابن جرير، جامع البيان (١٦/ ٥٦٨). ولصحة الحديث الوارد في ذلك وهو حديث ابن عمر: (قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ) رواه البخاري في باب الحياء برقم (١٣١)، ورواه بلفظ آخر قريب منه برقم (٦٤)، فتح الباري (١/ ٢٢٩)، ومسلم برقم (٥٠٢٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩١).

هكذا المؤمن الحق لا تزعزع قناعاته رياح الباطل، ولا تصل إلى قلبه صيحات التغيير ونعرات الجهل، ولا تطاله معاول الطغيان، ذلك أنه أدرك الهدى فأحبه وعمقت جذوره في قلبه فلا يتركه لغيره، ولا تمتد عينه لسواه، فكيف يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وكما أن النخلة تطل على العالم من علو فكذلك المؤمن ينظر العالم ببصر العاقل القارئ المتدبر لآيات الله الكونية، فيسمو عما يخوض فيه أهل الباطل من ترهات الفتن.

وكما أن النخلة تثمر على مدار العام، فكذلك الإيمان له أعمال صالحة ترتفع أناء الليل وأطراف النهار فيناله من بركاتها ما يسعد به في كل حين، وكما أن النخلة لا تثمر إلا بإذن خالقها فكذلك الهداية إلى التوحيد والإيمان لا يمكن أن يقذفها في قلب العبد إلا الله الهادي إلى سواء الصراط.

وقد ذكر ابن الجوزي ~ طرفاً من آثار التشبيه في تفسير الآية فقال: "فأما الحكمة في تمثيل الإِيمان بالنخلة، فمن أوجه:

أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبِّه ثبات الإِيمان في قلب المؤمن بثباتها.

والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشُبِّه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها.

والثالث: أن ثمرتها تأتي كل حين، فشُبِّه ما يكسب المؤمن من بركة الإِيمان وثوابه في كل وقت بثمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها، فالمؤمن كلما قال: لا إِله إِلا الله، صَعِدَتْ إِلى السماءِ، ثم جاءه خيرها ومنفعتها.

والرابع: أنها أشبهُ الشجر بالإِنسان، فإن كل شجرة يقطع رأسها تتشعب غصونها من جوانبها، إِلا هي، إِذا قُطع رأسها يبست، ولأنها لا تحمل حتى تلقَّح، ولأنها فضلة تربة آدم عليه السلام فيما يُروى"[1].

(١) زاد المسير (٤/ ٣٦٠).

وقال ابن القيم: "وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاتها حق رعايتها فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فيعرف حقيقة الهيئة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله ﷻ وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتى ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الرب تعالى وهذه الكلمة الطيبة تثمر كثيرا طيبا كلما يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحاً كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا واثباتا متصفا بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرتها كل وقت"[1].

(١) الأمثال في القرآن الكريم (١/ ٣٦).

الآية الرابعة: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل[١]، ذكرت فيه الأداة ووجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾.

المشبه: كلمة الشرك والكفر.

المشبه به: الشجرة الخبيثة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم الثبوت وانعدام النفع وقبح الصفات.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يوضح ابن عاشور ~ هذا المثل بقوله: "وكذلك القول في تمثيل حال الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة على الضد بجميع الصفات الماضية من اضطراب الاعتقاد، وضيق الصدر، وكدر التفكير، والضر المتعاقب، وقد اختصر فيها التمثيل اختصاراً اكتفاءً بالمضاد، فانتفت عنها سائر المنافع للكلمة الطيبة... "[٢]، ويشير ابن القيم ~ إلى هذا المثل المضاد بقوله: " ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار، فلا عرق ثابت، ولا فرع عال، ولا ثمرة ذكية، فلا ظل، ولا جني، ولا ساق قائم، ولا عرق في الأرض ثابت" [٣]،

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/ ٢٢٤).

(٣) الأمثال في القرآن (١/ ٤٠).

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ هي كلمة الكفر. ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ مثل الشجرة الخبيثة وهي الحنظل[1]، ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ أي استؤصلت من فوق الأرض فلم يبق لها مستقرّ ولا ثبات.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لما وضح التشبيه السابق كلمة التوحيد وما اختصت به من ثبات وحسن ثمر، جاء هذا التشبيه ليبين الضد من ذلك وهي كلمة الكفر وقد اختار شجرة الحنظل - على الراجح- كمثال للخبث في كل معانيه فطعمها خبيث ولا جذور لها وضررها أكبر من نفعها -لو كان لها نفع- بل تلتف على ما حولها من شجر فتتلفه ولهذا من أول ما يفعله الزراع أن يجتثوها أي يستأصلوها من جذورها وقال ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ للإشارة إلى عدم ثباتها لأنه لا عروق لها فلا يحتاج لأن يحفر لها بل يجذبها بيده من على سطح الأرض فسرعان ما تنقلع.

فإذا ما أثمرت فبئس الثمر ثمرها فكذلك الكافر لا أصل ثابت لعمله، ولا يرتفع منه عمل صالح.

وهكذا أبرز لنا التشبيه تلك الصورة الخبيثة لحال الكافر وقبح عمله وسوء عاقبته في مقابل تلك الصورة الجميلة والثمرة الطيبة اليانعة للمؤمن، فيكون هذا المثال دال على الطريقين ومخبراً بحال الفريقين وليقيم الحجة على العالمين فقد تبين الرشد من الغي.

(١) نسبه ابن جرير إلى أكثر المفسرين، جامع البيان (١٦/ ٥٨٣).

ويشهد له حديث أنس ابن مالك ﷺ قال: (أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِقِنَاعٍ عَلَيْهِ رُطَبٌ فَقَالَ: مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قَالَ هِيَ الْحَنْظَلُ رواه الترمذي برقم (٣١١٩) قال الألباني صحيح موقوفاً ضعيف مرفوعاً. انظر صحيح الترمذي للألباني (٣١١٩).

وفي التشبيه بيان أن أعمال الكفار وإن كانت تبدو في أحسن مظهر فأنها قبيحة المخبر، فلا تغني عنهم شيئاً فلا أصل صحيح لها وليس فيها ما يصلح ليرفع فينفع ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر:١٠] فأعمالهم لا يعول عليها ولا يلتفت إليها.

وكما أن شجرة الحنظل لا ثبات لها في الأرض ولا عروق متعمقة وراسخة فيها، فكذلك الكفار يعيشون بلا مبادئ ولا قيم، وإن وجد شيء من المبادئ فهي مبادئ من صنع البشر، مبادئ أرضية قاصرة لا تصلح لقيادة الإنسانية ولا تنهض بأصحابها إلى معالي الأمور، بل ولا تنفعهم عند ربهم لأن المبادئ المرضية عند الله هي مبادئ الإسلام وأسسه، ولو وجد -جدلاً- شيء من المبادئ والأسس الطيبة فإنها أيضًا لا تنجيهم عند الله لأنها تفتقد الأساس الأعظم وهو توحيد الله قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وقد ذكر الكاتب وليد قصاب في كتابه البلاغة العربية طرفاً من خصائص التشبيهات القرآنية المتنوعة وساق عليها هذه الآية كمثال فقال: "من السمات الفنية للتشبيهات القرآنية كثافة التشبيه القرآني وغنى إيحائه، إن التشبيه القرآني عميق ومكثف، يحمل كثيرا من التفصيلات والجزئيات التي تتضافر جميعها على تشكيل صورة مجسدة محسوسة تحمل ظلالاً كثيفة من المعاني والإيحاءات.

إن صورة التشبيه القرآني صورة عالم بأكمله، زاخر بالدلالات والأخيلة والمشاعر، ترفدها عناصر مختلفة من حركة وصوت ولون ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، من حيث أنها نافعة، وتتفرع بالأعمال الصالحة والأقوال الخيرة كما

تتفرع الشجرة بالأغصان، ولكنه لم يكتفِ بذلك، بل أضاف إلى التشبيه جزئيات أخرى، عمقت مدلوله، وأغزرت إيحاءه، فجعلها شجرة غير عادية، بل: " أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" دلالة على رسوخها وشموخها وصمودها وعظيم أجرها وثوابها، ثم أضاف جزئية أخرى عندما جعل هذه الشجرة - الممثل بها للكلمة الطيبة - ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ فكأن أثرها لا ينقضي، وخيرها لا ينتهي، وثوابها يبقى مستمرا حتى بعد موت صاحبها، وهي صورة متخيلة مرئية، تحمل معنى الحث والتشجيع، وتدعو إلى رعاية الكلمة الطيبة كما ترعى الشجرة الطيبة ويُعتنى بها. وكذا الكلام على الكلمة الخبيثة، لم يكتفِ التشبيه القرآني بأن مثلها بالشجرة الخبيثة، دلالة على قبحها وهجانتها وخطر تأثيرها ونتن رائحتها، بل أضاف إلى الصورة قوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ فهي ساقطة منهارة، لا قرار لها ولا شأن، وينبغي استئصالها واجتثاثها كما تجتث الشجرة الخبيثة، حتى لا تؤذي الناس والحياة، وتفسد الصفاء والطهارة" (١).

(١) البلاغة العربية للأستاذ وليد قصاب (١/ ٧٢).

الآية الخامسة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

۞ وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

المشبه: أفئدة الظالمين.

المشبه به: الهواء والخلاء الذي لا شئ فيه.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الخلو من كل شئ.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

۞ تفسير الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤجلهم فلا يعذبهم إلى يوم القيامة.

﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ تفتح أبصارهم فلا تغمض لهول ما يرون.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾ مسرعين ورافعي رؤوسهم إلى السماء.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا يرجع إليهم بصرهم.

﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ قلوبهم خالية من العقل والخواطر لشدة ما أصابهم من الفزع.

قال ابن عاشور ~ : "﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ تشبيه بليغ، إذ هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول. والهواء في كلام العرب: الخلاء. وليس هو المعنى المصطلح عليه في علم الطب وعلم الهيئة ".[1]

---

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٤٧).

ويفسر ابن كثير ~ هواء بمعنى الفراغ والخراب وعدم الوعي في قوله: " ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة [الفزع و] الوجل والخوف. ولهذا قال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف. وقال بعضهم: ﴿هَوَآءٌ﴾ خراب لا تعي شيئا" (١)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

صور التشبيه قلوب المشركين يوم القيامة أبلغ تصوير وأوضحه فأخبر أن قلوبهم هواء أي خاوية خالية من العقول لشدة ما عاينوا من الأهوال التي يشيب لها الولدان.

إنه يوم رهيب مخيف، وهو أخوف ما يكون على الظالمين لعلمهم بسوء أعمالهم، لقد بلغ بهم الخوف والرعب أن أحدهم يرفع بصره فيرى من الأهوال ما لا يستطيع معه أن تطرف له عين، إنه يوم الفزع الأكبر.

إن التشبيه ليقرر حقيقة ثابتة لا تتغير وهي أن الظالم لنفسه لن يجد عند الله إلا ما يسوءه وأن ظلمه هو سبب هلعه وفزعه، أما المؤمن فيأتي آمناً مطمئناً فرحاً مستبشراً ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت:٤٠].

وقال سبحانه: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨١-٨٢].

وقد جاء وصف أفئدتهم بالهواء في معرض ذكر أو صاف يوم القيامة فالناس فيه شاخصة أبصارهم، مهطعين إلى الداعي، مقنعي رؤوسهم ولا يرتد إلى أحد منهم طرفه، وهذا كله مما يظهر على أجسادهم ووجوههم فإن قلت ماذا عن قلوبهم فالجواب في قوله ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ قال الرازي ~ واصفاً حال تلك الأفئدة:

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٥).

"قوله: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ثم جعل وصفاً فقيل: قلب فلان هواء إذا كان خالياً لا قوة فيه، والمراد بيان أن قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والأفكار لعظم ما ينالهم من الحيرة ومن كل رجاء وأمل لما تحققوه من العقاب ومن كل سرور، لكثرة ما فيه من الحزن"[1].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٩/ ١١٢).

المبحث السادس : التشبيهات القرآنية في

سورة الحجر

وعددها (٣) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ [الحجر:١٠-١٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل حيث ذكر أداة التشبيه دون وجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

المشبه: شرك وتكذيب واستهزاء المشركين في عهد النبي ﷺ.

المشبه به: الشرك والتكذيب والاستهزاء الذي كان في شيع الأولين.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: تشابه الأمم في التكذيب.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أرسلنا رسلاً إلى فرق الأمم الماضية وجماعاتهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ أي رسول يدعوهم إلى الله والدين الحق.

﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وقد كان التكذيب هو دأب الأمم الخالية والقرون الماضية.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي: ندخل التكذيب، وقيل نسلك القرآن في قلوبهم فلا يعقلونه ولا يستقر في قلوبهم كما فعل بالمشركين الأول.(1)

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٤).

﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مشركي قريش أو كل مجرم كذب الرسل.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: عادة الله في إهلاك المكذبين أو عادة الأمم الماضية في التكذيب.

ويشرح ابن جرير ~ هذا التشبيه بقوله: " يقول تعالى ذكره: كما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأولين بالاستهزاء بالرسل، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجرموا بالكفر بالله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يقول: لا يصدّقون بالذكر الذي أنزل إليك، والهاء في قوله﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم" (١)

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

للتشبيه تفسيران:

فعلى قول أن المشبه هو التكذيب، فالأثر هو تقرير حقيقة مهمة ألا وهي أن هذا دأب كل مجرم معاند، وأن المشركين المعاصرين للنبي ﷺ والمشركين الأول قد تشابهت قلوبهم فتشابهت أفعالهم مع أنبياءهم فالكفر ملة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣].

فكذب هؤلاء كما كذب الأولون وسخر واستهزأ هؤلاء كما سخر واستهزأ الأولون فمضت سنة العليم الحكيم في الآخرين كما مضت في المتقدمين ولا يظلم ربك أحداً.

وعلى القول الآخر وهو أن المشبه هو سلك الذكر أي القرآن فلا يستقر في قلوب المجرمين، فأثر التشبيه هنا هو تبيين الشبه الكبير بين أمم الكفر في عدم انتفاعهم بالوحي فلا يستقر في قلوبهم ولا يذعنون له، ولا ينتفعون به، فقوم شعيب قالوا

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٧٠).

لنبيهم: ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ [هود:٩١].

والمنافقون في عهد النبي ﷺ قال الله عنهم: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦﴾ [محمد:١٦].

فكل تلك الأمم كانت تسمع وتعي ما يخاطبها به الأنبياء لكن الله قد طبع على قلوبهم فهم عن فهم الوحي والإيمان به والإذعان له في معزل فيحق فيهم قول الله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء:٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

وفي التشبيه إشارة إلى أن الهداية بيد الله يقذفها في قلب من يشاء من عباده، وأن من كتب الله عليهم الشقاوة فلن يستطيع أهل الأرض جميعاً أن يهدوه لأن الله قد ذرأه لجهنم، فمن يهدي من أضل الله؟.

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾ [النحل:٣٦-٣٧].

بل إنه سبحانه شبههم في غفلتهم عن الحق والهدى الذي بين أيديهم بالحمير التي تحمل الكتب ولا تنتفع بها، بل ليس لها منها من نصيب إلا النصب، وأما الانتفاع بهديها والاستنارة بنورها فهو لقوم قد كتب الله لهم الخير والفلاح، كما في قوله ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة:٥].

وعلى أي من القولين فإن في التشبيه تسلية للنبي ﷺ ليعلم أن هذه سنة الله في الظالمين في كل حين فلا يخاف مما يكيد له أعداء الدين الحق، ولا يحزن على ما هم فيه من الضلالة ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر:٨].

وكما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل:٦٩-٧٠].

ولذا فإن ذلك لا ينبغي أن يفت من عضده ﷺ أو يثبط من عزيمته في الدعوة إلى الدين الحق ونشر الخير في العالمين.

الآية الثانية: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر:٤٥-٤٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾.

المشبه: المؤمنين.

المشبه به: الإخوان.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: صفاء النفوس ونقاء القلوب.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ الذين اتقوا الله في الدنيا لهم في الآخرة بساتين وحدائق فيها العيون جارية.

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ﴾ أي سالمين من كل أمرٍ مخوفٍ أو مسلماً عليكم.

﴿ ءَامِنِينَ ﴾ فلا خوف يعتريهم ولا نصب يصيبهم ولا هم ينالهم بل أمن دائم وملذات لا تنقطع.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أخرج الله ما في قلوبهم من أمراض القلوب من حقد أو بغضاء، أو حسد أو شحناء.

﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ كالإخوان في المحبة والتصافي والتراحم وسررهم تدور بهم كيف داروا فهم متقابلون أبداً.

قال ابن عاشور ~ : ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ حال، وهو على معنى التشبيه، أي كالإخوان، أي كحال الإخوان في الدنيا.(١)

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

بينت الآيات الثلاث ما أعده الله من أجر عظيم للمتقين في الجنة فهي بساتين غناء تجري فيها العيون العذبة، والمتقون يتقلبون في جنباتها تسلم عليهم الملائكة وأعظم من ذلك أنه يسلم عليهم ربهم ﷻ، ولا يزالون في ذلك النعيم آمنين من كل ما يبعث على الخوف، وزاد ربهم في نعيمهم بأن استأصل ما قد يبقى في قلوبهم من أحقاد وضغائن وسائر أمراض القلوب.

كانت هذه جملة من الوعود العظيمة من الملك الحق ومن ﴿أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١١١] ثم ختم ذلك كله بالإخبار عنهم بأنهم بلغوا من صفاء السرائر ونقاء النفوس والمحبة والألفة حتى كأنهم إخواناً، وبالغ في التشبيه بحذف أداته وكأن المشبه هو عين المشبه به فهنيئاً لهم تلك المنزلة فهي من أعظم ملذات القلوب، ولا شك أنها خير وأبقى وألذ وأشهى من ملذات الجسد من مأكول ومشروب ومنكوح.

وفي التشبيه بيان فضل الأخوة الصادقة وعظمة المتصفين بها ولا أدل على ذلك من جعلها مثالاً يشبه به النعيم المقيم في الجنة، فالأخوة الحقة المبنية على صفاء السريرة وصدق اللهجة والمحبة في الله، والتناصح لله، والتراحم لاشك أنها من أعظم ما يمكن أن يظفر به المؤمن في الدنيا من اللذات وتستمر لذته في الآخرة.

وهذه الأخوة القائمة على المحبة في ذات الله هي التي تكون سبباً لأن يتذوق العبد طعم الإيمان في الدنيا وينعم بنتائجه المباركة في الدار الآخرة كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٥٥).

وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).[1]

(١) رواه البخاري، انظر فتح الباري (١/ ٦٠)، ومسلم (٦٧).

الآية الثالثة: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر:٨٩-٩١]

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل حيث ذكرت أداة التشبيه ولم يذكر وجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾.

المشبه: تقسيم المشركين للقرآ الكريم والإيتاء في قوله ﴿ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر:٨٧]، أو النذارة في قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

المشبه به: فعل الأمم السابق بالكتاب الذي أنزل عليهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التكذيب والطعن في القرآن.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يفسر ابن جرير ~ التشبيه بين قريش والأمم السابقة في تقسيم الكتب المقدسة: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يُعلم قومه الذين عضَّوا القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته، أن يَحُلّ بهم على كفرهم ربهم، وتكذيبهم نبيهم، ما حلّ بالمقتسمين من قبلهم ومنهم، وجائز أن يكون عني بالمقتسمين: أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، لأنهم اقتسموا كتاب الله، فأقرّت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها، وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان. وجائز أن يكون عُنِي بذلك: المشركون من قريش، لأنهم اقتسموا القرآن، فسماه بعضهم شعرا، وبعض كهانة، وبعض أساطير الأوّلين. وجائز أن يكون عُنِيَ به الفريقان، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه، فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عُني

به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كلّ من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله، كانوا عبرة، وللمتعظين بهم منهم عِظَة"(1).

والمقصود بـ ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قيل هم اليهود والنصارى، وقيل هم مشركو قريش.وقيل: هم قوم صالح الذين قال الله عنهم: ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [النمل:٤٩] (2).

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ إذا أريد بالمقتسمين اليهود والنصارى فالمقصود بالقرآن جنس ما يقرأ فيصدق على التوراة والإنجيل، وعلى تفسير المقتسمين بأنهم المشركون فالقرآن هنا هو العلم على الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ.

﴿عِضِينَ﴾ أي أجزاء، حيث آمنوا ببعضه وكفروا بالبعض الآخر، وعلى التفسير الثاني، المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة ليصدوا الحجاج عن الإسلام، فمنهم من قال سحر ومنهم من قال شعر ومنهم من قال كهانة.

---

(1) جامع البيان (١٧/ ١٤٥).

(2) قال بهذا القول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن كما ذكرذلك الإمام الطبري في جامع البيان (١٧/ ١٤٢)، وهو في صحيح البخاري عن ابن عباس برقم (٤٧٠٦)، والحسن البصري هو الحسن بن يسار ، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الامة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، توفي سنة ١١٠هـ. الأعلام (٢/ ٢٢٦).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

إذا كان المراد بالمشبه هو العذاب كما في أحد التفسيرين، فقد جاء في التشبيه تسلية للنبي ﷺ ليثق بموعود ربه سبحانه فما عليه إلا البلاغ والتبيين، فإن كذبوا كما كذب الذين من قبلهم فإن عذاب الله الذي أحاط بالمجرمين الأول قريب من هؤلاء ويوشك أن يحل بساحتهم فالتشبيه تسلية للنبي ﷺ و كل من سيعمل لتبليغ دعوة الحق من بعده وهو كذلك وعيد لأعدائه ولأعداء الدين الحق في كل زمان ومكان.

وإن كان المراد بالمشبه هو ما أنزل على النبي ﷺ من القرآن فقد بين التشبيه أن هؤلاء إن كذبوا فليسوا أول من كذب من الأمم بكتابهم، بل قد كذب قبلهم أمم شتى فكانت عاقبتهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وفي الآيات فوائد منها:

أولاً: الأمر الصريح للنبي ﷺ للمضي قدماً في إنذار العباد دون التفات إلى قول أحد من الخلق.

ثانياً: الوعيد الشديد لمن كذب بالقرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه:٤٨].

ثالثاً: التسلية للنبي ﷺ كما بينّا ذلك من قبل قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران:١٨٤].

المبحث السابع: التشبيهات القرآنية في

سورة النحل

وعددها (٩) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النحل:٣٠-٣١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته ولم يذكر وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

المشبه: مجازاة الله للمتقين.

المشبه به: الجزاء العظيم الذي يستحق لتميزه أن يكون مثلاً يُشبّه به.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: العظمة وعلو الشأن.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ أي اتقوا غضب الجبار بتوحيده والبعد عن الشرك به.

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًا﴾ أي رحمة وبركة، وهذا بضد ما قاله الكفار عما أنزل الله حيث قالوا أساطير الأولين.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞ﴾ وعد من الله للمحسنين بالحياة الطيبة ما داموا في دار الدنيا.

﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞ﴾ وعد آخر للمتقين بالجنة التي هي خير من الدنيا وما فيها.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أنعم بها من دار هي التي وعد المتقون.

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا﴾ يدخلونها فهي دار إقامتهم كما في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٥].

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ من بين قصورها وأشجارها.

﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾ كل ما تشتهيه أنفسهم.

﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ مثل ذلك الجزاء يجزي الله عباده المتقين.

ويوضح الطبري ~ هذا التشابه بين جزاء مؤمني العرب وجزاء مؤمني الأمم السابق بقوله: " وقوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ يقول تعالى ذكره: للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله، وأطاعوه فيها، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به، حسنة، يقول: كرامة من الله ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ يقول: ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يقول: ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة....

﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يقول: كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه" (١).

(١) جامع البيان (١٧/ ١٩٧-١٩٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لما بين الله ما حل بالكفار من توفي الملائكة لهم وهم على ظلمهم، ثم بين أن الخزي يحيط بهم وأن جهنم هي مصيرهم جزاء ما كانوا يستكبرون في الأرض، جاء البيان الوافي لما ينتظر أولياء الله المتقين من حياة طيبة كريمة في الدنيا ومن النعيم المقيم في جنات الخلود التي تتزين بجريان الأنهار بين قصورها وأشجارها وهم مع ذلك في النعيم مقيمون آمنون وينالون ما يشتهون.

وبعد هذا البيان الذي تهفو إليه النفوس، وتشتاق له القلوب فتهتز طرباً، ويحدو بالأرواح إلى دار الأفراح، يأتي التشبيه ليقول أن هذا الجزاء قد بلغ من العظمة والروعة أن أصبح مضرباً للمثل فمثل هذا الجزاء سوف نجزي عبادنا المتقين.

ولا شك أن في هذا التشبيه وأمثاله كثير في كتاب الله، وعد صادق من الله يعين العبد على ما يلقى في دار الشقاء بسبب إيمانه وتوحيده..

إن هذه الوعود العظيمة دافع وأي دافع يجعل المؤمن يسابق إلى جنة عرضها السموات والأرض، ويجعله يتعالى على شهوات نفسه ويسمو بها عن شبهات المبطلين، فيجعل عمره كله وقفاً للدار الآخرة ويسخر ما آتاه الله من مواهب وقدرات في مراضي الله، فينفق المال في سبيل الله، ويتعب الجسد في عبادة الله من صلاة وصيام ونحوهما، وهو في ذلك قد علق قلبه بالله وأخلص عمله لله وكان لسان حاله ومقاله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وفي هذه الوعود الربانية العظيمة دعوة للتقوى وتحسير للكفار، قال الآلوسي ~ : "﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء الأوفى ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي جنسهم فيشمل كل من يتقي من الشرك والمعاصي، وقيل من الشرك، ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولاً أولياً ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى، أو المذكورين فيكون فيه تحسير للكفرة، قيل: وهذه الجملة تؤيد كون قوله سبحانه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [النحل:٣٠] عدة

فإن جعل ذلك جزاء لهم ينظر إلى الوعد به من الله تعالى وإذا كان مقول القول لا يكون من كلامه تعالى حتى يكون وعداً منه سبحانه". [1]

(١) روح المعاني (١٤/ ١٣٢).

الآية الثانية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل:٣٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته دون وجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾.

المشبه: تكذيب كفار قريش وافتراءهم على الله أنه أراد لهم الكفر ورضيه لهم.

المشبه به: تكذيب الأمم السابقة وافتراءاتهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التكذيب والافتراء.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

يفسر الطبري ~ هذا التشبيه بقوله: "يقول تعالى ذكره: وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله: ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضي عبادتنا هؤلاء، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب، إلا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمنا لها ورضيه، لولا ذلك لغير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال. يقول تعالى ذكره: كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استَن هؤلاء سنتهم، فقالوا مثل قولهم، سلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله، واتباع أفعال آبائهم الضلال، وقوله﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فهل أيها القائلون: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، على رسلنا الذين نرسلهم بإنذاركم

عقوبتنا على كفركم، إلا البلاغ المبين: يقول: إلا أن تبلغكم"[1].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ أي المشركون من أهل مكة.

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ احتجوا بالمشيئة على شركهم وتحريم ما أحل الله من البحائر والسوائب وقالوا إن هذا دليل على رضا الله عن فعلنا.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي أنهم كذبوا الرسول ﷺ وافتروا على الله كما كذب وافترى الذين من قبلهم من أمم الكفر والضلال.

﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ قال ابن الجوزي ~ :

" يعني ليس عليهم إلا التبليغ فأما الهداية فهي إلى الله تعالى وبين ذلك بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي كما بعثناك في هؤلاء أن اعبدوا الله أي وحدوه واجتنبوا الطاغوت وهو الشيطان فمنهم من هدى الله أي أرشده ومنهم من حقت عليه الضلالة أي وجبت في سابق علم الله فأعلم الله عز و جل أنه إنما بعث الرسل بالأمر بالعبادة وهو من وراء الإضلال والهداية"[2].

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٢٠٠).

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٤٥).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لما احتج المشركون بالمشيئة على شركهم وما هم عليه من المحرمات، دحض الله حجتهم وكشف عن بطلان دعواهم وبين سبحانه أن هذا الأمر ليس بجديد فقد سبقهم إلى ذلك التكذيب والافتراء على الله أمم كثيرة كما قال الله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق:١٢-١٤].

ولأن الاحتجاج على المعصية بالقدر أمرٌ يرده النقل ولا يقبله العقل، فقد جمع هؤلاء الكفرة بين تكذيب الله وتكذيب رسله ﷺ وتكذيب الأمور العقلية والحسية[(١)].

ثم جاءت التسلية من الله لنبيه ﷺ كما جاءته للأنبياء -عليهم السلام- من قبل بأن المطلوب منهم هو التبليغ والدلالة على الخير والتحذير من الشر، أما التوفيق إلى الحق ولزوم طريق الهداية فهذا أمر بيد الله وحده.

وفي التشبيه أيضاً إشارة إلى أن من تعلق بالقضاء واحتج به على ما عنده من المعاصي، فإن في تصرفه ذلك شبه من المشركين الأول والمكذبين السابقين ويرد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف:٢٨]. وقوله ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر:٧].

---

(١) هذا المعنى مستفاد من كلام السعدي في تفسيره لهذه الآية انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ~ قدم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، ومحمد الصالح بن عثيمين واعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق بيروت مؤسسة الرسالة (١/ ٥٠٣)، والسعدي مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) توفي عام ١٣٧٦هـ. الأعلام (٣/ ٣٤٠).

قال ابن عاشور ~ : (والإشارة بكذلك إلى الإشراك وتحريم أشياء من تلقاء أنفسهم، أي كفعل هؤلاء فَعَل الذين مِن قبلهم وهم المذكورون فيما تقدم بقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النحل:٢٦] وبقوله: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل:٣٣]. والمقصود: أنهم فعلوا كفعلهم فكانت عاقبتهم ما علمتم، فلو كان فعلهم مرضياً لله لما أهلكهم، فهلا استدلّوا بهلاكهم على أن الله غير راض بفعلهم، فإن دلالة الانتقام أظهر من دلالة الإملاء، لأن دلالة الانتقام وجودية ودلالة الإمهال عدمية) [1].

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ١٤٨).

الآية الثالثة والرابعة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل:٧٣-٧٦].

وصف التشبيه وتحليله:

في هذه الآيات خمسة من التشبيهات بيانها كالتالي:

التشبيه الأول: ما يظنه المشركون من المساواة بين الله الملك الرازق القادر وبين آلهتهم التي جعلوها لله نداً وهي لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً.

نوع التشبيه: تشبيه ضمني.

المشبه: الله (تعالى الله عن ذلك).

المشبه به: الأصنام.

أداة التشبيه: مضمرة مفهومة من السياق.

وجه الشبه: الرزق والتصرف.

غرض التشبيه: نفي إمكان الحال، أو تنزيه المشبه عن المشبه به.

التشبيه الثاني: تشبيه الأصنام بالعبد المملوك القاصر في عدم القدرة على النفع والضر.

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي.

المشبه: الأصنام.

المشبه به: العبد المملوك القاصر.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: الضعف وعدم الأهلية للتصرف.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

التشبيه الثالث: تشبيه الله نفسه وله المثل الأعلى بالحر المالك المتصرف.

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي.

المشبه: الله سبحانه وتعالى.

المشبه به: الحر القادر على التصرف كيف يشاء.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: القدرة المطلقة والأهلية الكاملة على التصرف.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

التشبيه الرابع: شبه الأصنام مرة أخرى بعبد مملوك أبكم لا يحسن شيئاً من أمور الناس.

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي.

المشبه: الأصنام.

المشبه به: العبد المملوك الأبكم العاجز.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: الضعف وعدم الأهلية للتصرف.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

التشبيه الخامس: شبه نفسه سبحانه بالحر العاقل الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي.

المشبه: الله جلت قدرته.

المشبه به: الرجل الحر العاقل الهادي للحق الآمر بالعدل.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: القدرة والحكمة والعقل وحسن التصرف.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي يعبدون غيره.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من لا يستطيع نفعهم بإنزال المطر.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ولا بالنبات أو ما يخرج من الأرض من الخيرات.

﴿شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يقدرون على شيء.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ أي فلا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعلم سبحانه تفرده وأن لا شبيه له، أما أنتم فلا تعرفون ذلك.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ هذا مثال آلهتهم في العجز والضعف والذلة، فهذا عبد مقهور ومع ذلك مملوك لا مالك، حتى نفسه لا يملك التصرف فيها.

﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لا يضر ولا ينفع نفسه فكيف ينفع غيره.

﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ وهذا مثل له سبحانه أي حر يتصرّف في الرزق كيف شاء.

﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ استفهام إنكاري فلا يستوي عبد مملوك وآخر حر مالك متصرف.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة معترضة لأنه قد تبين أن لا مساواة فالله الذي يستحق أن

يختص بالحمد وحده دون سواه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أن هؤلاء الكفار لا يعلمون ماذا ينتظرهم من العذاب جزاء شركهم.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وهذا مثل آخر للكافر فشبهه بالأبكم وهو من وُلِد أخرس.

﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ فهو لا يستطيع أن يُفهم ولا يفهِم.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ أي هو حمل ثقيل على وليّ أمره.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ أينما يصرفه ولي أمره لا يفلح في أمر من الأمور البتة.

﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي هل يستوي الذي بتلك الصفات المتقدمة هو ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر بالعدل والإحسان.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي أن الثاني وهو المؤمن على طريق مستقيم فلا يستويان.

وقيل هذا مثل لله، والأبكم مثل للأصنام والذي قبله مثل الكافر والمؤمن(1).

ويفسر الطاهر بن عاشور ~ تمثيل الأصنام بالعبد في قوله: "فشبّه حال

(1) قول ابن عباس وقتادة أن المثلين الأول والثاني للمؤمن والكافر، وقال قتادة ومجاهد والضحاك أنه مثل لله ﷻ والأصنام. وهناك قول ثالث بأن الأمثال كلها للمؤمن والكافر وهو مروي عن ابن عباس، وكل هذه الأقوال ذكرها ابن جرير في جامع البيان (١٧/ ٢٦٣).

وفرق ابن عطية ~ فجعل الأول للمؤمن والكافر والثاني لله تعالى والأصنام أنظر المحرر الوجيز (٤/ ٤١٠). ابن عطية الغرناطي: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي (ت٥٤١هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ. وهو: مفسر فقيه، أندلسي، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، وولي قضاء المرية، ، الأعلام (٣/ ٢٨٢).

أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرّف في نفسه ولا يملك مالاً، وشبّه شأن الله تعالى في رَزقه إيّاهم بحال الغنيّ المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، ومعرفة الحالين المشبّهتين يدلّ عليها المقام، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتيْن، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية، ولذلك أعقب بجملة ﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾.

وذيّل هذا التمثيل بقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كما في سورة إبراهيم ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [إبراهيم:٢٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٦] الآية، فإن المقصود في المقامين متّحد، والاختلافُ في الأسلوب إنما يومىء إلى الفرق بين المقصود أولاً والمقصود ثانياً كما أشرنا إليه هنالك.

والعبد: الإنسان الذي يملكه إنسان آخر بالأسر أو بالشّراء أو بالإرث.

وقد وُصف ﴿عَبۡدٗا﴾ هنا بقوله: ﴿مَّمۡلُوكٗا﴾ تأكيداً للمعنى المقصود وإشعاراً لما في لفظ عبد من معنى المملوكية المقتضية أنه لا يتصرّف في عمله تصرف الحرّية.

وجملة ﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ أي عاجزاً عن كلّ ما يقدر عليه الناس، كأن يكون أعمى وزمناً وأصمّ، بحيث يكون أقل العبيد فائدة.

و﴿وَمَن﴾ يعني الحر الذي وصف بالرزق الحسن فهو ينفق منه سرّاً وجهراً، أي كيف شاء. وهذا من تصرّفات الأحرار، لأن العبيد لا يملكون رزقاً في عرف العرب.

والرزق: هنا اسم للشيء المرزوق به.

والحَسن: الذي لا يشوبه قبح في نوعه مثل قِلّة وجدان وقت الحاجة، أو إسراع فسادٍ إليه كسوس البُرّ، أو رداءة كالحشف. ووجه الشبه هو المعنى الحاصل في حال المشبّه به من الحقارة وعدم أهليّة التصرّف والعجز عن كل عمل، ومن حال الحرية

والغنى والتصرّف كيف يشاء ".(1)

كما تناول التفسير الثاني للمثل الثاني بقوله: " هذا تمثيل ثانٍ للحالتين بحالتين باختلاف وجه الشبّه. فاعتبر هنا المعنى الحاصل من حال الأبكم، وهو العجز عن الإدراك، وعن العمل، وتعذّر الفائدة منه في سائر أحواله؛ والمعنى الحاصل من حال الرجل الكامل العقل والنّطق في إدراكه الخيرَ وهديه إليه وإتقان عمله وعمل من يهديه، ضربه الله مثلاً لكماله وإرشاده الناس إلى الحقّ، ومثلاً للأصنام الجامدة التي لا تنفع ولا تضرّ.

وقد قرن في التمثيل هنا حال الرجلين ابتداء، ثم فصل في آخر الكلام مع ذكر عدم التّسوية بينهما بأسلوب من نظم الكلام بديع الإيجاز، إذ حذف من صدر التمثيل ذكر الرجل الثاني للاقتصار على ذكره في استنتاج عدم التسوية تفنّناً في المخالفة بين أسلوب هذا التمثيل وأسلوب سابقه الذي في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا﴾ ومثْل هذا التفنّن من مقاصد البلغاء كراهية للتكرير لأن تكرير الأسلوب بمنزلة تكرير الألفاظ

والأبكم: الموصوف بالبَكم بفتح الباء والكاف وهو الخَرَس في أصل الخلقة من وقت الولادة بحيث لا يفهم ولا يُفهم. وزيد في وصفه أنه زَمِنٌ لا يقدر على شيء.

والكَلّ بفتح الكاف العالَة على الناس.

والمولى: الذي يلي أمر غيره. والمعنى: هو عالة على كافله لا يدبّر أمر نفسه.

ثم زاد وصفه بقلّة الجدوى بقوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ ، أي مولاه في عمل ليعمله أو يأتي به لا يأتِ بخير، أي لا يهتدي إلى ما وجّه إليه، لأن الخير هو ما فيه تحصيل الغرض من الفعل ونفعه.

ودلّت صلة ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ على أنه حكيم عالم بالحقائق ناصح للناس يأمرهم

---

(1) انظر التحرير والتنوير (١٤/ ٢٢٣-٢٢٥).

بالعدل لأنه لا يأمر بذلك إلا وقد علمه وتبصّر فيه.

والعدل: الحقّ والصواب الموافق للواقع.

والصراط المستقيم: المحجّة التي لا التواء فيها. وأطلق هنا على العمل الصالح، لأن العمل يشبّه بالسيرة والسلوك فإذا كان صالحاً كان كالسلوك في طريق موصلة للمقصود واضحة فهو لا يستوي مع من لا يعرف هدى ولا يستطيع إرشاداً، بل هو محتاج إلى من يكفله.

فالأول مثَل الأصنام الجامدة التي لا تفقه وهي محتاجة إلى من يحرسها وينفض عنها الغبار والوسخ، والثاني مثل لكماله تعالى في ذاته وإفاضته الخير على عباده."[١].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لاشك أن لهذه التشبيهات المتتالية في الآيتين آثاراً جلية في تفسير الآيتين منها:

١) بيان عظمة الله وقدرته وقوته وقهره وملكه ونحو ذلك من صفات الكمال والجلال.

٢) بيان حقارة وذلة وعجز وضعف الآلهة التي يشركونها مع الله ظلماً وجهلاً.

٣) بهذه الأمثلة يتبين لذوي الألباب أنه سبحانه وحده الأحق بأن يفرد بالعبادة.

٤) أظهرت التشبيهات تلك الأصنام في أسوأ ما يمكن أن يتخيله الذهن من العجز والضعف والذلة والقلة، في مقابل الرجل السوي العاقل المالك الحكيم الكريم الذي ينفق كيف يشاء، فكيف بها في مقابلة الله الواحد القهار مالك الملك وأحكم الحاكمين، خالق ورازق أولئك العقلاء والكرماء والمنفقين..

٥) بينت التشبيهات حقيقة مهمة وهي أن كل ما عبد من دون الله وإن تفاوتت في قدرها -مثل الملائكة والأصنام- فهي كلها لا تستحق أن تجعل لله نداً كيف وكلها

(١) انظر التحرير والتنوير (١٤/ ٢٢٧-٢٢٨).

من خلقه وتحت قهره وسطوته وتعيش على رزقه وتتقلب في نعمه وتقتات من خيراته وتخشى عذابه وترجوا رحمته!.

٦) في الآيات نهي عن القول على الله بغير علم وذلك في ضرب الأمثال له سبحانه بما لا يليق.

٧) بعد أن نهاهم عن ضرب الأمثال لله على جهل، أخبرهم أن له العلم الكامل، وأنهم جهلة لا يعلمون، ومن علمه الذي وسع كل شيء، علمه لما ينبغي أن يضرب من الأمثال ثم بين لهم كيف ينبغي أن تضرب الأمثال بياناً عملياً وذلك بأن ساق لهم هذه الجملة من الأمثال لعلهم يتفكرون أو يحدث لهم ذكراً.

٨) في قوله: ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ تقديم لصدقة السر وفيه إشارة لتفضيلها كما في قوله ﷻ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٢٧١﴾ [البقرة:٢٧١]

٩) في الآيات مشروعية حمد الله ﷻ وذلك تعبيراً عن الفرح بظهور حجة الحق وبدحض الباطل.

١٠) في قوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ تنبيه أن "الأحرارَ أيضاً تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى، وأن مالكيتَهم لما يملكونه ليست إلا بأن يرزُقَهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخلٌ في ذلك، مع محاولة المبالغة في الدِلالة على ما قُصد بالمثل من تباين الحالِ بين الممثَّلين فإن العبدَ المملوك حيث لم يكن مثلَ العبد المالكِ، فما ظنُّك بالجماد ومالكِ المُلك خلاّق العالمين". [١]

١١) في قوله: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾ إشارة إلى أنه حتى من جعله الله مثلا للملك والحكمة وحسن التصرف -فلا يستوي هو وذلك العبد المملوك- فإنه مرزوق من الله ولا يملك لنفسه شيئاً.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٢٨).

١٢) وفيها بيان أن سبب وقوع أولئك القوم في الشرك وتسوية الخلق بالخالق إنما هو الجهل، فلو كان لديهم العلم بشيء من صفات الله لما تجرأوا على ذلك، لهذا قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

١٣) في قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ دليل على أن الأكثر منهم على جهل، وفيه أيضاً تعريض بالبعض الآخر الذين يعلمون الحق ولكن كبرهم وحبهم للسيادة جعلهم يعاندون ويصرون على الشرك [1].

١٤) في المثل الثاني زيادة في تحقير آلهتهم، فشبههم بعبدٍ مملوك لا يملك لنفسه شيئاً بل هو زيادة على ذلك أبكم فلا يفهم ولا يُفهَم، فهو لا يستطيع نفع سيده، بل إنه عالة على سيده الذي يقوم بخدمته فأي نفع يرتجى ممن هذه حاله.

(١) هذا المعنى مستفاد من كلام ابن عاشور انظر التحرير والتنوير (١٤/ ٢٢٦).

الآية الخامسة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل:٧٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾.

المشبه: قيام الساعة.

المشبه به: لمح البصر.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: السرعة.

غرض التشبيه: بيان مقدار حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي له علم ما غاب فيهما عن المخلوقين.

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ليس أمر قيام القيامة.

﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ يشبه لمح البصر في سرعته وسهولته على الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على ذلك وعلى أكثر منه كإقامة الساعة في أسرع من لمح البصر.

قال ابن عاشور ~ : "ولمح البصر: توجّهه إلى المرئيّ لأن اللّمح هو النظر، ووجه الشّبه هو كونه مقدوراً بدون كلفة، لأن لَمح البصر هو أمكن وأسرع حركات الجوارح فهو أيسر وأسرع من نقل الأرجل في المشي ومن الإشارة باليد.

ووجه الشّبه يجوز أن يكون تحقّق الوقوع بدون مشقّة ولا إنظار عند إرادة الله تعالى وقوعه، وبذلك يكون الكلام إثباتاً لإمكان الوقوع وتحذيراً من الاغترار بتأخيره.

ويجوز أن يكون وجهُ الشّبه السرعةَ، أي سرعة الحصول عند إرادة الله، أي ذلك يحصل فَجْأة بدون أمارات كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧]، والمقصود إنذارهم وتحذيرهم من أن تبغتهم الساعة ليقلعوا عمّا هم فيه من وقتِ الإنذار"[١].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بعد أن بين سبحانه الفرق العظيم بين الإله الحق والآلهة المزعومة العاجزة، جاءت هذه الآية لتؤكد كمال علمه وقدرته ﷻ، فسعة علمه تتجلى في علمه الغيب الذي لا يمكن لأحد من الخلق أن يدرك كنهه.

وأما كمال قدرته فإنه يتجلى في قدرته على إقامة القيامة في لمحة بصر أو أدنى من ذلك إن شاء وفي هذا التشبيه أمور منها:

١) عظيم قدرته يستدعي أحقيته دون سواه لأن يفرد بالعبادة، فكيف يعبد من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بل هو عالة على سيده، ويترك الرب الخالق المتصرف الذي إقامة الساعة عنده كلمحة بصر أو أسرع وأسهل.

٢) تشبيه الساعة بلمح البصر قد يفيد سرعة قيامها، أو اقتراب موعدها، أو أن إقامتها لا يتطلب كثير جهد أو عناء وكل ذلك على الله يسير.

٣) جاء التشبيه ليلفت انتباه القوم إلى ما هو أهم، فبدلاً من السؤال متى الساعة، الأولى أن يسألوا عن الذي بيده أمرها ليعرفوه فيوحدوه، أو يسألوا عن الأعمال التي تنجيهم في ذلك اليوم، وهذا منهج قرآني ونبوي عظيم يسعى للرقي بهمم القوم وأفهامهم كما في جوابه ﷺ للرجل الذي سأله عن الساعة، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قَالَ: (وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا..الحديث) [٢].

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٣٠).

(٢) رواه البخاري في باب علامة الحب في الله (٦١٧١) فتح الباري (١٠/ ٥٥٧)، ورواه مسلم (٦٨٠٣).

فلم يخبره ﷺ عن موعدها ولا عن أماراتها ولم يسأله عن أي شيء آخر، بل لفت انتباهه للقضية الأهم وهي قضية الاستعداد لها.

٤) في قوله: ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ بيان أنه من الممكن أن يكون أمر القيامة أسرع وأقرب من لمح البصر فجعل المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به وهذا غاية في المبالغة والبلاغة.

٥) التشبيه بلمح البصر ليس بالأمر الصعب على الله ﷻ لأن أمره سبحانه بين الكاف والنون كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة:١١٧]والآية تثبت هذه الحقيقة، وإنما يشك في ذلك البشر الجهلاء الضعفاء الذين يقيسون أمور الغيب العظيمة بأقيستهم القاصرة، يقول سيد قطب ~ : " ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ : فهي قريب، ولكن في حساب غير حساب البشر المعلوم، وتدبير أمرها لا يحتاج إلى وقت، طرفة عين فإذا هي حاضرة مهيأة بكل أسبابها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وبعث هذه الحشود التي يخطئها الحصر والعد من الخلق، وانتفاضها، وجمعها، وحسابها، وجزاؤها.... كله هين على تلك القدرة التي تقول للشيء: كن، فيكون. إنما يستهول الأمر ويستصعبه من يحسبون بحساب البشر، وينظرون بعين البشر، ويقيسون بمقاييس البشر، ومن هنا يخطئون التصور والتقدير!" (١).

٦) ختم الآية بالتذكير والتأكيد على أنه قدير على ما يشاء وكأن المفهوم من ذلك أن هذه الأمثال والتشبيهات -وإن كانت عظيمة- إنما جعلت لتفهمها عقولهم وإلا فقدرته سبحانه أعظم وأشمل من ذلك بكثير.

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٨٥).

الآية السادسة: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل:٩١-٩٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل ذكرت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾.

المشبه: المؤمنون.

المشبه به: التي نقضت غزلها.

أداة التشبيه: الكاف في قوله ﴿كَٱلَّتِي﴾

وجه الشبه: الرجوع إلى فساد بعد التلبس بصلاح(١).

غرض التشبيه: تنزيه المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ أمر بالوفاء بعهود البيع والأيمان وغيرها من العهود.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي بعد توثيقها وهو نهي عن الغدر.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي كفيلاً بالوفاء حيث حلفتم به.

---

(١) التحرير واالتنوير (١٤/ ٢٦٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ فلا يخفى عليه منكم شيء وهذا تهديدٌ لهم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ أفسدت ما غزلته من قبل، وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه[(١)].

﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ بعد إحكامٍ له و حسن بَرْم.

﴿أَنكَٰثٗا﴾ أي محلولاً بعد إحكام عقده.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ أي مكراً وخديعة.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ﴾ أي لأن تكون جماعة أكثر من أخرى.

قال الزمخشري ~ : "﴿وَلَا تَنقُضُواْ﴾ (إيمان البيعة) بَعْدَ تَوْكِيدِهَا (أي بعد توثيقها باسم الله. وأكد ووكد: لغتان فصيحتان، والأصل الواو، والهمزة بدل)، كَفِيلاً (شاهداً ورقيباً؛ لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه) ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ (في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته) أَنكَاثًا (جمع نكث وهو ما ينكث فتله"[(٢)].

والمعنى: "لا تغدِروا بقوم لقلَّتِهم وكثرتكم، أو قِلَّتكم وكثرتهم وقد غرَّرتموهم بالأَيمان، وذلك لأنهم كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضون حِلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنُهوا عن ذلك"[(٣)].

﴿إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع

(١) روى ذلك ابن جرير وذكر القول بأنها امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه.

وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده سواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا، أنظر جامع البيان (١٧/ ٢٨٣). وقال أبو السعود: " والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به"، إرشاد العقل السليم (٥/ ٥١٤).

(٢) الكشاف (٢/ ٥٨٨).

(٣) جامع البيان (١٧/ ٢٨٦).

منكم والعاصي، أو بكون أُمَّة أربى، لينظر أتفون أم لا ؟

قال السعدي ~ : "لا تنبغي هذه الحالة منكم تعقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد واليمين بل لعجزه، وإن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نقضها نقضها غير مبال بعهد الله ويمينه.

كل ذلك دورانا مع أهوية النفوس، وتقديما لها على مراد الله منكم، وعلى المروءة الإنسانية، والأخلاق المرضية لأجل أن تكون أمة أكثر عددا وقوة من الأخرى.

وهذا ابتلاء من الله وامتحان يبتليكم الله به حيث قيض من أسباب المحن ما يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي"[1].

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ليظهرن لكم ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمر العهد وغيره، فيعذب الناكث ويثيب الوافي.

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥١٥).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لهذا التشبيه آثار منها:

١- بيان قبح نقض العهد، والتشبيه يصور ذلك ويشير إلى حقارة فاعله ويحذر من مقارفته وذلك بأمور منها:

أولاً: تنكير المرأة التي كانت تنقض غزلها وعدم التصريح باسمها فالتنكير يفيد التحقير(١)، لأن القرآن أعظم وأسمى من أن يحوي بين دفتيه اسم امرأة خرقاء. قال ابن عاشور ~ : "ولأن القرآن لم يذكر فيه بالاسم العلم إلا من اشتهر بأمر عظيم مثل جالوت وقارون"(٢). وكذلك فإن من منهج القرآن عدم التصريح أحياناً بالأعلام وإن كانوا من ذوي الشأن كبعض الأنبياء وأصحاب الكهف وغيرهم(٣).

ثانياً: اختيار هذه المرأة لتكون مثالاً سيئاً للإفساد بعد التلبس بالصلاح إشارة إلى أن من أفسد بعد إصلاح فاختار الكفر بعد أن تلبس بالإيمان، أو فضل معصية الله على الوفاء بعهده، فإنه قد شابه من في عقله شيء.

ثالثاً: تصدير الجملة بلا الناهية دليل على حرمة نقض العهد والإفساد بعد الإصلاح، وقد أمر الله بحفظ العهد في كثير من الآيات وامتدح حفظة العهود وأخبر أن حفظ العهد من صفات ورثة الجنة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ

---

(١) قال: ابن عاشور: وقد يؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم الداعي للتعريف نحوه ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ فدل على أن المسند إليه فرد مبهم من جنس ثم يتوصل المتكلم بذلك إلى إفادة التعظيم تارة والتحقير أخرى وقد جمعهما قول مروان بن أبي حفصة:

له حاجب عن كل أمر يشينه .:. وليس له عن طالب العرف حاجب

ويعرف ذلك بالقرينة وسياق الكلام أنظر كتاب موجز البلاغة للطاهر بن عاشور (١/ ١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٥٨٨).

(٣) هذا مشاهد وبيّن لمن تتبع منهج القرآن في التعامل مع الأعلام، ولا يتعارض مع كلام ابن عاشور المتقدم.

﴿٣٢﴾ [المعارج:٣٢]، إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

وفي المقابل فقد وصف الله ناقضي العهود بالفسق والخسران وتوعدهم باللعن وسوء الدار كما في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد:٢٥].

بل توعدهم الله بأشد الوعيد كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللهُ تَعَالَى ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ"(1). والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة..

رابعاً: نسبة الغزل إلى المرأة فيها إشارة إلى أن إساءة المرء وإحسانه أمران يعودان عليه وحده، وأن نفعهما وضررهما له أو عليه، ولن يضر الله شيئاً ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت:٤٦].

خامساً: في قوله ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ دليل على أن الغزل كان محكماً ولو لم يكن كذلك لما كان فعلها هذا معيباً، وكذلك الأمر فيمن أعطى الناس المواثيق والأيمان المغلظة حتى استمال قلوبهم فعاهدوه، ثم غدر ومكر فإنه أسوأ حالاً وأشد جرماً ممن غدر بدون أيمان -وإن كان كلٌ منهما آثم خاطئ- لكن ما جُعل الله عليه كفيلاً أعظم عند الله.

يقول سيد قطب ~ : "وكل جزئية من جزئيات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجب، وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب، وهو المقصود...

(١) البخاري في باب إثم من باع حراً (٢٢٢٧) فتح الباري (٤/ ٤١٧)، وابن ماجة برقم (٢٤٤٢).

وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة الملتاثة العقل، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه!" [(١)].

٢- في الآية دليل على أن الأوامر والنواهي ابتلاء من الله لعباده لينظر كيف يفعلون وأن نتائج ذلك الابتلاء ستظهر يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران:٣٠].

٣- في هذا النهي الشديد وهذا التشبيه بالمثل السوء تذكير للناس أنهم قد يتسرب إليهم من إيثار الدنيا على الآخرة، وذلك بإخلاف الوعد ونقض العهد مع أمة أو جماعة أو دولة تبين ضعفها من أجل الظفر بعهد وحلف مع أمة أو دولة أقوى وأكثر جمعاً[(٢)].

٤- في قوله ﴿أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ معانٍ كثر فيدخل في ذلك الأقوى والأعز والأكثر مالاً والأشد منعةً والأفخر نسباً وغير ذلك، لأن الربا الزيادة وهي هنا مطلقة تشمل كل ما يفضل به القوم غيرهم.

٥- في حفظ العهد مع الأمة الضعيفة أو الفقيرة رغم ما تزينه الأمم القوية من زخرف وما تعد به من إغراءات، في ذلك ابتلاء للمؤمنين وامتحان لكرامتهم على أنفسهم، وصدق توكلهم، ومضاء عزيمتهم، وصبرهم على مغريات الدنيا، والعاقبة للمتقين.

٦- في هذه الآية بيان لمبدأ عظيم من مبادئ الإسلام وهو مبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٩١).

(٢) هذا المعنى مستفاد من كلام سيد قطب أنظر المصدر السابق (٤/ ٢١٩١).

٧- تقرر الآية عقيدة أصيلة لدى المسلم وهي عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين في حال أن الأمة المستضعفة مؤمنة والأمة الرابية كافرة، فلا ينقض عهد المؤمنين بغية الفوز بها في أيدي الكافرين ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة:٥١-٥٢].

٨- أن مبادئ الإسلام -ومنها الوفاء بالعهود والمواثيق- كما أنها ثابتة النزول من عند الله ومحفوظة بحفظ الله لهذا القرآن وهذا الدين، فكذلك ينبغي أن تكون ثابتة راسية في قلوب المؤمنين رسو الجبال فلا تتأثر هذه المبادئ بعواصف الفتن، فالمحافظة على العهود أمانة يهون أمامها سفك الدماء وتزهق من أجل المحافظة عليها الأنفس، لا كبراً وعصبية، ولكن طاعة لله ووفاءً بعهده وتعظيماً لميثاقه.

المبحث الثامن : التشبيهات القرآنية في

سورة الإسراء

وفيها تشبيهان اثنان

الآية الأولى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

المشبه: دخولهم المسجد في المرة الآخرة.

المشبه به: دخولهم المسجد في المرة الأولى وما كان فيه من تقتيل وتدمير وتخريب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التدمير والإفساد وتخريب مسجد بيت المقدس.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي أن طاعتكم لله إنما هي إحسان لأنفسكم لأنَّ الثواب لها والله غني عنكم.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي أن إساءتكم إنما تضركم أنتم ولن تضروا الله شيئاً.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي أفسدتم الفساد الثاني بعثناهم وسلطناهم عليكم.

﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ لكي يحزنوكم بالقتل والسبي والتخريب حزناً تظهر آثاره في وجوهكم لأن الوجوه هي المواضع التي تبين ما بالإنسان من خير أو شر.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ المقصود به بيت المقدس.

﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ فأفسدوا فيه وخرّبوه، والتشبيه يفيد تماثل الحالين وما فيهما من إفساد وقتل وتدمير.

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ والتتبير رد الشيء فتاتاً والمعنى يهلكوا ويدمروا.

﴿مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ أي كل ما غلبوا عليه من البلاد، أو مدة علوهم، فيدمروه تدميراً، واختلف في القوم الذين سلطوا عليهم على أقوال كثيرة لكن المفسرين اتفقوا على أنهم قوم كافرون[1].

ويفسر ابن كثير ~ التشابه بين المرتين بقوله: " يقول تعالى: إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي: تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوًا كبيرًا، أي: يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر:٦٦] أي: تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به. وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: أولى الإفسادتين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: سلطنا عليكم جندًا من خلقنا أولي بأس شديد، أي: قوة وعدة وسلطة شديدة ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أي: تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم، أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم: من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة: أنه جالوت الجَزَريّ وجنوده، سلط عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك. وقتل داود جالوت ؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء:٦]، وعن سعيد بن جبير: أنه ملك الموصل سنجاريب وجنوده. وعنه أيضًا، وعن غيره: أنه بختنصر ملك بابل.

وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال، إلى أن ملك البلاد، وأنه كان فقيرًا مقعدًا ضعيفًا يستعطي الناس ويستطعمهم، ثم آل به الحال إلى ما آل، وأنه سار إلى بلاد بيت المقدس، فقتل بها خلقًا كثيرًا من بني إسرائيل. وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثًا أسنده عن حذيفة مرفوعًا مطولا، وهو

(١) حكى ذلك الإتفاق السعدي ~ في تفسيره لهذه الآية، انظر: تيسير الرحمن (١/ ٥٢١).

حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث! والعجب كل العجب كيف راج عليه مع إمامته وجلالة قدره! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي ~ ، بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب.

وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ؛ لأن منها ما هو موضوع، من وضع [بعض] زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحًا، ونحن في غُنْيَة عنها، ولله الحمد. وفيما قص الله تعالى علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم. وقد أخبر الله تعالى أنهم لما بغوا وطغوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بَيْضَتَهم، وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم، جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد ؛ فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء" (١)

◊ أثر التشبيه في تفسير الآية:

هدد الله بني إسرائيل في هذا التشبيه وتوعدهم بما سيحدث لهم في حالة تكرارهم الإفساد في الأرض وأنه سبحانه سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب جزاء تعديهم لحدود الله جزاءاً وفاقاً، تماماً كما حدث في المرة الأولى حينما دمرت ديارهم وسيئت وجوههم وخرب مسجدهم..

ففي التشبيه بيان لعدل الله سبحانه وأنه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وفيه أيضاً بيان لرحمته سبحانه بعباده على ظلمهم فهو لا يعذب حتى ينذر كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص:٥٩].

وفي التشبيه أن الجزاء على قدر الإثم لا يزيد ولا يظلم ربك أحداً، ومن أدلة

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧).

رحمته سبحانه قوله بعدها ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء:٨]، فأرحم الراحمين في خضم الوعيد وبعد آيات التهديد يتلطف بهم ويقول ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾.

ويشبه هذا المعنى عرضه سبحانه التوبة على المشركين بعد أن فتنوا المؤمنين حين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج:١٠]. فكأن الآية تقول لهم إن أحسنتم بالطاعة أحسنّا إليكم بالنصر والتمكين والأمن وإن عدتم للإساءة والإفساد عاد إليكم الجزاء العادل المقابل لإساءتكم دون زيادة.

ثم إن لهذا التشبيه أثراً آخراً مهماً في تفسير الآية وهو ترجيح قول القائلين بحصول التدمير والقتل في المرة الأولى كما قال أبو حيان ~ في البحر: " ومعنى كما دخلوه أول مرة أي بالسيف والقهر والغلبة والإذلال، وهذا -أي التشبيه- يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب " [(١)].

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٠، ١١).

الآية الثانية: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مؤكد حيث حذفت فيه الأداة، وتقديره ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾

المشبه: الدعاء بالشر.

المشبه به: الدعاء بالخير.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: العجلة وعدم التأني.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ الإنسان هنا للجنس فيدعوا على نفسه وأهله إذا ضجر.

﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ أي كدعائه بالخير واستعجاله له.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه أو من يحب من مال أو أهل وعدم التأني والنظر في عواقب ذلك.

وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:١١] وفيها أقوال ثلاثة تقدم ذكرها هناك.

ويفسر ابن عاشور ~ الشبه بين التعجيل بالدعاء بالخير والتعجيل بالدعاء بالشر بقوله: "وقوله: ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ مصدر يفيد تشبيهاً، أي يستعجل الشر كاستعجاله الخير، يعني يستبطىء حلول الوعيد كما يستبطىء أحد تأخر خير وعد به"(1).

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٤٢).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

صور التشبيه حال الإنسان الجاهل بما ينفعه، المتسرع في أغلب شئونه ومن ذلك الدعاء، فلا صبر عنده ولا روية أو تثبت لديه، حتى أنه ليدعوا على نفسه أو أهله أو ماله بالهلاك أو اللعن وما أشبه ذلك، بل يسارع فيه كما يسارع في دعائه أثناء طلبه للخير ورغبته فيه، وحذفت أداة التشبيه لبيان شدة المشابهة بين المشبه والمشبه به وهذا من أبلغ ما يكون من التشبيه.

ومن آثار التشبيه بيان سعة رحمة الله ﷻ وعظيم حلمه على عباده بعدم استجابته لدعائهم على أنفسهم بالسوء في حين أنه يستجيب لهم إذا دعوا بطلب الخير.

وختم الآية ببيان الحال الغالب على الإنسان وهي العجلة في الأمور كلها، وذلك من أدلة ضعفه وعجزه، في قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ التماس للعذر لهذا الإنسان وذلك لأن الاستعجال أمر قد جبل عليه، وفي ذلك درس للعبد المؤمن بأن يلتمس العذر لإخوانه المسلمين إن رأى منهم خطأ أو وقعت منهم زلة، فإذا كان الله العظيم الكريم الرؤوف الرحيم يعفو ويصفح بل ويلتمس العذر للعبد الجاهل الخاطئ، فالمؤمن ينبغي أن يجتهد وسعه في إقالة عثرات إخوانه وقبول معاذيرهم والتغافل عن أخطاءهم، وهذا منهج قويم وخلق كريم والناس إليه في هذا الزمان أحوج ما يكون.

قال أبو السعود ~ : "وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن كان هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكى عنهم وأما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم، دعاءه بالخير أي مثل دعاءه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فإنه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز إلى أنه اللائق بحاله وكان الإنسان أي من أسند إليه الدعاء المذكور من أفراده عجولا يسارع إلى طلب ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو

مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم تحمل العجولية على اللجج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الأعمال"[1].

(١) إرشاد العقل السليم (٥/ ١٥٨).

المبحث التاسع : التشبيهات القرآنية في

سورة الكهف

وعددها (١١) تشبيهًا

الآية الأولى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف:٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ. في قوله تعالى: ﴿بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾.

المشبه: النبي ﷺ.

المشبه به: باخع نفسه.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: شدة الهم والحزن.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي قاتلها غمّاً من أجل عدم إيمانهم.

﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ هماً وغماً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم.

ويوضح ابن عاشور ~ طبيعة التمثيل في الآية فيقول: "ويجوز أن يكون المعنى تمثيل حال الرسول ﷺ في شدة حرصه على اتباع قومه له وفي غمه من إعراضهم. وتمثيل حالهم في النفور والإعراض بحال من فارقه أهله وأحبتُه فهو يرى آثار ديارهم ويحزن لفراقهم. ويكون حرف ﴿عَلَىٰٓ﴾ ظرفاً مستقراً في موضع الحال من ضمير الخطاب، ومعنى ﴿عَلَىٰٓ﴾ الاستعلاء المجازي وهو شدة الاتصال بالمكان.

وكأن هذا الكلام سيق إلى الرسول ﷺ في آخر أوقات رجائه في إيمانهم إيماء إلى أنهم غير صائرين إلى الإيمان، وتهيئة نفسه أن تتحمل ما سيلقاه من عنادهم رأفة من ربه به، ولذلك قال: ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ بصيغة الفعل المضارع المقتضية

الحصول في المستقبل، أي إن استمر عدم إيمانهم ".[1]

أثر التشبيه في تفسير الآية:

شبه النبي ﷺ لما أصابه من هم وغم وحزن على كفر قومه بالذي يقتل نفسه حزناً عليهم وأسفاً على كفرهم، ففيه تسلية للنبي ﷺ وطمأنة له بأنه ليس عليه هداهم وإنما عليه البلاغ كما قال في آية أخرى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [فاطر:٨].

قال ابن كثير ~ : " يقول تعالى مسليًا رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، كما قال تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨]، وقال ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء:٣]، باخع: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم، ولهذا قال ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ يقول: لا تهلك نفسك أسفًا"[2].

وقد كان ﷺ كثير الحزن على قومه والتأسف لكفرهم وما ذلك إلا لما فيه من الرحمة، فأراد الله أن يبين له ولكل داعية يدعوا إلى الخير من بعده أنه ﻷ قد جعل لكل شيء قدراً، فما على الداعي إلا أن يدعوا ويجتهد وسعه في دعوته ثم لا ينتظر النتيجة، بل عليه ألا يحزن لو جاءت النتائج مخيبة للآمال أو بعكس المراد، فإن الله هو الذي يهدي من يشاء هداية التوفيق والإسعاد وأما الداعي فعليه هداية الدلالة والإرشاد.

فالتشبيه يؤكد على هذا المنهج وتلك الخطوط العريضة في الدعوة إلى الله لتكون

---

(١) هذا التشبيه لم أجد من قال به من المفسرين، إلا ابن عاشور الذي ذكر أنه تشبيه في الآية الثالثة من سورة الشعراء المشابهة لهذه الآية في المبنى والمعنى وأغفل ذكر الأمر نفسه في آية سورة الكهف هذه، وهو وإن لم يقل به جمهور المفسرين إلا أنه من المعاني التي تحتملها الآيتين وإن كان احتمالا بعيدا جدا والله أعلم انظر التحرير والتنوير (التحرير والتنوير ١٥/ ٢٥٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٣٧).

سنة ماضية ونبراساً يستضيء به الدعاة إلى الله في دروب دعوتهم الشائكة الطويلة.

والتشبيه يؤكد ذلك لأن تلك الحسرات والأحزان تأخذ الكثير من وقت الداعية والزمن يسير والعمر قصير والأيام تمضي والأمة تنتظر، فكل التفاتة إلى الوراء هماً أو حزناً على الطاغين، فإنها لا شك تضيع على الداعية الكثير من الفرص وتعيقه عن المضي قدما في دعوته، في حين أن المقبلين كثر والمتلهفين لسماع الحق كثر أيضاً، والوقت لا يتسع وليس للداعية إلا عمر واحد فلا مجال للحسرات ولا بكاء على المصرين على الهلاك.

الآية الثانية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ ﴾ [الكهف:١٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل حيث ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ ﴾.

المشبه: بعث أهل الكهف من الموت.

المشبه به: استيقاظ أهل الكهف بعد نومهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: سهولة الأمرين على الله سبحانه.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما أنمناهم تلك السنين المتطاولة دون أن يمسهم أذى.

﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ ﴾ أيقظناهم من رقدتهم.

﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡ ﴾ ليسأل بعضهم بعضا. ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ ﴾ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ ﴾ فأجابه الآخرون فقالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم، ظنا منهم أن ذلك كذلك كان، فقال الآخرون: ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾ فسلِّموا العلم إلى الله ".[1]

(١) جامع البيان (١٧/ ٦٢٧).

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ الورِق بكسر الراء هو الفضة.

﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ أي أطيب الأطعمة.

﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ أي ليجلب لكم الطعام وليحرص ألا يعرف به أهل المدينة.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

قال ابن جرير ~ : "يقول تعالى ذكره: كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف، فحفظناهم من وصول واصل إليهم، وعين ناظر أن ينظر إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان، وثيابهم من العفن على مرّ الأيام بقدرتنا، فكذلك بعثناهم من رقدتهم، وأيقظناهم من نومهم، لنعرّفهم عظيم سلطاننا، وعجيب فعلنا في خلقنا، وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له، إذا تبيَّنوا طول الزمان عليهم، وهم بهيئتهم حين رقدوا"(١).

يعرض التشبيه جانباً من قدرة الله ﷻ وذلك بتشبيه البعث بالإنامة فكلاهما في ميزان قدرة الله سواء، فرغم أن تلك الإنامة كانت خارقة للعادة فتجاوزت مئات السنين وهم في ذلك الكهف لا يصل إليهم نظر الناظرين، ولا يعتريهم ما يعتري الموتى من تسلط هوام الأرض وديدانها، ولم تتعفن ثيابهم ولم يمسهم أي نوع من الأذى، كل ذلك لم يعجزه سبحانه، فكما أنه دبّر مثل هذه الأمور العظيمة فإنه قادر على بعثهم من مرقدهم.

ولأن له سبحانه القدرة البالغة فيستوي عنده الجليل والحقير ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

(١) المصدر السابق.

كما أن في ذلك إشارة ضمنية إلى قدرته ﷻ على البعث الأعظم يوم القيامة الذي يشكك فيه المشركون، فما نوم أولئك النفر تلك المدة الطويلة من الزمن إلا مثال مصغر لرقدة الناس في قبورهم، وما إيقاظهم إلا تذكير بالنشور الأعظم يوم القيامة وهذا من أعظم الأهداف التي بحثتها هذه السورة.

الآية الثالثة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف:٢١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت الأداة دون وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ .

المشبه: الإعثار على أهل الكهف.

المشبه به: الإنامة والبعث.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: القدرة على الكل.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

قال ابن جرير ~ : " يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شكّ من قُدرة الله على إحياء الموتى، وفي مِرْية من إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلَى، فيعلموا أن وَعْد الله حق، ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها " (١).

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي وعده بالبعث.

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٦٣٩- ٦٤٠).

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ القيامة لا شكّ في تحقق وقوعها.

﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أي يتنازع المؤمنون والكفار أمر الفتية في البناء حولهم.

﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي قال الكفار ابنوا حولهم بنياناً يسترهم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أي على أمر الفتية وهم المؤمنون.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ حولهم مسجداً يصلى فيه.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

جاء هذا التشبيه بعد التشبيه السابق ومتمماً للحكمة منه فكلا من التشبيهين يناقش حقيقة واحدة وهي قدرته سبحانه على البعث بعد الموت، ولكن هذا التشبيه أكثر صراحة في الإخبار عن السبب الذي لأجله أعثر الله القوم على أولئك الفتية، وهو ليعلموا أن وعد الله بالبعث متحقق لا محالة، ففي ذلك درس عملي وبينة حية محسوسة للذين هم في شك من الغيب والبعث.

فأي حجة تبقى لهم حينما ينظرون لأولئك الفتية وقد أنامهم الله هذه السنين العديدة المتطاولة ثم أيقظهم فإذا هم يرونهم أماهم رأي العين، أوليس القادر على ذلك بقادر على البعث الذي يمارون فيه؟ بلى وهو الخلاق العليم.

وفي قوله ﴿أَعْثَرْنَا﴾ نكتتان لطيفتان:

الأولى: أن الفعل جاء متعدياً حذف معموله والتقدير (وكذلك أعثر الله أهل القرية عليهم) فالمعنى أن أصحاب القرية قد وجدوا شيئاً دون طلب له أو بحث عنه أو حرص عليه، وهذا دليل على أن الله هو الذي أعثرهم لتلك الحكمة التي ذكر سبحانه.

الثانية: تشبيه الإعثار بما تقدم من الإنامة ثم البعث يقتضي أن الله الذي بيده الإنامة والإفاقة هو وحده الذي شاء أن يعثر قومهم عليهم ولو فعلوا ما فعلوا من أجل الوصول إليهم فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً إلا أن يشاء العليم الحكيم.

وأخيراً فإن في التشبيه الماضي إشارة إلى البعث بقول الحق سبحانه: (بعثناهم) أما في هذا التشبيه فقد صرح بالحكمة من القصة كلها ثم صرح بالهدف الأعظم والحقيقة الكبرى المرادة وهي غرس الإيمان بالغيب -ومنه البعث والساعة- في قلوب القوم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾.

الآية الرابعة: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل(1)، حيث ذكر أداة التشبيه دون وجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.

المشبه: الماء الذي يشربه أهل النار.

المشبه به: المهل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الحرارة والمرارة والسواد.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: قل يا محمد للناس: هذا هو الحق من ربكم واضح أمامكم فطريق الهداية المؤدي إلى السعادة بين وطريق الغواية المؤدي إلى الشقاوة بين.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ فاختاروا لأنفسكم أحد الطريقين، وذلك راجع إلى مشيئتكم وهذا فيه تهديد شديد لمن اختار طريق الكفر بعد أن بين ﷺ الطريقين.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وأظلم الظلم الشرك والكفر.

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي: أن لها سور محيط بها لا يجدون منها منفذاً ﴿إِنَّهَا

(1) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٤).

﴿عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٨﴾﴾ [الهمزة:٨].

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ أي: يطلبوا الشراب، لشدة ما يجدون من العطش.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ قيل المهل الرصاص المذاب وقيل الأسود، وقيل ما اشتد حره[1].

﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ﴾ يذيبها فتسقط فروة وجوههم فيه، كما في قوله تعالى: ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج:٢٠]. ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ تحقير وازدراء لذلك الشراب.

﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ أي النار فهي أسوأ دار فليس فيها رفق ولا ارتفاق بل العذاب الأليم الشاق.

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ عناصر التشبيه بقوله: " والاستغاثة: طلب الغوث وهو الإنقاذ من شدة وبتخفيف الألم. وشمل ﴿يَسۡتَغِيثُواْ﴾ الاستغاثة من حر النار يطلبون شيئاً يُبرد عليهم، بأن يصبوا على وجوههم ماء مثلاً، كما في آية الأعراف ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [الأعراف:٥٠]. والاستغاثة من شدة العطش الناشىء عن الحر فيسألون الشراب، وقد أومأ إلى شمول الأمرين ذكر وصفين لهذا الماء بقوله: يشوي الوجوه بئس الشراب} .

والإغاثة: مستعارة للزيادة مما استغيث مِن أجله على سبيل التهكم، وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده.

والمُهل بضم الميم له معانٍ كثيرة أشبهها هنا أنه دُردي الزيت فإنه يزيدها التهاباً قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾﴾ [المعارج:٨].

والتشبيه في سواد اللوْن وشدة الحرارة فلا يزيدهم إلا حرارة، ولذلك عقب

(١) ذكر هذه الأقوال ابن جرير ثم عقب عليها بقوله: (وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى) أنظر جامع البيان (١٨/ ١٣).

بقوله: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.

وجملة ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ معطوفة على جملة ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾، فهي مستأنفة أيضاً لإنشاء ذم تلك النار بما فيها.

والمرتفق: محل الارتفاق، وهو اسم مكان مشتق من اسم جامد إذ اشتق من المِرْفقِ وهو مجمع العضد والذراع. سمي مرفقاً لأن الإنسان يحصل به الرفق إذا أصابه إعياء فيتكىء عليه. فلما سمي به العضو تنوسي اشتقاقه وصار كالجامد، ثم اشتق منه المُرتفق. فالمرتفق هو المُتكأ، ....

وشأن المرتفَق أن يكون مكان استراحة، فإطلاق ذلك على النار تهكم، كما أطلق على ما يزاد به عذابهم لفظ الإغاثة، وكما أطلق على مكانهم السرادق".(١)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

جاء هذا التشبيه يحمل صورة بليغة من التهكم والاستهزاء بأولئك الأشقياء من أهل النار الذين كانوا يستهزئون بأوامر الله وينتهكون حدوده، فكان جزاءهم النار التي أحاطت بهم إحاطة السوار بالمعصم فيلفحهم حرها ويتجرعون عذابها ويغصون بزقومها وتحترق أجسامهم من قطرانها الذي تلبس بهم.

فإذا استغاثوا من أي من ذلك ليدفعوا عطشاً أو ليتخلصوا من حرٍ أو غير ذلك، جاء الغوث ولكن أي غوث إنه ماءٌ يغلي، تحترق منه وجوههم عند دنوه من أفواههم فيتحاملون على أنفسهم، أو يُسقونه بالقوة دون رغبة منهم فيقطع ما يمر به من أجسامهم حتى يخرج من أدبارهم ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد:١٥].

لقد كانوا يؤملون في ماء يروي ظمأهم أو يطفئ حريق أجسادهم، فكان ذلك الماء عذاباً فوق العذاب.

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠٨-٣٠٩).

ولما كانت النار بتلك الصفات وماؤها بتلك الحرارة، فقد استحقت أن يقال لها بئس الدار والمقام ورفقتها بئس الرفقة.

كذلك، فإن التشبيه بالكاف يقتضي المشابهة التامة وفيه دليل على أن ذلك الماء قد بلغ من المرارة والحرارة أقصاهما.

قال سيد قطب ~ : "فإن استغاثوا من الحريق والظمأ أغيثوا.. أغيثوا بماء كرديء الزيت المغلي في قول، وكالصديد الساخن في قول! يشوي الوجوه بالقرب منها فكيف بالحلوق والبطون التي تتجرعه ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ الذي يغاث به الملهوفون من الحريق! ويا لسوء النار وسرادقها مكاناً للارتفاق والاتكاء، وفي ذكر الارتفاق في سرادق النار تهكم مرير، فما هم هنالك للارتفاق، إنما هم للاشتواء! ولكنها مقابلة مع ارتفاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات هنالك في الجنان.. وشتان شتان!" [1].

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٦٧).

الآية الخامسة: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف:٣٢-٤٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي[1] حيث مثل حال الكفار بصاحب الجنتين الكافر ومثل حال المؤمنين بالرجل الفقير المؤمن.

المشبه: المؤمن الفقير والكافر الغني.

المشبه به: الرجل الصالح المؤمن وصاحب الجنتين الكافر.

أداة التشبيه: واضرب لهم مثلاً.

وجه الشبه: الشكر والرضا من المؤمن، والبطر والجحود من الكافر.

غرض التشبيه: تزيين حال المشبه المؤمن، وتقبيح حال المشبه الكافر.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤١)، وانظر التحرير والتنوير (١٥/ ٣١٦).

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾ (١) يقول تعالى: لنبيه ﷺ: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما.

﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصا أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ﴾ أي: كان لذلك الرجل ثمرٌ عظيم كما يفيده التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما.

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ أي أن صاحب الجنتين قال لصاحبه المؤمن، مفتخرا عليه: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه وإلا فأي: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأماني، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه.

ويوضح ابن كثير ~ هذا المثل بقوله: " بعد ذكر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم،

---

(١) ذكر المفسرون أن الرجلين أخوان من بني إسرائيل، وقيل رجلان من بني مخزوم وقيل إنما هو مجرد مثل وقد ذكر تلك الأقوال الآلوسي ثم قال: "والمراد ضربهما مثلاً للفريقين المؤمنين والكافرين لا من حيث أحوالهما المستفادة مما ذكر آنفاً من أن للمؤمنين في الآخرة كذا وللكافرين فيها كذا بل من حيث عصيان الكفرة مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة المؤمنين مع مكابدتهم مشاق الفقر أي اضرب لهم مثلاً من حيثية العصيان مع النعمة والطاعة مع الفقر حال رجلين {جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا} وهو الكافر {جَنَّتَيۡنِ} بستانين لم يعين سبحانه مكانهما إذ لا يتعلق بتعيينه كبير فائدة" روح المعاني (١٥/ ٢٧٣).

فضرب لهم مثلا برجلين، جعل الله ﴿لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ أي: بستانين من أعناب، محفوفتين بالنخل المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مُقبلٌ في غاية الجود ؛ ولهذا قال: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ أي: خرجت ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ أي: ولم تنقص منه شيئًا ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ أي: والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا. ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ قيل: المراد به: المال. رُوي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: الثمار وهو أظهر هاهنا، ويؤيده القراءة الأخرى: "وكان له ثُمْر" بضم الثاء وتسكين الميم، فيكون (٥) جمع ثَمَرة، كَخَشَبَة وخُشب، وقرأ آخرون: ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم. فقال - أي صاحب هاتين [الجنتين] - ﴿لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا. قال قتادة: تلك - والله - أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ وذلك اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة ؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: كائنة ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ أي: ولئن كان معاد ورجعة وَمَرَدٌّ إلى الله، ليكونَنّ لي هناك أحسن من هذا لأني مُحظى عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت:٥٠]، وقال ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم:٧٧] أي: في الدار الآخرة، تألى على الله، ﷻ...

ووقع بهذا الكافر ما كان يحذر، مما خَوَّفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته، التي اغتر بها وألهته عن الله، ﷻ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ وقال قتادة: يُصفّق كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليه ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾ أي: عشيرة أو ولد، كما افتخر بهم واستعز ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾ اختلف القراء هاهنا، فمنهم من يقف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، فلا منقذ منه. ويبتدئ [بقوله] ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾ ومنهم من يقف على: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾ "[1].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا المثل يضربه الله سبحانه لأولئك الكفرة الفجرة المتجبرين الفرحين بما أوتوا، في مقابل أولئك المؤمنين الفقراء المستضعفين، وهو زيادة بيان للظالمين الذين كانوا يطالبون النبي ﷺ بطرد المسلمين الضعفاء الصابرين على طاعة الله والذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إبتغاء رضوان الله وطلباً لما عنده سبحانه.

قال ابن عطية ~ : "وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بهما نخل، بينهما فسحة، هي مزدرع لجميع الحبوب، والماء الغيل يسقى جميع ذلك من النهر الذي قد جمل هذا المنظر، وعظم النفع، وقرب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها"[2].

فمن آثار التشبيه وما جاء بعده من الآيات بيان أن الله يمحق الحرام ويزهق الباطل ولو كثر وطاب فيما يخيل للناس..

وفي المقابل كيف أن الله ﷻ يبارك في الحلال ويقبل الطيبات وينميها ولو كانت يسيرة أو مما لا يؤبه به وذلك رداً على معتقدات المشركين الفاسدة ونظرتهم الدنيوية السطحية حينما طلبوا من رسول الله ﷺ طرد الفقراء وعدم مجالستهم[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٥٧-١٥٩).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ٥١٦).

(٣) روى ابن جرير عن ابن عباس في قوله (واصبر نفسك..الآية): ولا تتعدهم إلى غيرهم، وروى كذلك =

وكذلك بيان أن الميزان الحق عند الله هو تقواه والعمل الصالح ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣].

عن ابن زيد: قال القوم للنبيّ ﷺ: إنا نستحيي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا، فجانبهم يا محمد، وجالس أشراف العرب، فنزل القرآن(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)، ولا تحقرهم، قال: قد أمروني بذلك، قال: (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا).انظر جامع البيان (١٨/ ٦).

الآية السادسة: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف:٤٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي[1].

المشبه: الحياة الدنيا.

المشبه به: حال النبات في نموه واشتداد ساقه ثم ذبوله وغدوه هشيماً تذروه الرياح

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الفناء وسرعة التقضي.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ أي مثل لقومك.

﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي مثل سرعة زوال نعيم الدنيا وانقضاء أيامها وتصرم أعوامها كمثل الماء الذي بسببه تحيى الأرض فتنبت من كل زوج بهيج، فوفرت النباتات والتف بعضها ببعض.

حتى إذا ما أصبح ذلك النبات في أحلى حلة وأبهى صورة، وبمرور الأيام تسلب منه تلك النضرة شيئاً فشيئاً إلى أن يكون حطاما.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي صار ذلك النبات يابساً بالياً متفرّقة أجزاؤه.

﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تنثره وتفرّقه لضعفه وخفته ويبسه وهوانه على أصحابه فتذهب

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤١).

به كل مذهب.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ أي قادراً على الإهلاك والقضاء على الدنيا وما فيها من زينة كما كان قادراً على إبداع خلقها ابتداءاً.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ [يونس:٢٤].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ [الزمر:٢١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد:٢٠].

وفي الحديث قال ﷺ: (إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).[1]

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢)، والترمذي (٢١٩١)، وقال حديث حسن صحيح.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

يقال في هذا التشبيه ما قيل في التشبيه المتقدم في سورة يونس.

ويضاف إلى ما تقدم أن التشبيه في هذه السورة جاء بصورة أسرع فاستخدم الفاء التي للتعقيب في قوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ﴾، وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ وهذه مبالغة في تصوير سرعة تقضي هذه الحياة الدنيا.

ثم إن وصفها بالدنيا يعني القريبة العاجلة يؤكد أن هذه الحياة إلى زوال بعكس الأخرى الباقية..

وفي إيراد السماء وبعدها الأرض طباق جميل يزيد المعنى قوة والتشبيه حسناً.

كذلك فإن هذا التشبيه لعظمته وحسن بيانه صور الحياة بجميع مراحلها وملذاتها ومنغصاتها وما يعتري الإنسان فيها، صور ذلك كله بثلاث جمل مقتضبة دون إسهاب أو تفصيل لتلك المراحل، وإنما هو ماء ينزل ثم يختلط به أو بسببه النبات ثم يهلك هذا النبات، فانظر كيف تناسبت التراكيب اللفظية للتشبيه وطريقة سردها ودقة اختيار حروفها ضمائرها مع المعنى المراد وهو سرعة التقضي والزوال..

وكل هذا الإبداع في التعبير والإحكام في التشبيه من أجل تقرير تلك الحقيقة في نفوس العباد وهي أن ما هم فيه من العيش والنعيم إلى فناء عاجل.

وهذا مما ينبغي أن يدفع بالعبد المؤمن إلى العمل للدار الباقية وإيثارها على الفانية ولأن يتزود للآجل ويعرض عن المتاع الزائف العاجل ولهذا جاءت الآية بعدها تحث على الباقيات الصالحات..

الآية السابعة: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف:٤٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي، في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾.

المشبه: مجيء الناس فرادى.

المشبه به: خلق الناس فرادى.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: أنهم فرادى لا شريك معهم ولا نصير لهم.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ أي أنهم حال عرضهم على الله يوم القيامة مصطفين فيقال لهم يومئذ.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي هاأنتم ذا قد جئتم كلٌ على حده حفاة عراة غُرْلاً لا تملك نفس لنفس شيئاً فلا تجلب لها نفعاً ولا تدفع عنها ضراً.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ أي أنكرتم المعاد بزعمكم الكاذب.

وهذه الآية جاء في معناها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام:٩٤]، وقوله سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلومة.

وصح عن النبي ﷺ قوله: (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ

أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(1).

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ عناصر التشبيه في هذه الآية بقوله: " وجملة ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ مقولٌ لقول محذوف دل عليه أن الجملة خطاب للمعروضين فتعين تقدير القول، وهذه الجملة في محل الحال. والتقدير: قائلين لهم لقد جئتمونا. وذلك بإسماعهم هذا الكلام من جانب الله تعالى وهم يعلمون أنه من جانب الله تعالى. والخطاب في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ موجه إلى معاد ضمير ﴿وَعُرِضُواْ﴾.

والخبر في قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ مستعمل في التهديد والتغليظ والتنديم على إنكارهم البعث. والمجيء: مجاز في الحضور، شبهوا حين موتهم بالغائبين وشبهت حياتهم بعد الموت بمجيء الغائب.

وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ واقع موقع المفعول المطلق المفيد للمشابهة، أي جئتمونا مجيئاً كخلقكم أول مرة. فالخلق الثاني أشبه الخلق الأول، أي فهذا خلق ثانٍ.

و (ما) مصدرية، أي كخلقنا إياكم المرة الأولى، قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ق:١٥]. والمقصود التعريض بخطئهم في إنكارهم البعث.

والإضراب في قوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ انتقال من التهديد وما معه من التعريض بالتغليظ إلى التصريح بالتغليظ في قالب الإنكار.

والزعم: الاعتقاد المخطىء، أو الخبر المعرَّض للكذب. والموعد أصله: وقت الوعد بشيء أو مكان الوعد. وهو هنا الزمن الموعود به الحياة بعد الموت.

والمعنى: أنكم اعتقدتم باطلاً أن لا يكون لكم موعد للبعث بعد الموت أبداً".(2)

---

(١) رواه: البخاري في باب وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (٤٦٢٥) فتح الباري (٨/ ٢٨٦)، ومسلم (٧٣٠٣).

(٢) انظر التحرير والتنوير (١٧/ ٣٣٦-٣٣٧)، والمجيء في الآية على ظاهره وليس مجازاً كما قال ابن عاشور ويشهد لذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا =

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لهذا التشبيه عدة آثار منها:

أولاً: التقريع والتوبيخ لمنكري المعاد بعد أن ذكر عرضهم عليه يوم القيامة وافتضاح أعمالهم على رؤوس الأشهاد.

ثانيا: بيان عظيم قدرة الله سبحانه وأنه ﷻ لا يعجزه شيء فكما ابتدأ خلقهم وأنشأهم من العدم، فهو قادر على بعثهم وجمعهم وعرضهم هم ومن قبلهم من الأمم.

ثالثاً: لفرط قدرته ﷻ فقد استوى عنده خلق الجليل والحقير، فاستوى عنده سبحانه الخلق الأول والبعث فأمره بأن يقول للشيء كن فيكون.

رابعاً: التشبيه بالكاف هنا يقتضي تماثل الهيئتين، وهو دليل على أن الناس يبعثون كيوم ولدتهم أمهاتهم، فرادى، حفاةً، عراةً، كل واحد منهم يهيم على وجهه لا يلوي على شيء ولا يلتفت إلى أحد.

خامساً: في التشبيه دعوة ضمنية لمنكري البعث، تخاطب عقولهم وتقول كما ولدتكم أمهاتكم فرادى وخرجتم إلى الأرض حفاة عراة فسيأتي يوم آخر ترجعون إلى الله فيه وستكونون على تلك الهيئة، فآمنوا بذلك المرجع كما أنكم تؤمنون وتشاهدون خلق الناس فرادى...

سادساً: أن عرض الناس يكون على هيئة الصفوف لا يتقدم منهم أحد ولا يتأخر منهم أحد.

سابعاً: أن دعوى الكفار بإنكار البعث إنما هي من قبيل الزعم الكاذب الذي لا يقوم على دليل ولا يؤيده عقل.

= ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل ١١١]، وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم ٣٨]، وليس هذا مقام استقصاء جميع الأدلة..

ثامناً: التعبير بصيغة المضي في أفعال يراد بها المستقبل نحو ﴿جِئْتُمُونَا﴾ ، ﴿وَعُرِضُواْ﴾ ونحوهما، وهذا يبرز الأمر على أنه أمر مقطوع به، ومتحقق وقوعه وكأنه قد مضى وانقضى، وهذا التعبير لا يتجاسر على استخدامه أحد من الخلق مهما أوتي من فصاحة واقتدار، ولا يملكه حقاً وصدقاً إلا الله الذي بيده مقاليد كل شيء، ولذلك لا تكاد تجد هذا الأسلوب إلا في كلام الله ﷻ.

تاسعاً: يترتب على فهم المراد من التشبيه، وجوب أخذ الحيطة والحذر بالتزود بالإيمان والعمل الصالح لذلك اليوم العصيب الذي لا يغني فيه أحد عن أحد، فلا إبن يشفع ولا مال ينفع ولا جاه يغيث، ولا نصير ولا ظهير للعبد إلا ما قدم من صالحات في حياته الدنيا، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢)﴾ [الدخان:٤٠-٤٢].

عاشراً: أن التشبيه وإن كان يعني المساواة بين حال الناس في نشورهم وبداية خلقهم إلا أن هذه المساواة ليست على إطلاقها كما قال الرازي ~ عند قوله تعالى ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: "وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه، لأنهم خلقوا صغاراً ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد أنه قال للمشركين المنكرين للبعث المفتخرين في الدنيا على فقراء المؤمنين بالأموال والأنصار: (لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ } عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤] وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)﴾ [مريم:٧٧] - إلى قوله - ﴿فَرْدًا (٨٠)﴾ [مريم:٨٠] ثم قال تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ أي كنتم مع التعزز على المؤمنين بالأموال والأنصار تنكرون البعث والقيامة فالآن قد تركتم الأموال والأنصار في الدنيا وشاهدتم أن البعث والقيامة حق"(١).

(١) مفاتيح الغيب (٢١/ ١١٤).

الآية الثامنة: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف:٩١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت فيه أداة التشبيه ولم يذكر وجه الشبه.

المشبه: الإحاطة بأمر ذي القرنين.

المشبه به: الإحاطة بالموصوف في الآيات السابقة مما يعلمه الله تعالى.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: سعة فضل الله وعظيم منته.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿كَذَٰلِكَ﴾ جاء في تفسير هذا التشبيه أقوال منها:

الأول: كما بلغ مَغْرِب الشمس بلغ مطلعها.

والثاني: أتبع سبباً كما أتبع سبباً.

والثالث: كما وجد أولئك عند مَغْرِب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم.

والرابع: أن المعنى: كذلك أمْرُهم كما قصصنا عليك، وقيل كذلك أمر ذي القرنين كما وصفناه لك من العظمة[1].

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: وسع علمنا كل ما عنده من الجيوش والآلات وما يتصرف به وغير ذلك.

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٨٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في التشبيه إبراز لما وهب الله لذي القرنين من الملك العظيم والعلم والحكمة وما سخر له من الجنود والعتاد..

وعلى الأقوال الأخرى فإن فيه بيان عدله في أحكامه وحسن معاملته لأهل المشرق كما عامل أهل المغرب..

وبين التشبيه أيضاً ما أوتي من القدرات حتى أنه بلغ طرفي الأرض وكل ذلك تعظيم لشأن ذي القرنين وتذكير بمنة الله عليه..

ثم توج ذلك الامتنان بالتذكير بعظمة المنعم سبحانه وبالغ قدرته وسعة إحاطته بما يملك ذو القرنين وما يملك غيره، وكيف لا وهو خالقه وخالق ما أوتي.

وتلك نكتة ولطيفة دقيقة بيانها أنه سبحانه عظّم أمر ذي القرنين أيما تعظيم وأشاد سبحانه بما أوتي من القوة والقدرة وأسبابها ليعظم في أعين الناس، ثم بين أنه سبحانه قد أحاط بذي القرنين وبما لديه مما أذهل الناس من الخوارق، وهذا الأسلوب فيه تذكير بعظمته سبحانه من طريق الأولى، وكأنه يقول للناس إذا كان ذو القرنين بهذا القدر العظيم من العلم والفهم والقدرة التي لم يصل إليها البشر في ذلك الحين، إذا كان بتلك المنزلة وما هو إلا عبد فقير صغير عند الملك الغني الكبير سبحانه، فكيف بمالك الملك المتفرد بنعوت الجلال والكمال وله الحكمة البالغة والقدرة الباهرة القاهرة، فهو جل وعلا أعظم من كل عظيم وأعلم من كل عليم وأحكم من كل حكيم، وبالتالي فهو حريٌ بأن يُخشى فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر ويُوحَد وبالعبادة يُفرد.

الآية التاسعة: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف:٩٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[1] في قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

المشبه: ردم يأجوج ومأجوج.

المشبه به: الأرض الملساء المستوية.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الدمار والانتهاء.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل هنا هو ذو القرنين وصف السد بأنه رحمة من الله، وهذا كما قال سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس بين يديه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠].

وقد كان نعمةً عظيمةً لأنه مانع من خروج يأجوج ومأجوج.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ وهو الوعد بخروجهم من البعث.

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي مدكوكاً مبسوطاً مستوياً بالأرض الملساء كأن لم يكن.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي وعده سبحانه بخروجهم وغيره من الوعود كائنا متحققا.

---

(١) هذا إذا أخذنا بقول ابن عاشور أنه تشبيه. التحرير والتنوير (١٦/ ٣٩).

قال ابن كثير ~ : " وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ أي: لما بناه ذو القرنين ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ أي: بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العيث في الأرض والفساد، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ أي: إذا اقترب الوعد الحق ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ أي: ساواه بالأرض، تقول العرب: ناقة دكاء: إذا كان ظهرها مستويًا لا سنام لها. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف:١٤٣] أي: مساويًا للأرض"(١).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا تشبيه بليغ حذفت فيه أداة التشبيه ليزداد المشبه مساواة للمشبه به وكأنه هو، وفيه إشارة لعظمة قدرة القوي القهار، والتي يتجلى بعض منها في مشاهد يوم القيامة وما يسبقها من أشراطها مثل هدم ردم يأجوح ومأجوج وخروجهم على الناس..

فبعد أن بينت الآيات السابقة الخوف الذي أصاب القوم مما سيحدثه يأجوج ومأجوج من فساد، وبعد أن بينت كذلك قدرة ذي القرنين وعلمه وعظمة فعله ببناءه لذلك السد العظيم، جاء هذا التشبيه ليكشف طرفا من قدرة الخلاق العليم في تدمير ذلك السد بأمره وتحويله إلى أرض ملساء، فيصبح خبراً بعد عين.

ثم جاءت الجملة الخاتمة لتؤكد صدق وعد الله وأنه الحق الذي لا يتخلف..

وفي الآية دليل على قوة إيمان ذي القرنين وشدة تصديقه بوعد الله ووعيده، ففي قوله ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ اعتراف بمنة المنان ونسبة للنعمة إلى مسديها ﷻ وهذا من شكر النعم الذي بسببه تزيد بإذن الله كما قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ [إبراهيم:٧-٨].

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٩٩).

وفي قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ بيان تصديقه وثقته بوعد ربه وأنه واقعٌ لا محالة، وأما تكرار لفظ ﴿رَبِّي﴾ ثلاث مرات في هذه الآية الواحدة فإن فيه ما فيه من التوكيد والاعتزاز بالعبودية لهذا الرب العظيم وتخصيصه وحده بصفات الكمال والعظمة.

قال أبو السعود ~ : " هذا إشارة إلى السد وقيل إلى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم أي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة: أي أثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه إيذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهي محض وإن ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة ..إلى أن قال وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الإشارة السابقة إلى التمكين المذكور"(١).

وهذا أسلوب رشيق من أساليب الدعوة التي تدل على حصافة الداعية، حيث يسخر كل ما أوتي وكل ما حوله في الكون من أحداث ووقائع وما فيه من بدائع الصنائع يسخرها جميعاً للدعوة إلى الله، وذلك بالاستشهاد بالشهادة على الغيب وبالمحسوس على المعقول، فيذكر النعمة ثم يعترف بفضل المنعم، ويريهم ما وصل إليه العلم وما طالته القوة ثم يذكر بقدرة القدير الذي ينسف كل ذلك فكأنه لم يكن فيصبح خبراً بعد عين.

وهذا الأسلوب الحكيم يذكر بأسلوب النبي الكريم يوسف عليه السلام الذي مارسه مع السجينين حين استغل إقبالهما عليه وثقتهما فيه والتجاءهما إليه، فبادرهما بسؤال في صميم العقيدة وأخبرهما بأن سبب صلاحه وما هو فيه من الفضل إنما هو التوحيد الذي كان عليه، ثم لما انتهى من أداء رسالته الدعوية أفتاهما في رؤياهما كما قال تعالى واصفا ذلك: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٌ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا

(١) إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٤٥).

عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ [يوسف:٣٧-٤١].

المبحث العاشر: التشبيهات القرآنية في

سورة مريم

وعددها (٣) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ ﴾ [مريم:٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت الأداة فيه دون وجه الشبه، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾.

المشبه: خلق الولد من أبوين هذه صفاتهما.

المشبه به: تقدم السن به وكونه عاقراً.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: قدرة الله في الأمرين وأنهما في السهولة عنده سواء.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ أي أمر خلق غلام منكما مع ما قد قام بكما من عوامل امتناع الإنجاب في عرف الناس من تقدم السن والعقم.

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: أن جعلك وامرأتك قادرين على الإنجاب سهل علي.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي كيف يشق ذلك على وأنا الذي خلقتك بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً.

قال ابن عاشور ~ : " والإشارة في قوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى قول زكرياء ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ [مريم:٨]. والجار والمجرور مفعول لفعل ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ ، أي كذلك الحال من كبرك وعقر امرأتك قدّر ربُّك، ففعل ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ مرادٌ به القول التكويني، أي التقديري، أي تعلّق الإرادة والقدرة.

والمقصود من تقريره التمهيد لإبطال التعجب الدال عليه قوله ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ ، فجملة ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ استئناف بياني جواباً لسؤال ناشىء عن قوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ لأنّ تقرير منشأ التعجب يثير ترقب السامع أن يعرف ما يُبطل ذلك التعجب المقرّر، وذلك كونه هيّناً في جانب قدرة الله تعالى العظيمة.

ويجوز أن يكون المشار إليه بقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هو القول المأخوذ من ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ ، أي أن قولَ ربّك ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ بلغ غاية الوضوح في بابه بحيث لا يبين بأكثر ما علمت، فيكون جارياً على طريقة التشبيه كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وقد تقدم في سورة البقرة (١٤٣). وعلى هذا الاحتمال فجملة ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ تعليل لإبطال التعجب إبطالاً مستفاداً من قوله ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، ويكون الانتقال من الغيبة في قوله ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ إلى التكلم في قوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ التفاتاً. ومقتضى الظاهر: هو عليه هيّن.

والهيّن بتشديد الياء: السهل حصوله.

وجملة ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ على الاحتمالين هي في موضع الحال من ضمير الغيبة الذي في قوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ ، أي إيجاد الغلام لك هيّن عليّ في حال كوني قد خلقتُك من قبل هذا الغلام ولم تكن موجوداً، أي في حال كونه مماثلاً لخلقي إياك، فكما لا عجب من خلق الولد في الأحوال المألوفة كذلك لا عجب من خلق الولد في الأحوال النادرة إذ هما إيجاد بعد عدم "[1].

---

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ٧٢).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

قال الإمام الطبري ~ عند هذه الآية: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾: "يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك، وعقم زوجتك بأعجب من خلقك، فإني قد خلقتك، فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلقي ما بشرتك بأني واهب لك من الولد، ولم تك شيئا، فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر، مع عِتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك"(1).

ومن كلام إمام المفسرين هذا يتبين لنا شيء من أثر هذا التشبيه والذي فيه إشارة أخرى مؤكدة لما في التشبيه الذي قبله من بيان عظمة قدرته ﷻ فالذي يخلق الناس من العدم لا يعجزه أن يخلق هذا الغلام من أبوين قد طعنا في السن والأم عاقر، فالخلق خلقه والأمر أمره يخلق ما يشاء ويختار ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء..

ولأن هذه السورة قد ناقشت قصة مريم وابنها عليهما السلام وردت على افتراءات النصارى ودعواهم أن المسيح ابن الله، فقد يستنتج من التشبيه التعريض بالنصارى الذين يؤلهون عيسى عليه السلام بحجة أنه مخلوق من أم دون أب، فإن الله الذي خلق يحيى عليه السلام -وهو ابن خالة عيسى- من أبوين طاعنين في السن قد بلغا سن اليأس من الولد، وهو سبحانه أيضاً الذي خلق آدم من قبل من غير أب ولا أم، فخلق عيسى من أم بلا أب أهون عليه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩].

---

(1) جامع البيان (١٨/ ١٥٠).

الآية الثانية: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم:١٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ(١) في قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾.

المشبه: جبريل عليه السلام.

المشبه به: بشراً سوياً.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الهيئة.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أي وضعت ستراً بينها وبينهم تستتر به لِتُفَلِّي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها، وفيه إشارة إلى عفتها.

﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ هو جبريل عليه السلام.

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ والبشر السوي هو تامّ الخلق.

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ التشبيه البليغ في قوله: "والتمثل: تكلف المماثلة، أي أن ذلك الشكل ليس شكل الملك بالأصالة، ﴿بَشَرٗا﴾ حال من ضمير (تمثل)، وهو حال على معنى التشبيه البليغ.

والبشر: الإنسان. قال تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١﴾ [ص:٧١]، أي خالق آدم عليه السلام، والسويُّ: المُسَوّى، أي التام الخلق. وإنما تمثل لها كذلك للتناسب بين كمال

(١) انظر التحرير والتنوير (١٦/ ٨٠).

الحقيقة وكمال الصورة، وللإشارة إلى كمال عصمتها إذ قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم:١٨]، إذ لم يكن في صورته ما يكره لأمثالها، لأنها حسبت أنه بشر اختبأ لها ليراودها عن نفسها، فبادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها مبادرة بالإنكار على ما توهمته من قصده الذي هو المتبادر من أمثاله في مثل تلك الحالة "[(١)].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

تضمن هذا التشبيه إثبات حقيقة الكرامة التي أرادها الله لأمته المؤمنة مريم فأرسل لها الروح الأمين (جبريل عليه السلام) وصوره لها في صورة البشر السوي التام الخلقة كامل الصفات ليكون أهون عليها من لو أنه جاءها في صورته الملائكية العظيمة فهو لم يتغير منه إلا صورته الخارجية الحسية ليشبه البشر وما هو بالبشر ولهذا قال عنه ابن عاشور ~ أنه "حال على معنى التشبيه البليغ"[(٢)].

ولا شك أن لهذا التشبيه آثار منها:

أولاً: تخفيف الأمر على مريم عليها السلام لكي تحتمل الخطاب، فلو أنه جاء على صورة الملك لكان مما لا يحتمله البشر فلا تستطيع النظر إليه والحديث معه وبالتالي يتعذر بذلك الإذعان لأمر الله.

ثانياً: إثبات عظمة مكانة جبريل عند الله بانتدابه للأمور العظام وكذلك لتسميته بالروح لقربه من الله ولأن فيها يتنزل به حياة الأرواح.

ثالثاً: إثبات أن جبريل عليه السلام يتمثل بصورة الآدميين متى ما أراد الله له ذلك وقد ورد أنه تمثل بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق (١٦/ ٨٠).

(٣) روى البخاري في باب كيف نزل الوحي (٤٩٨٠): عن أَبِي عُثْمَانَ قَالَ أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ مَنْ هَذَا أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ قَالَتْ هَذَا دِحْيَةُ =

رابعا: جاء جبريل في صورة شاب مكتمل الصفات والحسن إبتلاءاً لعفة مريم عليها السلام فكانت أطهر وأعف نساء العالمين، دل على ذلك استعاذتها بالله منه.

خامساً: في استعاذتها ذكرت الله باسم الرحمن استجلاباً لرحمته ورغبة فيما عنده ويقينا منها أنه لا أحد أرحم بها ولا أعلم بما ينفعها منه سبحانه.

سادسا: بيان محبة الله للمتقين من عباده وعنايته بهم وإكرامه واجتبائه لهم وأن ما يختاره لهم خير مما يختارونه لأنفسهم.

سابعاً: بيان أن الله لا يختار لحمل رسالاته إلا صفوة الخلق قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾ [آل عمران:٣٣-٣٤]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

ثامناً: روعة التعبير القرآني في وصف الحادثة وسموه في اختيار الألفاظ والعبارات وتبرئته لمريم عليها السلام والشهادة بعفتها عما ينسبه أهل الكتاب إليها واتهامها بالزنا..

تاسعاً: في كونها تتخذ من دونهم حجاباً دليل آخر على عفتها وإشارة إلى أن هذا يبدو دأبها حين تخلو بنفسها لتكون في بعض حوائجها.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ايْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ أَوْ كَمَا قَالَ قَالَ فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا قَالَ مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فتح الباري (٩/ ٣)، ورواه مسلم (٤٤٨٩).

الآية الثالثة: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم:٨٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[1] في قوله ﴿وِرْدًا﴾.

المشبه: المجرمين في حال حشرهم.

المشبه به: البهائم حين تساق.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الإهانة والإذلال.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي نسوق الكافرين.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ جمع وارد وهو الذي يمشي إلى الماء عطشان يريد الشرب، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:٢٣].

ويفسر الطاهر بن عاشور هذا التشبيه بقوله: "وقوله ﴿وِرْدًا﴾ حال قصد منها التشبيه، فلذلك جاءت جامدة لأن معنى التشبيه يجعلها كالمشتق.

والوِرد بكسر الواو: أصله السير إلى الماء، وتسمى الأنعامُ الواردة وِرداً تسمية على حذف المضاف، أي ذات ورد، كما يسمى الماء الذي يرده القوم ورداً. قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود:٩٨].

والاستثناء في ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم:٨٧] استثناء منقطع، أي لكن يملك الشفاعة يومئذ من اتخذ عند الرحمان عهداً، أي من وعده الله بأن يشفع

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ١٦٨).

وهم الأنبياء والملائكة.

ومعنى ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾ لا يستطيعون، فإنّ المِلك يطلق على المقدرة والاستطاعة"(1).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد صور لنا هذا التشبيه هيئة الذل المشينة التي يُدفع بها الكفار إلى نار جهنم فهم يساقون كما تساق البهائم، وفي التعبير بالسوق إشارة إلى عدم رضاهم وخوفهم وتمنعهم من الذهاب إلى الجحيم لما عاينوه من حرّها وشديد عذابها، ولكنه الجزاء من جنس العمل فقد كانوا في الدنيا كالبهائم بل أسوا من البهائم فلا يسمعون للداعي ولا يستجيبون للناصح ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

وكذلك لعدم رضاهم بما جاءهم من الحق وكراهيتهم له فإن جزاءهم أن يساقوا ويسحبوا على وجوههم إلى جهنم وهم كارهون ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ [الزخرف:٧٦-٧٨].

ثم أنهم لما أهانوا عباد الله المؤمنين واعتدوا وتطاولوا على أولياءه الصالحين، فمن العدل أن تكون عاقبتهم الهوان والذلة كما هو في هذه الآية، ولهم عذاب مهين كما في آيات أخرى كثيرة، وذلك كله من عدل الله ولا يظلم ربك أحداً.

وهذه الآية جاءت في مقابل الآية التي قبلها: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم:٨٥] حيث أخبر الله ﷻ أن المؤمنين يجمعون بين يديه ﷻ، وجاء باسم الرحمن للإشارة أنه سيشملهم برحمته ﷻ، ووصفهم بالوفد مثل الوفود الذين يفدون إلى

(1) المصدر السابق.

الملوك ليناهم من نوالهم، قال الزمخشري: (وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم)، إلى أن قال: (وذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء، والورد: العطاش لأنّ من يرد الماء لا يرده إلا لعطش)[1].

(١) الكشاف (٣/ ٤٤).

المبحث الحادي عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة طه

وعددها (٤) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه:٨٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه ضمني.

المشبه: إتباعهم لموسى في مشيه.

المشبه به: إتباع الأثر.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: السرعة والموالاة.(١)

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ ﴾ أي بنو إسرائيل يأتون خلفي.

﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ يتبعون خطاي وإنما استعجلت وتركتهم لأجل أن ترضى عني.

يحدد الطاهر بن عاشور ~ التشبيه بقوله: " والأَثَر بفتحتين: ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدَم أو حافر أو خفّ..إلى أن قال: فمعنى قولهم: جاء على إثره، جاء موالياً له بقرب مجيئه، شبه الجائي الموالي بالذي يمشي على علامات أقدام مَن مشى قبله قبل أن يتغيّر ذلك الأثرُ بأقدام أخرى، ووجه الشبه هو موالاته وأنه لم يسبقه غيره.

والمعنى: هم أولاء سائرون على مواقع أقدامي.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ٢٧٨).

(٢) المصدر السابق.

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

يظهر هذا التشبيه حرص موسى عليه السلام الشديد على رضا الله سبحانه، فقد آثر عليه السلام الاستعجال لميقات ربه، فهو موعد وأي موعد، إنه موعد مع ملك الملوك، مع الرب الرحيم، مع الخليل الذي تخلل حبه قلب موسى، فخلف وراء ظهره الدنيا وما فيها وجاء يسابق الزمان..

لقد غمر الفرح قلب موسى فتولى عن قومه فالوقت معهم مهدر والعمر معهم مضيع والربح كل الربح في لقاء الله، ذهب موسى عجلاً ولسان حاله:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب[1]

ومن أعجب فوائد هذا التشبيه بيان ما يتحلى به الأنبياء عليهم السلام من رحمة بأممهم وشفقة عليهم والتماس لمعاذيرهم ففي غمرة هذه الفرحة العارمة التي غلبت على مشاعر موسى عليه السلام فإنه لم ينس أن يعتذر لقومه، بل قدم اعتذاره عنهم على الإخبار عن سبب استعجاله وهذا قمة في الرحمة بالأمة والنصح لها والشفقة عليها.

وليس ذلك فحسب وإنما شبه قربهم من إتباعه بالذي يتبع الأثر وكأنه القدم التي توضع في أثر القدم التي سبقتها قبل أن يغطي أثرها التراب، وكل ذلك طلباً لرضوان الله وخوفاً على قومه أن ينالهم سخطه سبحانه فيحق عليهم عذابه..

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني وأبو فراس الحمداني هو الحارث بن سعيد بن حمدان (ت٣٥٧هـ) وقد كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ونبلاً، ومجداً وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظرف، وعزة الملك، انظر ترجمته وأبياته في يتيمة الدهر للثعالبي (١/ ٧١)

الآية الثانية: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾ [طه:٨٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه[1] مرسل في قوله ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

المشبه: ألقاء السامريّ ما بيده من النّار ليَذوب ويصوغها فأخرج لهم من ذلك عجلاً جسداً.

المشبه به: إلقائهم ما بأيديهم من زينة القوم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإلقاء.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ أي لم نتعمد إخلاف موعدك بقدرتنا أو أمرنا أو ليست الحلي التي ألقيناها مما نملك[2].

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا﴾ أي أثقالاً.

﴿مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل وابقوا عليها معهم.

﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ أي ألقيناها في النار بأمر من السامريّ.

﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما ألقينا.

---

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ٢٨٥).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٣٥١، ٣٥٢).

﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام.

والمعنى: فمثل ذلك القذف الذي قذفنا ما بأيدينا من زينة القوم ألقى السامريّ ما بيده من النّار ليَذوب ويصوغها فأخرج لهم من ذلك عجلاً جسداً. فإنّ فعل ﴿أَلْقَى﴾ يحكي حالة مشبهة بحالة قَذفهم مصوغَ القبط. والقذف والإلقاء مترادفان، شبه أحدهما بالآخر.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

حاول بنو إسرائيل في هذا التشبيه الاعتذار إلى موسى مما فعلوه في غيبته من عبادتهم للعجل فعزوا ذلك إلى أن السامري قد غرر بهم حين أمرهم بإلقاء الحلي ثم ألقى ما لديه من حلي وأثر تراب فرس جبريل عليه السلام وإيقاده النار عليها حتى صارت عجلاً..

فهم يريدون أن يبدوا ما يمكن أن يكون عذراً مقبولاً لهم عند موسى عليه السلام ليتنصلوا من فعلتهم وليلقوا باللائمة على أي أحد، فالمهم أن يبرئوا أنفسهم..

وهذا هوا دأبهم في الكذب و إلصاق التهم بمن سواهم[1].

ألا تلاحظ قولهم ﴿حُمِّلۡنَآ﴾ ليظهروا بمظهر البريء المغلوب على أمره..

ثم أكدوا ذلك بقولهم فكذلك ألقى السامري فهم يقولون لسنا المجرمين وحدنا فكما ألقينا فقد ألقى السامري أيضاً، بل يفهم من ذلك أن قصدهم اتهام السامري وحده وأنه ليس لهم في الأمر يد[2].

---

(١) ذلك لأنهم قوم بهت كما في الحديث الذي رواه البخاري في باب مسائل عبد الله بن سلام للنبي ﷺ (٣٩٣٨) عن أَنَسٌ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ سَلامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ قَالَ أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ ابْنُ سَلامٍ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلائِكَةِ قَالَ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله قَالَ يَا رَسُولَ الله إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي فَجَاءَتْ الْيَهُودُ ....الحديث"

(٢) هذا على قول من قال من المفسرين أن الجملة الأخيرة من قول قوم موسى، وأما على القول الآخر وهو أن الجملة من كلام الله ﷻ فيكون المعنى تقرير حقيقة الأمر وأن السامري والقوم قد اشتركوا في هذا الجرم العظيم.

الآية الثالثة: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝٩٦﴾ [طه:٩٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه[1] مرسل مجمل ذكرت أداته دون وجه الشبه.

المشبه: التسويل.

المشبه به: التسويل نفسه، أو طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلها كما للمشركين آلهة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التزيين.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ﴾ أي أني علمت ما لم يعلموه وفطنت إلى ما لم يفطنوا إليه.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ﴾ ما يملأ قبضة اليد من تراب حافر الفرس.

﴿ٱلرَّسُولِ﴾ هو جبريل عليه السلام. ، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي ألقيتها.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ أي زينتْ لي أن ألقي فيها ذلك التراب على ما لا روح له فيصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلها فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم.

(١) قال ابن عاشور" أي كذلك التسويل سولت لي نفسي، أي تسويلاً لا يقبل التعريفَ بأكثر من ذلك ". التحرير والتنوير (١٦/ ٢٩٧).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

كما أبدى قوم موسى اعتذارهم وحاولوا أن يبرروا موقفهم، جاء السامري هنا ليبرئ نفسه ويجيب على السؤال الذي وجهه إليه موسى عليه السلام ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طه:٩٥] حيث لم يجد بداً من الاعتراف بفعلته والإقرار بأن ذلك من تزيين نفسه الأمارة بالسوء.

ومن آثار هذا التشبيه: بيان عاقبة من يتبع نفسه هواها وما تأمره به من الباطل فالغالب أنها لا تحث على طاعة ولكنها إنما تأمر بالسوء والفحشاء.

ومن آثار التشبيه كذلك: من قوله ﴿سَوَّلَتۡ لِي﴾ يفهم أن بإمكان العبد أن يصمد أمام ما تسول له نفسه الأمارة بالسوء، ولكن لا يقدر على ذلك إلا مؤمن حصيف مدرك لعواقب الأمور، يحكم عقله ولا ينساق وراء شهواته ومما ينسب للشافعي ~ قوله:

إذا حار أمرك في معنيين ... ولم تدر فيما الخطا والصواب

فدع ما هويت فإن الهوى ... يقود النفوس إلى ما يعاب[1]

ومن آثار التشبيه أن في كلام السامري واعترافه هذا تأكيد لما في التشبيه السابق وهو أنه هو المعني والملوم الأول في هذه الفعلة القبيحة فكل مفردات هذه الآية قد وردت بصيغة المتكلم المفرد: (بصرت، فقبضت، فنبذتها، سولت لي نفسي)، ولكن القوم قد شاركوه في الإثم بسكوتهم عن المنكر ثم بعبادتهم لذلك العجل.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس- ابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي بيروت دار الكتب العلمية، وقد نسبه للشافعي والشافعي هو محمد بن إدريس الإمام صاحب المذهب المعروف إمام فقيه وعالم ومن أشعر الناس قال عنه الإمام أحمد: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة توفي عام ٢٠٤ انظر الأعلام (٦/ ٢٦).

ومن آثار التشبيه أيضاً أنه ما من ذنب إلا ويغتفر وما من زلة إلا وتحتمل إلا الشرك وخصوصاً إذا صدر ممن أوتي شيئاً من العلم وعرف الحق، فلا مداراة ولا قبول للمعاذير فليس لمن تجرأ على ذلك إلا العذاب الأليم وليس لهم من مأوى إلا الجحيم.

الآية الرابعة: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه:٩٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه[1] مرسل مجمل ذكرت فيه الأداة دون وجه الشبه.

المشبه: قص أنباء الأمم السابقة.

المشبه به: قص هذا النبأ الغريب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإخبار بأمور غيبية.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد ﷺ قصة موسى مع فرعون ومع بني اسرائيل.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي ننزل عليك أخبار السابق من الأمم وما جابهوا به أنبيائهم من كفر وعناد. قال أبو حيان ~ : "ذلك إشارة إلى نبأ موسى وبني إسرائيل وفرعون أي كقصنا هذا النبأ الغريب نقص عليك من أنباء الأمم السابقة، وهذا فيه ذكر نعمة عظيمة وهي الإعلام بأخبار الأمم السالفة ليتسلى بذلك ويعلم أن ما صدر من الأمم لرسلهم وما قاست الرسل منهم"[2].

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي قد أعطيناك.

---

(١) الكشاف (٣/ ٨٦).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٥٨).هكذا في الأصل ويبدو أن حرف (أن) في الجملة الأخيرة زائد.

﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أي من عندنا، والمقصود من عند الله تبارك وتعالى.

﴿ذِكۡرًا﴾ المقصود به القرآن.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

يمتن الله ﷻ على نبيه الكريم ﷺ بمنته ويذكره بنعمته وذلك بإخباره بقصص الماضين وتذكيره حين قص عليه قصة موسى وما جابهه به فرعون من الكفر والاستكبار وما لقي عليه السلام من قومه من تعنت وبهتان ومماطلة في قبول الحق..

وأن الغرض من ذلك ومثله قصص باقي الأنبياء مع أقوامهم هو زيادة تسلية النبي ﷺ لما قد يلقاه من أذى قومه وتذكيره بأن العاقبة الحسنة لأنبياءه وأتباعهم المؤمنين.

وفي التشبيه زيادة في بيان معجزاته ﷺ، فكيف عرف هذه الأخبار وهو الرجل الأمي الذي قضى عمره كله في أمة أمية بعيدة عن أخبار الأمم السابقة فليس لهم بذلك أدنى علم كما قال سبحانه: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود:٤٩].

فهذا التشبيه علاوة على كونه سبباً في تثبيت قلب النبي ﷺ كما في قوله سبحانه: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠]، فهو من دلالات صدق نبوته ﷺ أن يعرف تلك الأخبار والقصص عن الأمم السابقة والرسل والنبيين وبهذا التفصيل التام والإحاطة الكاملة، فكيف تسنى له ذلك كله وهو الرجل الأمي الذي لم يعرف القراءة ولم يخرج من جزيرة العرب ولم يجالس أتباع النبوات السابقة فيقتبس من علومهم، إن في ذلك لدليلاً قاطعاً من أدلة صدق رسالته ﷺ وما أكثرها..ويشهد لهذا المعنى قوله سبحانه وتعالى في ختام الآية ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرًا﴾ فالقرآن الذي جاءك بهذه الأخبار هو الذكر الحكيم وهو الوحي من الله الذي جعله دليلاً على نبوتك..

المبحث الثاني عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة الأنبياء

وعددها (١٠) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت الأداة دون وجه الشبه.

المشبه: رسالة النبي ﷺ.

المشبه به: رسائل المرسلين الأولين وما جاءوا به من معجزات ظاهرة كالناقة وانقلاب العصا حية ونحوه.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: إحضار المعجزة الظاهرة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ بَلْ ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة في الآية.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ قالوا عن القرآن هو أخلاط رآها في النوم.

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أي اختلقه من عند نفسه.

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ وصفوا ما جاء به من القرآن بأنه شِعْر.

قال الزمخشري ~ : "أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد.

ويجوز أن يكون تنزيلاً من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد: وأن قولهم الثاني

أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث"[1].

﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي بمعجزة من نحو معجزات الأنبياء كالناقة والعصا واليد.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

يستطيع القارئ لهذا التشبيه أن يدرك إلى أي حد بلغ التعنت والمكابرة بأولئك القوم الذين يتخبطون في أحكامهم ويترددون في آراءهم ولا يستطيعون أن يثبتوا على كذبة من أكاذيبهم التي يشيعونها ليرموا بها رسول الله ﷺ فساعة يقولون أضغاث أحلام وساعة يقولون افتراه وأخرى ينفون ما تقدم ويقولون بل هو شاعر..

وفي ذلك دليل على أن المشركين لا يعرفون الحق، وأنهم أصحاب دعاوى باطلة لا تستند إلى دليل وإنما هي أوهام وتخرصات، وهذا دأب الكفرة المكذبين في كل زمان ومكان، فعدوهم الأكبر هو الحق، وديدنهم التخبط والتردد بين منهج وآخر، وشأنهم التنقل والتقلب من فكر وطرح إلى آخر، أما الدين الحق وسبيل الله القويم فهم أبعد ما يكونون عنه، حاديهم الكبر ورائدهم الغفلة وهم كما قال الله عنهم: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف:١٤٦].

ولما أدركوا فساد زعمهم وبطلان ما ذهبوا إليه، اتخذوا منهجاً جديداً في العناد والمكابرة وذلك بطلبهم أن يأتيهم بمعجزة حسية من جنس ما كان يأتي به الأنبياء السابقون فتولى الله الرد عليهم بقوله سبحانه: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [الأنبياء:٦] وفي الاستفهام إشارة إلى أنهم أشد كفراً وأكثر عتوا من تلك الأمم التي طالبت بالمعجزات فلما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله.

---

(١) الكشاف (٣/ ١٠٤).

وإن من رحمة الله ﷻ أنه لم يستجب طلبهم ذلك ولو فعل ثم كذبوا لأهلكهم بعذاب من عنده كما هي سنته سبحانه في المكذبين من كل أمة.

ومن آثار التشبيه أن أغلب الناس يشتركون في مسألة الإيمان بالمحسوس والكفر بالغيب، فالأمم السابقة كانت تطالب أنبياءها بمعجزات حسية تحدث تغييراً غير مسبوق في الكون من حولهم، ولذلك طالب المشركون النبي ﷺ أن يأتيهم بشيء محسوس أيضاً، فكان الابتلاء لهم أشد فجاءت معجزة نبينا ﷺ -وهي القرآن- أكثر وضوحاً، وكان التحدي بها أكبر فهم أرباب البيان وأساطين البلاغة ومع ذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله.

الآية الثانية: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾ [الأنبياء:١٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ [(١)].

المشبه: أهل القرى الظالمة.

المشبه به: الزرع المحصود والنار الخامدة.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الهلاك والخراب وانعدام الانتفاع بهم.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ أي لم تزل تلك الكلمات التي كانوا يدعون بها تتردد على ألسنتهم فيكررونها.

﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا﴾ أي أهلكناهم حتى غدوا كأنهم الزرع المحصود.

﴿خَٰمِدِينَ﴾ أي ميتين فلا حراك فيهم ولا فائدة مرجوة منهم ولا ينتصرون لأنفسهم تماماً مثل النار إذا أطفئت فأخمدت.

ويبين الطاهر بن عاشور ~ ما في الآية من تشبيه بل يشتق منها تشبيها آخر في قوله " أي فما زال يُكرر دعاؤهم بذلك فلم يكفّوا عنه إلى أن صيرناهم كالحصيد، أي أهلكناهم.

وحرف ﴿حَتَّىٰ﴾ مؤذن بنهاية ما اقتضاه قوله تعالى ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٧).

والحصيد: فعيل بمعنى مفعول، أي المحصود، وهذه الصيغة تلازم الإفراد والتذكير إذا جرت على الموصوف بها كما هنا.

والحَصد: جَزُّ الزرع والنبات بالمنجل لا باليد. وقد شاع إطلاق الحصيد على الزرع المحصود بمنزلة الاسم الجامد.

والخامد: اسم فاعل من خَمدت النار تخمُد بضم الميم إذا زال لهيبها.

شُبهوا بزرع حُصِد، أي بعد أن كان قائماً على سوقه خضرا، فهو يتضمن قبل هلاكهم بزرع في حسن المنظر والطلعة، كما شبه بالزرع في قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح:٢٩]. ويقال للناشىء: أنبته الله نباتاً حسناً، قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٧]. فللإشارة إلى الشبهين شَبَه البهجة وشبَه الهلك آثر تشبيههم حين هلاكهم بالحَصيد.

وكذلك شبهوا حين هلاكهم بالنار الخامدة فتضمن تشبيههم قبل ذلك بالنار المشبوبة في القوة والبأس كما شبه بالنار في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٦٤]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]. فحصل تشبيهان بليغان.."

وانتصب ﴿حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ﴾ على أن كليهما مفعول ثان مكرر لفعل الجَعل كما يخبر عن المبتدأ بخبرين وأكثر، فإن مفعولي (جعل) أصلهما المبتدأ والخبر وليس ثانيهما وصفاً لأولهما كما هو ظاهر". (١)

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١٧/ ٢٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في هـذين التـشبيهين البليغـين تـصوير للمـآل الـسيئ الـذي آل إليـه أعـداء الله المكـذبون الـسابقون الـذين كلـما جـاءهم رسـول بـالحق كـذبوه وآذوه وسـخروا منـه واستهزءوا به، فبعد أن كانوا في قمة القوة والمنعة وكانوا غاية في الكبر والبطر تـأتيهم رسلهم بالبينات في قوالب من الرحمة واللين والـشفقة والتواضـع والنـصح فيجـابهون ذلك كله بالتمرد والطغيان والتكذيب والتعالي على الحق فيقصمهم الله وهم أقـوى مـا يكونون..

عندها لا يملكون إلا الدعاء على أنفسهم بـالهلاك والثبـور، ولا يزالـون كـذلك يرددون تلك الدعوات ويركضون في كل الاتجاهات طلباً للنجاة، وما هي إلا لحظـات حتى يـصبحوا كـالزرع المحـصود الملقـى عـلى الأرض لا حـراك فيـه، وإذا بهـم كالنـار الخامدة التي أطفئت للتو فذهب وهجها وتعطل إحراقها..

لقد أصبحوا خبراً بعد عين، فهل من معتبر..

إن في هذا التشبيه لعبرة لكل من تـسول لـه نفسه أن يكـذب بالـدين القـويم، أو يتعالى على الحق المبين أو يتعامى عن أدلة وحدانية رب العالمين، ولمـن يظلـم أو يتعـدى على الخلق والمؤمن السعيد من وعظ بغيره..

"وسمي ذلك القول دعوى لأن المقصود منه هـو الـدعاء عـلى أنفـسهم بالويـل، والدعاء يسمى دعوى كما في قوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ [يونس:١٠]. أي فما زال يُكرر دعاؤهم بذلك فلم يكفّوا عنه إلى أن صيرناهم كالحصيد، أي أهلكناهم".[١]

ومن فوائد الآية أن الدعاء لا يقبل بعد انتهاء المهلـة ولـو توسـل المجرمـون ولـو تضرعوا وألحوا في الدعاء.

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

الآية الثالثة: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء:٣٢].

۞ وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ. في قوله ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾

المشبه: السماء.

المشبه به: السقف المحفوظ.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الإحكام والحماية والعناية.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

۞ تفسير الآية الكريمة:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ أي أنها بالنسبة للأرض كالسقف للبيت.

﴿مَّحْفُوظًا﴾ أي محميا من التصدع على مر السنين ومحميا من الشياطين ومحمياً أيضاً من الوقوع على الأرض.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ أي أن الكفار لا يتفكرون فيما جملها الله به من المصابيح والكواكب والشمس والقمر ولو تأملوا ذلك وتدبروا في بديع صنعه لعلموا أنه هو خالقها لا شريك له.

ويشير الطاهر بن عاشور ~ إلى موطن التشبيه بقوله: "وأطلق السقف على السماء على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلناها كالسقف لأن السماء ليست موضوعة على عمد من الأرض، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الرعد:٢] بغير عمد ترونها"(١).

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/٥٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

احتوى التشبيه على أمرين مهمين:

أولهما: لفت أنظار الكفار إلى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ومن ضمنها أن جعل هذه السماء محكمة البناء محيطة بالأرض وبدون عمد يرونها وما فيها من تشققات أو تصدعات، وزيادة على ذلك فهي محفوظة من الله وهي كالسقف للبيت تحفظه من أن يقع فيه شيء فينال أهله سوء..

وثانيهما: تبكيت أولئك الكفرة على إعراضهم وغفلتهم عن التفكر في بديع خلق الله وما في صنعه من إحكام، فهم يرون هذه السماء صباح مساء وينظرون إلى ما فيها من الكواكب، وبالنجم هم يهتدون، ورغم ذلك كله لم يتفكروا ولو للحظات ويسألوا أنفسهم كيف يسوون بين خالق هذا الخلق ومبدعه وبين تلك الأصنام التي يصنعونها بأيديهم فبئست العقول تلك، ولذلك ذمهم الله في مواطن كثيرة من القرآن لغفلتهم عن التفكر في مخلوقات الله فقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦].

ولو أنهم تفكروا في عظيم خلق الله وقادهم ذلك التفكر إلى الإيمان بالله لامتدحهم كما امتدح سبحانه المؤمنين العقلاء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

ومن فوائد الآية أن التفكر الصحيح يقود إلى الاهتداء للدين الحق ومعرفة الإله الحق وخالق الخلق سبحانه.

ومن فوائدها أن التفكر من صفات المؤمنين، والغفلة عنه من صفات الكافرين ومن الناس من هو بين ذلك وكلٌ بحسبه فمستقل ومستكثر، فالغالب أن أكثر الناس

تفكراً هو أكملهم إيماناً...

ومن فوائدها أيضاً أن الناس وإن بلغوا من العلم الدنيوي ما بلغوا ثم لم يتفكروا في عظيم خلق الله ولم يقدهم ذلك إلى الإيمان بالله، فإنهم جهلاء وإن ظنوا أنهم علماء، وأن ذلك العلم سيكون حجة ووبالاً عليهم.

الآية الرابعة: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٨-٦٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله: ﴿كُونِى بَرْدًا﴾.

المشبه: النار التي أعدت لإحراق إبراهيم عليه السلام.

المشبه به: البرد.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: عدم الإحراق.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ ﴾ أي حرقوا إبراهيم.

﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ أي انتقموا لآلهتكم وذلك بتحريقه.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ إن كنتم تريدون نصرة الآلهه.

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أمر من الله ﷻ للنار لتكون برداً على إبراهيم فلا تحرقه وسلاماً فلا يموت من شدة بردها.

وقد ذهب إلى هذا التشبيه الطاهر بن عاشور في قوله: " وجملة ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ مفصولة عن التي قبلها إما لأنها وقعت كالجواب عن قولهم ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فأشبهت جمل المحاورة، وإما لأنها استئناف عن سؤال ينشأ عن قصة التآمر على الإحراق. وبذلك يتعين تقدير جملة أخرى، أي فألقَوْه في النار قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وقد أظهر الله ذلك معجزة لإبراهيم إذ وَجّه إلى النار تعلّقَ الإرادة بسلب قوة الإحراق، وأن تكون برداً وسلاماً إن كان الكلام على الحقيقة، أو

أزال عن مزاج إبراهيم التأثر بحرارة النار إن كان الكلام على التشبيه البليغ، أي كوني كبرد في عدم تحريق الملقَى فيكِ بحَرّك ".[1]

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

جعل الله الخالق البارئ سبحانه هذه النار المحرقة برداً وسلاماً على نبيه وخليله عليه السلام دليلاً على صدق نبوته وبرهاناً على عظيم قدرة رب إبراهيم عليه السلام في مقابل ضعف إلههم المزعوم النمرود.

ففي اختياره لفظة البرد وهي بضد النار مبالغة في إظهار القدرة فإنه سبحانه حولها من قمة الإحراق إلى قمة البرد ولم يحولها إلى أي شي آخر وذلك لا يمكن أن يكون في قدرة أحد إلا خالق الخلق المتصرف فيه كيف يشاء، فيلبسه من الصفات ما شاء متى شاء وينزع عنه من الطبائع ما شاء كيف شاء فله الحكمة البالغة وله القدرة الباهرة وله الحجة الظاهرة..

ثم جاءت كلمة ﴿وَسَلَٰمًا﴾ بواو المعية التي تقتضي المصاحبة قال بعض المفسرين ولو لم يقل ذلك لمات إبراهيم من شدة بردها[2]، وما هذا إلا نزر يسير من أدلة حكمته وشواهد رحمته.

وفي ذلك دليل على أن الله قادر على تغيير طبائع الأشياء وإجرائها على غير المعتاد ولا يعجب من ذلك إلا كافر بالله أو جاهل يقيس قدرة الله بقدرة المخلوقين.

---

(١) ذكره ابن عاشور ~ وإن كان يخالف جمهور المفسرين الذين قالوا أن النار قد تحولت على الحقيقة، ومهما يكن من أمر فإن المقصود هو تحقق المعجزة لإبراهيم عليه السلام وإثبات صدق نبوته. انظر التحرير والتنوير (١٧/ ١٠٦).

(٢) أورده الطبري بأسانيد مختلفة عن علي ابن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم وأبي العالية ولفظ ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت. انظر جامع البيان (١٨/ ٤٦٦). وأبو العالية وهو رفيع بن مهران ، الامام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد أعلام التابعين توفي عام ٩٠ هـ وقيل بعدها تقريب التهذيب (١٩٥٣).

وفي قوله تعالى ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ تخصيص له دون سواه من الناس لأنه الموحد الوحيد في ذلك المشهد.

وفي ذلك طمأنة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين من بعده بأن النصر والتمكين في آخر المطاف لعباده الصالحين، وأنه وإن طال ظلم الظالمين وتعدي المجرمين فإن العاقبة للمتقين.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

الآية الخامسة: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته دون وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

المشبه: نجاة ذي النون.

المشبه به: نجاة المؤمنين.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: النجاة بعد ظنه الهلاك.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه وتزيينه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متّى عليه السلام.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي غضبان على قومه مما وجد من تكذيبهم فخرج من بين أظهرهم ولم يأذن الله له في ذلك، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي تيقن أن الله لن يضيّق عليه.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ المقصود ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وحد الله ثم أقر بالذنب وهو خروجه من بين قومه بلا إذن من الله.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ إظهار للمنة منه سبحانه على عبده يونس عليه السلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي كما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا.ودعونا"[1]

ويفسر ابن عاشور ~ التشبيه في قوله ": وجملة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تذييل، والإشارة ب ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إلى الإنجاء الذي أُنجي به يونس، أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين من غُموم بحسب من يقع فيها أن نجاته عسيرة. وفي هذا تعريض للمشركين من العرب بأن الله منجي المؤمنين من الغمّ والنكد الذي يلاقونه من سوء معاملة المشركين إياهم في بلادهم " [2].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بعد أن أخبر الله ﷻ عن قصة يونس عليه السلام بما فيها من تفاصيل وأخبر سبحانه أنه خرج مغاضباً لقومه وعدم صبره عليهم[3]، وعلى قول أنه خرج مغاضباً لربه[4]، وعلى أي من القولين فإن يونس عليه السلام حصل منه الغضب ولم يصبر في مرحلة ما من مراحل تبليغه لدعوة الله ولهذا قال الله لنبيه محمد ﷺ ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم:٤٨-٥٠].

فبعد أن حدث منه ذلك والتقمه الحوت رد شأنه إلى الله ورفع يديه إلى مولاه

(١) جامع البيان (١٨/ ١٨٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ١٣٣).

(٣) جامع البيان (١٨/ ٥١٢، ٥١٣).

(٤) حكى هذا القول ابن جرير عن ابن عباس والشعبي ووهب ابن منبه اليماني في أقوال كثيرة منها ما لا يستند إلى دليل صحيح وبعضها ينزه عنه الأنبياء المعصومون الذين اصطفاهم الله واختارهم لحمل رسالاته للناس، انظر المصدر السابق. والشعبي هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفي أحد أئمة الحديث الأعلام توفي بعد ١٠٠، الأعلام، (٣/ ٢٥١). ووهب هو ا بن منبه بن كامل اليمانى الصنعانى الذمارى، أبو عبد الله الأبناوى توفي عام ٣٤. الأعلام (٨/ ١٢٥).

مقراً بالخطأ نادما عليه، وقد صدّر دعائه بأفضل كلمة، وأعظم وأصدق عبارة تفوه بها إنسان ألا وهي كلمة التوحيد مستدراً بترديدها رحمة أرحم الراحمين.

ثم ثنى بتسبيح الله وتنزيهه وهذا من أروع ما يمكن أن يقدم بين يدي الدعاء من أدب مع الله ﷻ.

ثم كانت العبارة التي تشرق صدقاً واعترافاً بالذنب وجاءت مؤكدة بإن وهذا أفصح وأبلغ ما يكون الإقرار، فكان الجواب من السميع المجيب سبحانه سريعاً بل فورياً فجاءت فاء التعقيب لتفيد سرعة الإجابة من الله ﷻ.

وكان من بركات تلك الدعوة أن نجى الله نبيه وفرج عنه كربته.

ومن آثار التشبيه أن هذه الدعوة شأنها عظيم عند الله لاشتمالها توحيد الله وتنزيهه ثم انكسار القلب ويقينه أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وإن من أدلة عظمتها أن الله استجاب دعوة نبيه ووعد بإنجاء كل من دعى بها من بعده.

ومن آثار التشبيه سعة رحمة الله بعباده المؤمنين، فإن كل من اتصف بالإيمان فعليه أن لا يحزن وليبشر برحمة الله ومعيته ونصرته له.

ومن آثار التشبيه أنه يقتضي الوعد الصادق من الله لكل مؤمن يلتجئ إليه بأن يجيب دعاءه ويكتب له النجاة.

والتشبيه لا يدل على المساواة بين الأنبياء والمؤمنين في المنزلة أو في قبول الدعوة ولكن التشبيه يدل على المشابهة في كيفية إنجاء الله للفريقين لأن المؤمنين هم أتباع الرسل فلما آمنوا بما جاء به المرسلون كان جزاءهم من جنس جزاء المرسلين في استجابة الدعاء وفي الإنجاء وفي التثبيت وفي العطاء ويشهد لذلك آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف:١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

وقول النبي ﷺ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢].....الحديث[1].

وفي القصة كلها فوائد عظيمة للدعاة إلى الله منها أن العبد لما ركب الله فيه من الضعف البشري فلابد أن يأتي عليه أوقات يفتر فيها وتقل عزيمته وينفذ صبره ولو سلم من ذلك أحد لسلم الأنبياء، فما على الداعي الواعي إلا أن يعود إلى الله وينيب إليه وأن يجتهد وسعه في طرق كل السبل، وأن يغير في الأسلوب ويحتسب الأجر من الله، ويسعى إلى الثبات في هذا الشأن ويسأل الله ذلك وليدع بدعاء ذي النون ﷺ.(عَنْ سَعْدٍ بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ)[2].

ومنها أيضاً أن على الداعي إلى الله المقتفي لآثار الأنبياء في دعوة الخلق إلى الحق أن لا يجزع ولا يتعجل النتائج وما عليه إلا البلاغ والله بصير بعباده يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله، والداعية عبد مأمور بهذا التبليغ وأجره على الله، اهتدى الناس أو لم يهتدوا، والداعية أيضاً لا يدري هل الحكمة في اهتداء القوم أم في ضلالهم، ولا يعلم ذلك إلا الله، فإذا علم الداعية ذلك، ازداد ثباتاً في منهج دعوته ولم يقنط ولم يتعجل الثمرة.

(١) رواه أحمد في مسنده (٨٣٣٠)، ومسلم في الصحيح (٢٣٠٩)، والترمذي (٢٩٨٩).

(٢) رواه أحمد (١٤٦٢)، ورواه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤٩٠)، والحاكم في المستدرك (١٨١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٤٤).

الآية السادسة: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ.

المشبه: زكريا عليه السلام.

المشبه به: الفرد.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الوحدة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي واذكر يا محمد ﷺ عبدنا زكريا إذ نادى.

﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي لا تتركني بلا ولد يرثني إذا مت.

﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ أي أنت الحي الباقي بعد فناء خلقك.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ أي استجبنا ندائه ورزقناه ولداً.

﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ أي هيأها للحمل والولادة فأتت بالولد بعد أن كانت عقيماً.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي الأنبياء الذين تقدم ذكرهم كانوا يبادرون إلى الطاعات، ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ أي رغبة في رحمتنا ورهبة من عذابنا.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي كانوا لنا متواضعين في عبادتهم [1].

قال ابن عاشور ~ : "وجملة ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ مبيّنة لجملة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾. وأطلق الفرد على من لا ولد له تشبيهاً له بالمُنفرد الذي لا قرين له. قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم:٩٥]، ويقال مثله الواحد للذي لا رفيق له، قال الحارث بن هشام: [2]

وعَلمتُ أني إن أُقاتل واحداً أقتل ولا يَضررُ عدوي مشهدي

فشُبه من لا ولد بالفرد لأن الولد يصيّر أباه كالشفع لأنه كجزء منه. ولا يقال لذي الولد زوجٌ ولا شفع " [3].

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٢٠ -٥٢١).

(٢) هو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أبو عبد الرحمن: صحابي، كان شريفا في الجاهلية والاسلام، يضرب المثل ببناته في الحسن والشرف وغلاء المهر.

مدحه كعب بن الاشرف، وشهد بدرا مع المشركين فانهزم فعيره حسان بن ثابت بأبيات، فاعتذر بأبيات هي أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار، وأسلم يوم فتح مكة توفي سنة ١٨هـ الأعلام (٢/ ١٥٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ١٣٥).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد اختار زكريا عليه السلام أفضل الكلمات وأصدق العبارات ليبين عما يختلج في نفسه من مشاعر مختلفة فقد اجتمع فيه عليه السلام حب الله وتعظيمه واليقين الكامل بأنه الوارث الأعظم لمن في الأرض وفي اختيار لفظة الوارثين إشارة إلى أنه سبحانه هو الحي الذي لا يموت وأن ما سواه يموتون ويورثون.

وفي تشبيه نفسه بالفرد إظهار للضعف والذلة والقلة، وتحقيق لمعنى العبودية للرب الخالق الرازق الذي لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وفيه استكانة واسترحام لاستمطار رحمة الرحيم..

وفيه أيضاً أن العبد قد يعجز عن القيام ببعض التكاليف، أو لا يستطيع الوصول إلى أفضل النتائج ما دام فرداً وحيداً، فإذا ما التف حوله إخوانه أو أعوانه من أبناء أو أنصار فإنه يزداد قوة ويكون بذلك أقدر على تأدية رسالته في الأرض.

وفي اختيار كلمة (رب) إعلان لإقراره عليه السلام بتوحيد الربوبية وكأنه أراد أن يقول يا الله أنت الرب البارئ القادر على كل شئ وأما أنا فعبدك الفقير المحتاج الذي لا غنى به ساعة عن رحمتك، فإن تخليت عني فمن يرزقني، وإن منعتني فمن يعطيني[1]، فلا تذرني وحيداً فرداً عاجزاً وهذا قمة في التذلل وغاية في حسن التوسل فكان الجزاء من الله أن استجاب دعوته وأعطاه سؤله.

---

(١) وهذا يشبهه دعاء النبي ﷺ حيث قَالَ رَسُولُ الله ﷺ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ. رواه أحمد (٢٠٤٤٧)، وأبو داود (٤٤٢٦) النسائي في السنن الكبرى (١٠٤٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٨٢٣).

الآية السابعة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء:٩٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله : ﴿فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾.

المشبه: خروج الناس للحشر.

المشبه به: يأجوج ومأجوج.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الكثرة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ﴾ حتى للغاية، والفتح بمعنى الشق.

﴿يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ هما اسمان أعجميان لقبيلتين.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ يخرجون مسرعين من كل مكان مرتفع من الأرض.

قال ابن عاشور ~ : " وعلى هذا التفسير ففتح ياجوج وماجوج هو فتح السدّ الذي هو حائل بينهم وبين الانتشار في أنحاء الأرض بالفساد، وهو المذكور في قصة ذي القرنين في سورة الكهف، وتوقيت وعد الساعة بخروج ياجوج وماجوج أن خروجهم أول علامات اقتراب القيامة، وقد عدّه المفسرون من الأشراط الكبرى لقيام الساعة.

ويجوز أن يكون المراد بفتح ياجوج وماجوج تمثيلَ إخراج الأموات إلى الحَشر، فالفتح معنى الشق كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾

[ق:٤٤]، ويكون اسم يأجوج ومأجوج تشبيهاً بليغاً. إلى أن قال ~ : أو يكون اسم يأجوج ومأجوج استعمل مثلاً للكثرة كما في قول ذي الرمة:

لوَ أنَ ياجوج وماجوجَ معاً .:. وعادَ عادٌ واستجاشوا تُبّعا

أي: حتى إذا أخرجت الأموات كيأجوج ومأجوج على نحو قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧]، فيكون تشبيهاً بليغاً من تشبيه المعقول بالمعقول " (١).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

إذا قلنا بما ذكره ابن عاشور ~ وجوّز، وهو أن يكون وجها من وجوه تفسير الآية أنه تشبيه بليغ فإنه يضفي صورة بليغة مخيفة تضاف إلى ما قد ورد من أهوال وفظائع ذلك اليوم العظيم وهو يوم النشور حين يخرج الناس من القبور، فهم في الكثرة والاندفاع مثل قوم يأجوج ومأجوج، واختار يأجوج ومأجوج دون سواهما لما قد ارتسم في أذهان الناس من صورة هؤلاء القوم وكثرتهم وكيفية خروجهم فشبه شيئاً معقولاً بشيء معقول آخر.

وقد صور لنا النبي ﷺ كثرتهم في الحديث بقوله: (يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج:٢]، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ

(١) وهذا مما تفرد ابن عاشور ~ به، وأغلب المفسرين على أن المعنى حتى إذا فتح ردم يأجوج ومأجوج على الحقيقة وأنه لا تشبيه في ذلك، ولم يقطع به بل جعله احتمالا وارداً . أنظر التحرير والتنوير (١٧/ ١٤٩). المكتوب بالأخضر ينقل إلى المتن بدل الكلام المحذوف أعلاه

أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ)[1].

وفي قوله ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ زيادة تفصيل لجزئية من ذلك المشهد فهم ينزلون مسرعين ومهطعين إلى الداع، لا يتأخر منهم أحد فضلاً عن أن يمتنع منهم أحد وفي ذلك تذكير وتخويف لكل عبد بأنه إلى الله راجع شاء أم أبى ويشهد لذلك قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف:٤٧].

---

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨) فتح الباري (٦/ ٣٨٢). والترمذي (٢٥٤٧).

الآية الثامنة: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وصف التشبيه وتحليله:

في هذه الآية تشبيهان:

الأول منهما في قوله تعالى ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ووصفه كالتالي:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل [1].

المشبه: طي السماء.

المشبه به: طي السجل للكتب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: اللف وجمع الطرفين.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

التشبيه الثاني في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل حيث ذكر أداة التشبيه ولم يذكر وجه الشبه.

المشبه: إعادة الخلق بعد الموت.

المشبه به: ابتداء الخلق من العدم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: القدرة على كلٍ وبسهولة.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٤).

تفسير الآية الكريمة:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أي أذكر يا محمد ﷺ ذلك اليوم الذي نطوي فيه السماء طياً يشبه طي صاحب السجل للصحف وقيل أن السجل اسم ملك موكل بصحائف الأعمال فيكون المعنى كطي الملك لصحيفة ابن آدم عند موته[1].

وقيل أن معنى طي السماء هو تغير مواقع أجرامها، قال ابن عاشور ~ : "ومعنى طي السماء تغييرُ أجرامها من موقع إلى موقع أو اقترابُ بعضها من بعض كما تتغير أطراف الورقة المنشورة حين تطوى ليَكتب الكاتب في إحدى صفحتيها، وهذا مظهر من مظاهر انقراض النظام الحالي، وهو انقراض له أحوال كثيرة وُصف بعضها في سُور من القرآن، وليس في الآية دليل على اضمحلال السماوات بل على اختلال نظامها، وفي ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]"[2].

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أي كما خلقنا الخلق من عدم فإنا قادرون على إعادة إنشائه بعد إعدامه.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي هذا وعد علينا فعله وإنا لقادرون على إنفاذ ما وعدناه.

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك. ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3].

---

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ١٦٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٨٣- ٣٨٤).

أثر التشبيهين في تفسير الآية:

صور الله ﷻ لنا صورة تقريبية لكيفية طيه سبحانه للسماء يوم القيامة فشبه ذلك بكيفية طي صاحب الصحف لأوراقه بجمع أطرافها بعضها إلى بعض..

والحقيقة المهمة التي ينبغي أن تعلم من هذا التشبيه ومن غيره من التشبيهات القرآنية الكريمة أنها كلها لتقريب الصورة لذهن السامع وذلك بتشبيه بعض الأمور الغيبية العظيمة التي لم يرها الإنسان، أو لا يستطيع عقله القاصر أن يدرك كنهها ببعض الأمور المحسوسة المعروفة لديه وإلا فهو تشبيه مع الفارق..

ويزداد الأمر خطورة إذا كان هذا التشبيه أو ذاك يتناول صفة من صفات الله سبحانه أو فعلاً من أفعاله، فإن ذلك يحتاج إلى تريثٍ وتأملٍ للمعنى الصحيح وكيفية تفسيره واستخراج لطائف ذلك التشبيه حتى لا يقع في المحظور فيشبه الخالق بالمخلوق أو يغلوا في التنزيه حتى ينفي صفة من الصفات عن الله ﷻ وقد أثبتها لنفس سبحانه وهذه مسألة عقدية خطيرة ضل بسببها خلق كثير نسأل الله السلامة.

وبناءاً على ما تقدم بيانه فإننا نقول: أن الطي الوارد هنا يشبه طي الأوراق كما أخبر الله عنه، وفي هذا القدر من المفهوم الكفاية لحصول المقصود، وهو التفكر في عظيم قدرة الله سبحانه مما يقود إلى خشيته سبحانه والعمل بما يرضيه، أما البحث عن تفاصيل كيفية هذا الطي وهل يطوى أعلاها على أسفلها أو ميمنتها على الميسرة، وهل الله يطويها بإحدى يديه أو كليهما، وهل يديه سبحانه تلامس السموات أثناء طيها أم أن الأمر بأن يقول لها كوني مطوية فتكون ثم يمسكها بعد ذلك بيمينه.. كل هذه الأسئلة يجب التوقف عندها والاكتفاء بما جاء به النص، وفي كلام الله العبرة الكافية والموعظة البليغة الكاملة، وما دون ذلك فمن فضول القول وإعمال الذهن فيما لا طائل من وراءه، واشتغال بما لم نؤمر به، وخوض فيما لا نسأل عنه.

المبحث الثالث عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة الحج

وعددها (٥) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج:٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ(1) في قوله ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾.

المشبه: الناس يوم القيامة.

المشبه به: السكارى.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الذهول وعدم اتزان الحركة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي يوم القيامة تنسى كل مرضعة وليدها الرضيع رغم حنانها عليه وحاجته إليها.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ يسقط الحمل من الحامل لشدة ما يعتريها من الخوف.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ لو رأيت الناس وما يصيبهم مما يعاينون من أهوال ذلك اليوم لظننتهم سكارى من الشراب، وليسوا كما يظن الناظر.

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فالحقيقة أن ذلك من مظاهر خوفهم من عذاب الله.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٧).

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ نوعية هذا التشبيه بقوله: ".... ووصف الناس بذلك على طريقة التشبيه البليغ. وقوله بعده ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ قرينة على قصد التشبيه....." [1].

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

تصور لنا هذه السورة شيئاً من مشاهد يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال وأمور عظام وقد بدأ هذا التصوير بتخويف وتهويل عام حيث قال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج:١] فاكتفى بوصفه أنه عظيم ليذهب العقل في عظمته كل مذهب وليكون التخويف أشد ما يكون.

وفي الآية الثانية بدأ في التفصيل لما أجمل في الآية الأولى، فإذا بهذا التفصيل أكثر تخويفاً وأشد تهويلا، فيصور ما يصيب الناس من هول مطلع ذلك اليوم، فلا ترى إلا أبصاراً شاخصة، وعقولاً حائرة، وقوىً خائرة، وخطوات مترنحة، فهذه المرضعة يطيش عقلها حتى تغفل عما أرضعت الذي هو أقرب وأحب الناس إليها وألصقهم بها.

واختار كلمة ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ بإثبات التاء للدلالة أنها في حالة إرضاع، أو أن هذه المرضع هي أمه وليست مرضعاً مستأجرة.

قال الزمخشري ~ في الكشاف: (فإن قلت: لم قيل: مُرْضِعَةٍ دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي. والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة) [2].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٩١).

(٢) الكشاف (٣/ ١٤٣).

وليست المرضعة وحدها التي تذهل بل حتى الحامل تضع حملها قبل تمامه لما عاينت من شدائد ذلك اليوم، ثم بالغ في التهويل فأخبر أن الرعب قد عم الناس جميعاً ولم يسلم منه أحد. فلو أن الله أذن لك أيها العبد أن تنظر إلى الناس في يوم الحشر لرأيت الناس في تخبطهم وذهول عقولهم وحيرتهم وترددهم يشرِّقون تارة ويغرِّبون أخرى، يقفون مرة ويفرون مرات فهم كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ [القارعة:٤] يسيرون على غير هدى، وينطلقون إلى غير وجهه فهم أشبه ما يكونون بالسكارى، والحقيقة أنهم ليسوا سكارى ولكن الخطب العظيم والهول الشديد هو الذي فعل بالناس ذلك كله.

وفي هذا التشبيه تخويف للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم من هول ذلك اليوم العظيم، يوم يجمع الله المتقدمين والمتأخرين فلا يغادر منهم أحداً.

إنه يوم عظيم، الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل، فأما طوله فهو ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج:٤]، وأما ثقله فقد قال عنه ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإنسان:٢٧].

ولأنها موعظة لكل العالمين صدر السورة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء:١] ولأن من الناس من يقر بالربوبية ولكنه ينكر الألوهية لله فقد خاطبهم بقوله ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وأما ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فلا تأتي إلا في حق المؤمنين، وعموماً فهي موعظة بليغة ونصح وإعذار وتذكير وتخويف، جعلنا الله ممن يذكر بالقرآن فيتذكر.

الآية الثانية: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج:١٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل في قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

المشبه: إنزال الآيات على النبي ﷺ.

المشبه به: تفاصيل الآيات السابقة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكمال والإحاطة والدقة والبلاغة.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثلما فصلنا في الآيات السابقة.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي أنزلنا القرآن الباقي.

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي واضحات ظاهرات الدلالة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ أي يهدي من يريد سبحانه هداه ولا يقدر على ذلك سواه.

قال ابن جرير ~ : "وكما بيَّنت لكم حُججي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه، فأوضحتها أيها الناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن آيات بيِّنات، يعني دلالات واضحات، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحقّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحقّ من

أراد، أنزل هذا القرآن آيات بيِّنات" [1].

ويزيد الطاهر بن عاشور ~ توضيح التشبيه بقوله ": لما تضمنت هذه الآيات تبيين أحوال الناس تجاه دعوة الإسلام بما لا يبقى بعده التباس عقبت بالتنويه بتبيينها، بأن شُبه ذلك التبيينُ بنفسه كناية عن بلوغه الغاية في جنسه بحيث لا يلحق بأوضح منه، أي مثلَ هذا الإنزال أنزلنا القرآن آيات بيّنات.

فالجملة معطوفة على الجُمل التي قبلها عطف غرض على غرض. والمناسبة ظاهرة، فهي استئناف ابتدائي. وعطف على التنويه تعليل إنزاله كذلك بأن الله يهدي من يريد هديه أي بالقرآن. فلام التعليل محذوفة، وحذف حرف الجر مع (أن) مطّرد"[2].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في هذا التشبيه امتنان على رسول الله ﷺ وكل من يخاطبه القرآن بأن الله كما فصل الآيات للناس فأمرهم بتقواه ﷻ وذكرهم بيوم العرض عليه وما يكتنفه من أهوال، وبين لهم حال من يجادل في الله بغير علم، ثم بين لهم تسلسل خلقهم ومبدأ حياتهم ومعادهم وإنبات الله الأرض وإحياءها بعد موتها ثم فصل حسن مآل المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين، فكما أبدع سبحانه في تفصيل تلك الحقائق، فقد أبدع سبحانه في تنزيل آيات القرآن الحكيم كلها، تلك الآيات بينة الدلالة، جليلة المبنى، واضحة المعنى، ظاهرة الحجة، كاملتها.

وفي التشبيه أيضاً إقامة للحجة على المكذبين بالقرآن، فكأنه يقول لهم كما فصلنا لكم القول في أمور تعرفونها وأخبرناكم عن غيبيات تجهلونها، فقد أنزلنا عليكم هذه الآيات البينات التي فيها خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وفصل ما بينكم، وفيها سر

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٢١).

سعادتكم إن آمنتم بها واستجبتم لما تدعوكم إليه، وفيها أيضًا سبب شقاوتكم إن أنتم كذبتموها وأصررتم على مخالفتها.

وفي قوله ﷻ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾ دليل على أن مشيئة الله نافذة في العبد، وإن كانت للعبد مشيئته إلا أنها محكومة بمشيئة الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾ [الإنسان:٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير:٢٧-٢٩].

قال ابن سعدي ~ في تفسيره للآية: "وكذلك لما فصلنا في هذا القرآن ما فصلنا، جعلناه آيات بينات واضحات، دالات على جميع المطالب والمسائل النافعة، ولكن الهداية بيد الله، فمن أراد الله هدايته، اهتدى بهذا القرآن، وجعله إماما له وقدوة، واستضاء بنوره، ومن لم يرد الله هدايته، فلو جاءته كل آية ما آمن، ولم ينفعه القرآن شيئا، بل يكون حجة عليه"(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٢٢).

الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣٠-٣١].

وصف التشبيه وتحليله:

في الآيتين تشبيهان على التفصيل الآتي:

نوع التشبيه الأول: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾.

المشبه: الأوثان.

المشبه به: الرجس.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: القذارة.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

نوع التشبيه الثاني: تشبيه تمثيلي [1] مركب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾.

المشبه: المشرك.

المشبه به: الذي يخر من السماء فتخطفه الطير.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: ترك المنزلة الأسمى والانحطاط إلى ما هو دون.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤١).

تفسير الآية الكريمة:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي من يبتعد عن كل ما لا يحلّ انتهاكه تعظيما لله.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي أن ذلك التعظيم خير له في الآخرة.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي أحل لكم أكل الأنعام من إبل وبقر وغنم بعد ذبحها إلا ما يتلى عليكم تحريمه كما في قوله سبحانه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة:٣].

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ أي ابتعدوا عن الخبث والقذر من الأوثان التي جعلت لله أنداداً واجتنبوا كذلك شهادة الزور.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ مسلمين له مقبلين على عبادته، مبتعدين عن كل دين سوى دينه.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي مثل حال من يشرك بالله كالذي يخر من السماء فتتلقفه الطير فتأخذه بسرعة.

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أو كالساقط من السماء فتحمله الريح ثم تلقيه في مكان بعيد فلا ترجى نجاته.

وفي توصيف التشبيه الأول يقول الطاهر بن عاشور ~ : "ووصف الأوثان بالرجس أنها رجس معنوي لِكون اعتقاد إلهيتها في النفوس بمنزلة تعلّق الخبث بالأجساد فإطلاق الرجس عليها تشبيه بليغ " (١).

وفي توصيف التشبيه الثاني يقول الطاهر بن عاشور ~ : " أعقب نهيهم عن

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٣).

الأوثان بتمثيل فظاعة حال من يشرك بالله في مصيره بالشرك إلى حال انحطاط وتلقف الضلالات إياه ويأسه من النجاة ما دام مشركاً تمثيلاً بديعاً إذ كان من قبيل التمثيل القابل لتفريق أجزائه إلى تشبيهات "[١].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

التشبيه الأول تشبيه للأوثان التي كان يعكف عليها المشركون بالرجس الذي هو الخبث والقذر[٢]، وذلك للمبالغة في التنفير منها، بعد أن أمر باجتنابها فكأن التشبيه جاء ليكون تعليلاً وبياناً للحكمة من ذلك النهي، فهي أوثان جامدة هامدة لا تضر ولا تنفع، ومن يرجو نفعها أو ضرها فإنه في الحقيقة لا يكسب إلا الخبث والقذارة بالبعد عن الله والسقوط في ظلمات الشرك ودرنه، ولهذا جاء التشبيه التالي في الآية التالية ليؤكد هذه الحقيقة.

التشبيه الثاني من التشبيهات المركبة البديعة التي تحوي جملة من التشبيهات في آن واحد فقد شبه الإيمان في سموه وعلوه وحفظ الله له وقربه من الله بالسماء، فمن سعى إلى الازدياد من الإيمان فهو يترقى من سمو إلى سمو ومن رفعة إلى رفعة.

ومن لم يرفع بالإيمان رأساً، بل أشرك وظلم، فإنه سرعان ما تتخطفه شياطين الإنس والجن ورفقة السوء، وسرعان ما تتكالب عليه دواعي الشهوات وتعصف به زوابع الشبهات حتى تهوي به في غياهب الضلالات ومستنقع القبائح والموبقات، فلذلك شبهه بأنه مثل الذي قد خر من ذلك العلو الشاهق، وما إن خر حتى تمزق فتخاطفته الطير في مشهد سريع مريع، وإن سلم من اختطاف الطير فلن يسلم من

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قال في الصحاح: "الرِجْسُ: القَذَرَ، والرَجْسُ، بالفتح: الصوت الشديد من الرعد، ومن هدير البعير. ورَجَسَتِ السماءُ تَرْجُسُ، إذا رعدتْ وتمخَّضَتْ. وارتجَسَتْ مثلُه. وسحابٌ رَجَّاسٌ، وبعيرٌ رَجَّاسٌ"، والصحاح للجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، أول من حاول (الطيران)، ومات في سبيله، لغوي، من الائمة.أشهر كتبه الصحاح توفي عام ٣٩٣ هـ الأعلام (١/ ٣١٣).

الريح العاتية التي تقذف به بعيداً بعيداً في أودية الدنيا..[1].

ومن بدائع هذا التشبيه ورود فاء التعقيب والتي تفيد سرعة وقوع العقوبة دون تأخير.

ومنها أيضاً أن الساقط من السماء لا يستطيع دفع الضر عن نفسه ولا حمايتها فليس لديه ما يستمسك به أو يتكئ عليه حين سقوطه فيحميه من شدة الاصطدام بالأرض، وكذلك المشرك يوم القيامة لا يملك دفع الضر عن نفسه ولا حمايتها من العذاب فليس له حجه يحتج بها ولا مستند يرجع إليه ليدفع عن نفسه عذاب الجحيم.

يقول صاحب كتاب البلاغة العربية عند تحليله لنماذج من التشبيهات القرآنية: "هذا تشبيه لحال المشرك، فهو ساقط عند الله، منتكس بضلالته، لا شأن له، يشبه من خر من السماء، لا شيء يحميه، أو ينقذه من الخطر الذي يحيط به، وهو لا بد واقع في المعاطب، هاوٍ إلى التهلكة، ستخطفه الطير فتقطعه بمخالبها، وتمزقه إربا إربا، أو ستهوي به الريح في مكان سحيق إنها صورة التمزق والضياع التي يعيشها المشرك بالله، الكافر بنعمه، وهي صورة مرعبة مخيفة، تمثل سوء العاقبة وهول النهاية.." [2].

---

(١) انظر في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٢١).

(٢) وليد قصاب: البلاغة العربية (١/ ٧٧).

الآية الرابعة: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحج:٤٩-٥١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيل[1] في قوله ﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾.

المشبه: الكفار في سعيهم للصد عن سبيل الله.

المشبه به: المسابق في مضمار يريد أن يعجز منافسه عن اللحاق به.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: المسارعة والمسابقة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أمر من الله لنبيه ﷺ أن ينادي في الناس جميعاً مخبراً لهم أنه نذير لهم بيّن الإنذار.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ خبر عن المؤمنين أن لهم مغفرة من الذنوب ولهم زيادة على ذلك الرزق الكريم وهو الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ أي اجتهدوا في محاولة إبطال آيات القرآن رغبة منهم في مغالبة أصحاب الآيات وهم النبي ﷺ وأصحابه لعلهم يثبطونهم عن الإيمان. قال ابن عاشور ~ : "والكلام تمثيل، شبهت هيئة تفننهم في التكذيب بالقرآن وتطلب المعاذير لنقض دلائله من قولهم: هو سحر، هو شعر، هو أساطير

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٩٥).

الأولين، هو قول مجنون، وتعرضهم بالمجادلات والمناقضات للنبي ﷺ بهيئة الساعي في طريق يسابق غيره ليفوز بالوصول"[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ فالذين هذه صفاتهم هم أصحاب النار.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بين الله جلت قدرته في هذا التشبيه مآل تلك الفئة الضالة التي كان همها الأكبر السعي في إبطال إقامة دعوة الله، وتقعد بكل صراط تصد من أراد الانتماء إلى شريعة الله فلم يكتفوا بكفرهم في أنفسهم بل اجتهدوا في دعوة الناس إلى كفرهم وتبغيضهم في الدين الحق وأهله كما قال الله ﷻ: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام:٢٦].

وقد عبر بالسعي للدلالة على مدى حرصهم ومسارعتهم في مغالبة أنصار دين الله وتكريس كل طاقاتهم في إبطال آيات الله، وجاء السعي في آيات أخرى بمعنى ما قدم العبد من عمل في حياته كلها كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم:٣٩-٤٠].

فكأن القوم قد أمضوا أعمارهم كلها وسعيهم كله في مغالبة أهل الحق والنيل منهم والرغبة في غَلَبِهم..

وفي التشبيه نذارة لكل من يقف في الصف المعادي لدين الله، وللمعاندين لشرع الله، والذين نصبوا أنفسهم قادةً للضلالة وأئمةً للكفر وأذناباً لكل ناعق مناوئ للدين الحق، فهم يهتبلون الفرص للرفع من شأن قوانين الغرب وللنيل من شعائر وشرائع الإسلام، والهدف هو الهدف والقصد هو القصد وهو ما أراده الكفار الأولون، لكن أولئك كانوا أكثر سذاجة وسطحية فأطلقوا تهماً مكشوفة جوفاء فقالوا ساحر وقالوا كاذب وقالوا مجنون، أما هؤلاء فهم أخبث طوية وأشد مكراً، فيضمرون الرغبة في

---

(١) المصدر السابق (١٧/ ٢٩٥).

هدم قواعد الدين وثوابت الأمة ويزينون ذلك بدهاء ومكر ليخرج للناس وكأنه إصلاح وتقدم..

وعلى أية حال ومهما اختلفت الأساليب وتنوعت الأطروحات فإن مصير جميع من صد عن سبيل الله وسعى في أبطال آياته وتنفير الناس منها أنه سيكون من أصحاب الجحيم كما توعده الله فلتهنه تلك البشارة.

الآية الخامسة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج:٧٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه ضمني في قوله ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾.

المشبه: عجز الأصنام وضعفها.

المشبه به: أناس عجزوا عن خلق أضعف المخلوقات.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: العجز.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ نداء لكفار قريش على وجه الخصوص وللناس عموماً ليستمعوا للمثل المراد ضربه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي أن الذين تعبدون من الأصنام.

﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ لن يستطيعوا إيجاد الذباب ولو تعاونوا وتظاهروا على خلقه.

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ﴾ أي ولو أن ذلك الذباب سلبهم شيئاً يسيراً لا يستطيعون استرداده منه لعجزهم.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ هذا تعقيب على حال الآلهة والعبيد فقال ضعف العابد والمعبود.

ويتناول الطاهر ابن عاشور ~ وجوه الآية بين التشبيه الضمني والتمثيلي

والتمثيلية المكنية: " وضرب المثل: ذِكرهُ وبيانُه؛ استعير الضرب للقول والذكر تشبيهاً بوضع الشيء بشدّة، أي ألقي إليكم مثَل. وتقدم بيانه عند قوله تعالى: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة:٢٦].

والمَثل: شاع في تشبيه حالة بحالة، كما تقدّم في قوله ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]، فالتشبيه في هذه الآية ضمني خفيّ ينبىء عنه قوله: ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ وقوله ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾. فشُبهت الأصنام المتعددة المتفرقة في قبائل العرب وفي مكّة بالخصوص بعظماء، أي عند عابديها. وشبهت هيئتها في العجز بهيئة ناس تعذّر عليهم خلق أضعف المخلوقات، وهو الذباب، بلْهَ المخلوقات العظيمة كالسماوات والأرض. وقد دلّ إسناد نفي الخلق إليهم على تشبيههم بذوي الإرادة لأنّ نفي الخلق يقتضي محاولة إيجاده، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل:٢١]. ولو فرض أن الذباب سلبهم شيئاً لم يستطيعوا أخذه منه، ودليل ذلك مشاهدة عدم تحركهم، فكما عجزت عن إيجاد أضعف الخلق وعن دفع أضعف المخلوقات عنها فكيف تُوسم بالإلهية، ورمز إلى الهيئة المشبه بها بذكر لوازم أركان التشبيه من قوله ﴿لَن يَخْلُقُوا۟﴾ وقوله ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ إلى آخره، لا جرم حصل تشبيه هيئة الأصنام في عجزها بها دون هيئة أضعف المخلوقات فكانت تمثيلية مكنية ".(1)

(١) التحرير والتنوير - (١٧/ ٣٣٧ - ٣٤٠).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في هذا التشبيه يتجلى طرف مما أقامه الله على المشركين من حجج دامغة وبراهين ساطعة، لا يملك المنصف أمامها إلا أن يقر بوحدانية الله جلت قدرته ويقر بربوبيته وبديع صنعه ودقة خلقه.

وجاء الخبر الدال على ضعفهم في صيغة الجملة الاسمية وابتدأها بإن التوكيد والاسم الموصول، وهذه ثلاث مؤكدات تزيد المعنى قوةً والخبر صحةً.

لقد أظهر التشبيه مدى الضعف والذلة والعجز والقلة التي تحيط بتلك الآلهة المزعومة، فهي وإن كثرت وتداعت وتظاهرت حتى أصبحت مثل أعظم عظماء الدنيا فلن يستطيعوا جميعاً خلق ذباب ولو تداعوا لذلك.

ثم زاد في تحقيرهم وإظهار مدى ضعفهم وقلة حيلتهم فأخبر أن هذا المخلوق الصغير لو وقع على أحدهم وسلب منه شيئاً من طعام ونحوه فإنهم على كثرتهم وتعاونهم لن يتمكنوا من استرداد ما استلبه منهم. فأي ضعف أعظم من هذا الضعف؟!.

ثم ختم الآية بالحكم العدل والتعقيب الصادق على حال تلك الآلهة وأولئك الكفرة الجهلة فقال ضعف الطالب وهو العبد والمطلوب وهو المعبود، وفي ذلك حكم بعجز كل منهما عن نفع نفسه فضلاً عن نفع غيره..

قال ابن القيم ~ في إعلام الموقعين عن رب العالمين: "حَقِيقٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَسْتَمِعَ قَلْبُهُ لِهَذَا الْمَثَلِ ، وَيَتَدَبَّرَهُ حَقَّ تَدَبُّرِهِ ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ مَوَادَّ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْبُودَ أَقَلُّ دَرَجَاتِهِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى إيجَادِ مَا يَنْفَعُ عَابِدَهُ وَإِعْدَامِ مَا يَضُرُّهُ ، وَالْآلِهَةُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ تَقْدِرَ عَلَى خَلْقِ الذُّبَابِ وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ لِخَلْقِهِ ، فَكَيْفَ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ؟ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الِانْتِصَارِ مِنْ الذُّبَابِ إذَا سَلَبَهُمْ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ طِيبٍ وَنَحْوِهِ فَيَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، فَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِ الذُّبَابِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَضْعَفِ الْحَيَوَانَاتِ وَلَا عَلَى الِانْتِصَارِ مِنْهُ وَاسْتِرْجَاعِ مَا سَلَبَهُمْ إيَّاهُ ، فَلَا أَعْجَزَ مِنْ

هَذِهِ الْآلِهَةِ ، وَلَا أَضْعَفَ مِنْهَا ، فَكَيْفَ يَسْتَحْسِنُ عَاقِلٌ عِبَادَتَهَا مِنْ دُونِ اللهِ ؟ وَهَذَا الْمَثَلُ مِنْ أَبْلَغِ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي بُطْلَانِ الشِّرْكِ ، وَتَجْهِيلِ أَهْلِهِ ، وَتَقْبِيحِ عُقُولِهِمْ ، وَالشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَلَاعَبَ بِهِمْ أَعْظَمَ مِنْ تَلَاعُبِ الصِّبْيَانِ بِالْكُرَةِ حَيْثُ أَعْطَوْا الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي مِنْ بَعْضِ لَوَازِمِهَا الْقُدْرَةُ عَلَى جَمِيعِ الْمَقْدُورَاتِ وَالْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْغِنَى عَنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَنْ يُصْعَدَ إِلَى الرَّبِّ فِي جَمِيعِ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ وَإِغَاثَةِ اللهفَاتِ وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ ، فَأَعْطَوْهَا صُوَرًا وَتَمَاثِيلَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا الْقُدْرَةُ عَلَى أَقَلِّ مَخْلُوقَاتٍ لِآلِهَةِ الْحَقِّ وَأَذَلِّهَا وَأَصْغَرِهَا وَأَحْقَرِهَا ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ .

وَأَدَلُّ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَجْزِهِمْ وَانْتِفَاءِ إِلَهِيَّتِهِمْ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْأَقَلَّ الْأَذَلَّ الْعَاجِزَ الضَّعِيفَ لَوْ اخْتَطَفَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَلَبَهُ فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ لَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ سَوَّى بَيْنَ الْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ فِي الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ بِقَوْلِهِ: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣] قِيلَ: الطَّالِبُ الْعَابِدُ وَالْمَطْلُوبُ الْمَعْبُودُ، فَهُوَ عَاجِزٌ مُتَعَلِّقٌ بِعَاجِزٍ، وَقِيلَ: هُوَ تَسْوِيَةٌ بَيْنَ السَّالِبِ وَالْمَسْلُوبِ، وَهُوَ تَسْوِيَةٌ بَيْنَ الْإِلَهِ وَالذُّبَابِ فِي الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ[1].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (١/ ٢٤٥).

المبحث الرابع عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة المؤمنون

وفيها تشبيهان اثنان

الآية الأولى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المؤمنون:٤١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ(1) في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾.

المشبه: قيل عاد وقيل ثمود(2).

المشبه به: الغثاء.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: اليبس والهلاك.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي صيحة العذاب والهلاك.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ والغثاء هو حميل السيل مما بلي واسودّ من الورق والعيدان ونحوه.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٨).

(٢) اختار القول الأول ابن كثير وأبوحيان وقال وهو قول الأكثرين واختاره الشوكاني ونسبه إلى أكثر المفسرين واحتجوا بقول الله تعالى: (واذكروا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) [الأعراف ٦٩]. انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٢٨)، وتفسير البحر المحيط (٦/ ٣٧٣)، وفتح القدير (٣/ ٦٨٢).

واختار الطبري وابن عاشور أنهم ثمود، قال ابن عاشور: (والأظهر أن المراد به هنا ثمود لأنه الذي يناسبه قوله في آخر القصة (فأخذتهم الصيحة بالحق) [المؤمنون ٤١]، لأن ثمود أُهلكوا بالصاعقة ولقوله (قال عمَّا قليلٍ لَيُصْبِحُنّ نادمين) [المؤمنون٤٠] مع قوله في سورة الحجر (٨٣) (فأخذتهم الصيحَةُ مصبحين) فكان هلاكهم في الصباح. ولعل تخصيصهم بالذكر هنا دون عاد خلافاً لما تكرر في غير هذه الآية لأن العبرة بحالهم أظهر لبقاء آثار ديارهم بالحِجر كما قال تعالى: (وإنكم لَتَمُرّونَ عليهم مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيلِ أفلا تعقلون) [الصافات ١٣٧، ١٣٨]..انظر التحرير والتنوير (١٨/ ٥٩).

﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دعاء على المكذبين بالبعد من رحمة الله.

ويحمل الطاهر بن عاشور ~ قوله تعالى ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗ﴾ على التشبيه البليغ في قوله ": والغُثاءُ: ما يحمله السيْل من الأعواد اليابسة والورق. والكلام على التشبيه البليغ للهيئة فهو تشبيه حالة بحالة، أي جعلناهم كالغثاء في البِلى والتكدس في موضع واحد فهلكوا هَلكة واحدة " (١).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

أخبر الله ﷻ عن النهاية العادلة للمشركين وأعداء التوحيد -بغض النظر هل هم عاد أم ثمود- فكما أنهم استهزؤوا بالرسل وسخروا من الرسالة وكما أنهم تعاموا عن الحق وأهملوه فقد جازاهم الله جزاءاً من جنس صنيعهم فأهلكهم بالصيحة التي جعلتهم كالغثاء وهو ما يحمله السيل من بقايا أوراقٍ يابسة أو عيدان مكسرة ليس لها قيمة ولا يرجى منها نفع فلا أحد يلتفت إليها ولا أحد يرغب فيها أو يسأل عنها.

لقد كانوا أقوياء جبابرة، وبلغ بهم الطغيان كل مبلغ، فأراهم الله ضعفهم وحقارتهم بأن أهلكهم سبحانه بصيحة لا غير، فلم يحتج إلى أن يزلزل بهم الأرض أو يرسل عليهم جنداً كثيرة أو ينزل عليهم ملائكة من السماء وإنما صيحة ولا شيء غير الصيحة، وذلك إمعاناً في إهانتهم وإظهاراً لعجزهم ليراه الخلق فيعتبروا.

ثم إن التشبيه البليغ محذوف الأداة يجعل المشبه يبدو كأنه عين المشبه به، فقد أصبحوا غثاءاً مهملاً تزدريه الأعين وتلفظ ذكره الأسماع.

وختم التشبيه بدعاء عظيم من الله على أولئك المجرمين بأن يبعدوا من رحمته، وفي قوله ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضع للظاهر موضع الضمير لبيان أن ظلمهم هو سبب بعدهم وشقاءهم.

(١) التحرير والتنوير - (١٨/ ٥٩).

الآية الثانية: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المؤمنون:٨١-٨٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيل في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾.

المشبه: قول كفار قريش.

المشبه به: قول الكفار من الأمم السابقة.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: التكذيب والكفر.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ أي ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، و لا تدبروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم:

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾:

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، وَوَعَد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك، فلم نره حقيقة ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يقول: ما سطره الأولون في

كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها و لا حقيقة.

وهذه الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [النمل:٦٧-٦٨].

وقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلًا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء:٩٨-٩٩]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٧-٧٩].

وقوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات:١١-١٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ويحدد الطاهر بن عاشور ~ هذه المماثلة بقوله: " والأولون: أسلافهم في النسب أو أسلافهم في الدين من الأمم المشركين.

وجملة ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا﴾ إلخ بدل مطابق من جملة ﴿قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ تفصيل لإجمال المماثلة، فالضمير الذي مع ﴿قَالُوٓاْ﴾ الثاني عائد إلى ما عاد إليه ضمير ﴿قَالُواْ﴾ الأول وليس عائداً على ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾. ويجوز جعل ﴿قَالُوٓاْ﴾ الثاني استئنافاً بيانياً لبيان ﴿مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ ويكون الضمير عائداً إلى ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ والمعنى واحد على التقديرين. وعلى كلا الوجهين فإعادة فعل ﴿قَالُوٓاْ﴾ من قبيل إعادة الذي عمل في المبدل منه. ونكتته هنا التعجيب من هذا القول "[1].

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٠٧).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بين الله ﷻ في هذه الآيات أن أفكار الكفار وقلوبهم متشابهة في التقليد الأعمى من اللاحق للسابق من التعلق بحجج واهية واتهام الوحي بالكذب وتشبيهه بالأساطير التي لا حقيقة لها وهو مثيل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة:١١٨].

وقد ذكر الله سبحانه الآيات العظيمة الدالة على قدرته ﷻ في الإحياء والإماته والبعث والنشور في بدايات السورة ثم جاءت هذه الآيات لتبين فداحة جرمهم وضلال عقولهم فكيف بعد كل هذه البينات الواضحات ينكرون البعث والنشور ويقلدون الكفار الأوائل على غير هدى..

فلم يُعمِلوا أذهانهم ويحكموا عقولهم ولم يستجيبوا للرسول ﷺ لما جاءهم بالحق والآيات الدالة على صدقه، بل أضافوا أمراً آخر إلى كفرهم بأن سخروا من البعث لأنه لم يقع رغم أن الأنبياء السابقين وعدوا به، ظناً منهم وجهلاً أنه يقع في الحياة الدنيا..

يقول سيد قطب ~ : "وتبدو هذه القولة مستنكرة غريبة بعد تلك الآيات والدلائل الناطقة بتدبير الله، وحكمته في الخلق، فقد وهب الإنسان السمع والبصر والفؤاد ليكون مسؤولاً عن نشاطه وعمله، مجزياً على صلاحه وفساده؛ والحساب والجزاء يكونان على حقيقتهما في الآخرة، فالمشهود في هذه الأرض أن الجزاء قد لا يقع، لأنه متروك إلى موعده هناك.

والله يحيي ويميت؛ فليس شيء من أمر البعث بعسير، والحياة تدب في كل لحظة، وتنشأ من حيث لا يدري إلا الله.

ولم يكف هؤلاء أن تقصر مداركهم عن إدراك حكمة الله، وقدرته على البعث، فإذا هم يسخرون مما يوعدون من البعث والجزاء أن كان هذا الوعد قد قيل لهم ولآبائهم من قبل، ولم يقع بعد!" [1].

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٧٧).

المبحث الخامس عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة النور

وعددها (٧) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور:٣٥].

وصف التشبيه وتحليله:

احتوت الآية الكريمة على تشبيه تمثيلي رائع ضم جملة من التشبيهات[1] المركبة على التفصيل التالي:

المشبه الأول: النور الذي يقذفه الله في قلب عبده المؤمن.

المشبه به الأول: ضوء المصباح في مشكاة فلا يتشتت.

أداة التشبيه الأولى: الكاف.

المشبه الثاني: الزجاجة التي فيها المصباح.

المشبه به الثاني: الكوكب الدري شديد الإضاءة.

أداة التشبيه الثانية: كأنها.

المشبه الثالث: زيت الشجرة المباركة.

المشبه به الثالث: ضوء المصباح.

أداة التشبيه الثالثة: مضمرة مفهومة من قوله تعالى: (يكاد) والتقدير: (كأن الزيت في صفاءه ضوء مصباح)

وجه الشبه في الجميع: شدة الإضاءة وصفائها.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

---

(١) التشبيه الأول تشبيه بليغ كما في معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٨)، وأما التشبيه الثاني والثالث فهي من تشبيه التمثيل انظر المصدر نفسه (١/ ٢٤١)، وانظر التحرير والتنوير (١٨/ ٢٣٤).

تفسير الآية الكريمة:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أنه سبحانه نورهما الحسي، فهو ﷻ بذاته نور، وكذلك حجابه نور ففي حديث أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ[1].

وهو سبحانه أيضاً نورهما المعنوي فكتابه نور كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [المائدة:١٥].

ودينه نور، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الصف:٨].

والصلاة له نور، قال ﷺ (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلآَنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاةُ نُورٌ..الحديث)[2].

والإيمان الذي يجعله في قلوب عباده الصالحين نور كما في الآية.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ نور الإيمان الذي جعله في قلوب عباده المؤمنين.

﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ أي: كوة في الجدار غير نافذة.

﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ أي في المشكاة لأنها تجمع نور المصباح فلا يتفرق.

﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ أي أن ذلك المصباح قد وضع في زجاجة صافية كأنها في صفائها أحد الكواكب بالغة الإضاءة.

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٤٩)، ورواه مسلم (٣٦٤)، وهو في صحيح ابن ماجة للألباني برقم (١٦١).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٥٣)، رواه مسلم (٤٥٤).

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ﴾ أي أن هذا المصباح يوقد من زيت الزيتون وهو أفضل ما يكون من الإنارة.

﴿لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾ أي متوسطة بين الشرق والغرب فتشرق عليها الشمس في أول النهار وتصيبها أيضاً في آخره، فلذلك يكون زيتها أصفى ما يكون.

﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ﴾ أي أن زيتها لشدة نقائه وصفائه يكاد يضيء دون أن تمسه نار فإذا ما مسته النار، أضاء إضاءة ليس لها مثيل.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي نور الزيت على نور النار.

﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي لأنه نور الله فإنه لا يصل إلى الاهتداء به إلا من يشاء ممن يعلم زكاءه وطهارته.

﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ أي أن الأمثال تقرب المعاني والحقائق إلى ذهن السامع ليتضح الحق للخلق وهذا من إحسانه سبحانه إلى العباد ومن رحمته بهم.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ فقد أحاط بكل شيء علماً، ومن ذلك ما يضرب لكم من الأمثال، فإنها جميعاً صادرة من حكيم عليم يعلم تفاصيل الأمور ودقائقها فهو أعلم بما ينفع عباده فما عليهم إلا التسليم والاتباع.

ويركز الطاهر بن عاشور ~ في قوله: " فالكلام تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حفّت به وسائل قوة الإشراق فهو نور الله لا محالة. وإنما أوثر تشبيهه بالمصباح الموصوف بما معه من الصفات دون أن يشبه نوره بطلوع الشمس بعد ظلمة الليل لقصد إكمال مشابهة الهيئة المشبه بها بأنها حالة ظهور نور يبدو في خلال ظلمة فتنقشع به تلك الظلمة في مساحة يراد تنويرها. ودون أن يشبه بهيئة بزوغ القمر في خلال ظلمة الأفق لقصد إكمال المشابهة لأن القمر يبدو ويغيب في بعض الليلة بخلاف المصباح الموصوف. وبعد هذا فلأن المقصود ذكر ما حف بالمصباح من الأدوات ليتسنى كمال التمثيل بقبوله تفريق التشبيهات كما سيأتي وذلك لا يتأتى في القمر.

والمَثَل: تشبيه حال بحال، فمعنى ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: شَبيهُ هدِيه حالُ مشكاة.. إلى آخره، فلا حاجة إلى تقدير: كنور مشكاة، لأن المشبه به هو المشكاة وما يتبعها.

وقوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المقصود كمصباح في مشكاة. وإنما قُدم { المشكاة } في الذكر لأن المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشبه به هو مجموع المركب المبتدىء بقوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ والمنتهي بقوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فلذلك كان دخول كاف الشبه على كلمة { مشكاة } دون لفظ ﴿مِصْبَاحٌ﴾ لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ ﴿مِصْبَاحٌ﴾ بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة المتخيلة حين يلمح الناظر إلى انبثاق النور ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاةً ثم يبدو له مصباح في زجاجة" [(١)].

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

لن أستطيع أن أحيط بما في هذا التشبيه من آثار عظيمة ولكن سأحاول جهدي في استخراج بعضها والله المستعان وعليه الإتكال:

أول هذه الآثار: أن الله ﷻ أن يصف نفسه بما شاء مما يليق بجلاله سبحانه وليس للعبيد أن يعترضوا على شيء من ذلك فيعطلوا أو يشبهوا أو يتأولوا، وإنما الواجب الإيمان الجازم والتسليم الكامل بذلك كله وإجراءه على ظاهره من غير تعطيل يذهب بالصفات، ولا تشبيه يجعل الخالق جل وعلا كالمخلوق، ولا تأويل يحيل المعنى عن ظاهره بغير أدلة وبينّات.

ثانيها: بيان عظمة القرآن الكريم وإعجازه البلاغي ويتجلى ذلك فيما احتوته هذه الآية من تراكيب وتشبيهات تسر الناظرين وتبهر ألباب المتدبرين، فمن الذي يستطيع من الخلق مهما أوتي من فصاحة أو بلاغة أن يقارع هذه الآية أو على أقل تقدير أن يقاربها، فلما لم يحدث ذلك منذ نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ إلى اليوم دل

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٣٤- ٢٣٥).

ذلك على إعجاز القرآن وهذا مصداق قوله سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء:٨٨-٨٩].

ثالثها: أن الله يضرب الأمثال للناس ليصل إليهم المعنى المراد ويستخدم في ذلك أيسر السبل وأبسط العبارات فيأتيهم بتشبيهات من جنس ما عرفوا وألفوا كالمشكاة والمصباح والزجاجة والزيت ونحوه، وفي هذا دعوة لكل من يتصدى للدعوة ودرس لمن يعلم الناس الخير بأن يخاطبوا الناس على قدر أفهامهم وبما يقتضيه عصرهم كما أثر عن علي رضي الله عنه أنه قال: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ) (١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً) (٢).

ولعل من ذلك ما يسمى بتجديد الخطاب الديني، مع تفصيل يسير وهو: إن كان المقصود بتلك الشعارات هو حسن اختيار الأسلوب، وجودة الطرح، ولين العبارة، والإفادة من التقنية الحديثة وتوظيفها في خدمة الدعوة إلى الله، فهذا كله من باب الحكمة والمداراة الحسنه كما قال الله لنبييه موسى وهارون في سياق أمرهما بدعوة أطغى الناس وهو فرعون الذي قال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤].

وإن كان المراد بالتجديد هو تقديم التنازلات والتخلي عن الثوابت وجعل مسلمات الدين وضرورياته عرضة للنقاش ومحل نظر لكل من هب ودب ودرج، فذلك من المداهنة الممقوتة وذلك والله هو الضلال البعيد.

---

(١) رواه البخاري في باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا برقم (١٢٧) فتح الباري (١/ ٢٢٦).

(٢) رواه مسلم في مقدمته برقم (١٥).

رابعها: أن هنالك من الأشجار ما هو مبارك ومنه الزيتون، وفي ذلك إشارة إلى تفاضل الناس بحسب قوة نور الإيمان الذي في قلوبهم كما أن البركة تتفاوت من شجرة إلى أخرى.

خامسها: أن قلب المؤمن المليء بنور الله لا تتخطفه الأهواء ولا تتسلط عليه شهوات الدنيا وشبهات أهلها، فقد جعل الهموم هماً واحداً وهو التعلق بالله والرغباء فيما عنده وهذا المعنى مأخوذ من المشكاة التي يجتمع فيها نور المصباح فيكون قوياً ومركزاً ولا يتفرق في الأرجاء فيضعف، يشهد لهذا المعنى قوله ﷺ: (مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ) [(١)].

سادسها: أن الله ﷻ هو نور السموات والأرض ويفهم من ذلك أن السموات والأرض بدون نوره سوداء مظلمة فهو نورهما الحسي والمعنوي كما بينّا من قبل وكما قال الإمام الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩] ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي، فإن الله سبحانه هو: نور السماوات والأرض[(٢)].

سابعها: أن البعض قد تأولوا النور بتأويلات كثيرة ومتباينة فمنهم من قال أن الله يخلق يوم القيامة نورا يلبسه وجهه، ومنهم من قال أن نسبة النور إلى الله كنسبة الناقة إليه في قوله ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ ومنهم من قال أن المراد بالنور العدل لأن العدل نور والظلم ظلمات، وكل هذه التأويلات وإن وافق بعضها شيئاً من المعنى المراد فإن أغلبها لا يستند إلى دليل صريح أو نقل صحيح.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) من حديث أنس بسند فيه ضعف ويشهد له ما رواه ابن ماجة (٤٠٩٥) بسند صحيح وبلفظ قريب منه.

(٢) فتح القدير (٤/ ٦٦٨).

ثامنها: من المفسرين من قال: (عنى بالمشكاة صدر المؤمن، وبالمصباح: القرآن والإيمان، وبالزجاجة: قلبه)[1].

ومنهم من قال أنه مثل ضربه الله لقلب محمد ﷺ[2] وقيل غير ذلك، وعلى أي قول من هذه الأقوال فإن المراد الأعظم من التشبيه والله أعلم هو تعظيم الله ﷻ وتعظيم شأن الطاعة والهداية والإيمان وما يتصل بمراضي الله ﷻ وبيان أن خير الهدى هدى الله وأن خير ما يتبع هو ما أنزله الله وسنه رسوله ﷺ.

تاسعها: "إذا أردنا تنزيل هذا التشبيه على حال المؤمن فيمكن القول أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نور"[3].

---

(١) انظر تلك الأقوال في جامع البيان(١٩/ ١٧٨).

(٢) جامع البيان (١٩/ ١٨٠).

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٦٦٣).

الآية الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور:٣٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي[1]. وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾.

المشبه: أعمال الكفار.

المشبه به: السراب.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: عدم الانتفاع به إذ لا حقيقة لها.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ شبه أعمال الكفار بالشعاع الذي يرى في الصحراء في منتصف النهار يظنه من يراه ماءاً جارياً وليس بشيء.

﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ أي يظنه العطشان ماءً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ أي يظن الكافر أن أعماله تنفعه ولكن إذا جاء يوم القيامة لم يجد لأي من أعماله أي فائدة وذلك لكفره.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي وجد الله يوم القيامة فجزاه على ما قدم في الدنيا.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي أنه سريع المجازاة.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤١).

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ حقيقة هذا التمثيل وأطرافه بقوله: " فتشبيه الكافرين وأعمالهم تشبيه تمثيلي: شبهت حالة كدهم في الأعمال وحرصهم على الاستكثار منها مع ظنهم أنها تقربهم إلى رضى الله ثم تبيّن أنها لا تجديهم بل يلقون العذاب في وقت ظنهم الفوز: شبه ذلك بحالة ظمئان يرى السراب فيحسبه ماء فيسعى إليه فإذا بلغ المسافة التي خال أنها موقع الماء لم يجد ماء ووجد هنالك غريماً يأسره ويحاسبه على ما سلف من أعماله السيئة.

واعلم أن الحالة المشبهة مركبة من محسوس ومعقول والحالة المشبه بها حالة محسوسة. أي داخلة تحت إدراك الحواس.

والسراب: رطوبة كثيفة تصعد على الأرض ولا تعلو في الجو تنشأ من بين رطوبة الأرض وحرارة الجو في المناطق الحارة الرملية فيلوح من بعيد كأنه ماء...

قوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ هو من تمام التمثيل، أي لم يجد الماء ووجد في مظنة الماء الذي ينتفع به وجد مَنْ إن أخذ بناصيته لم يفلته، أي هو عند ظنه الفوز بمطلوبه فاجأه من يأخذه للعذاب، وهو معنى قوله: ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي أعطاه جزاء كفره وافياً. فمعنى ﴿فَوَفَّىٰهُ﴾ أنه لا تخفيف فيه، فهو قد تعب ونصب في العمل فلم يجد جزاء إلا العذاب بمنزلة من ورد الماء للسقي فوجد من له عنده تِرة فأخذه" (١).

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٥١-٢٥٣).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

شبه الله أعمال الكفار التي كانوا يعملونها في الدنيا معتقدين نفعها كسقاية الحاج وإغاثة الملهوف وغير ذلك مما يعده الناس من أعمال البر، شبهها بالسراب الخادع الذي يراه الظمآن فيظنه ماء فيفرح به أيما فرح ويسعى لأجل تحصيله، وما أن يصل إليه حتى يجد الحقيقة المرة وهي أنه ليس بشيء فلا يجد عندها إلا الله الذي يوفيه حسابه جزاءاً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

ومن أهم آثار التشبيه التأكيد على حقيقة عقدية مهمة وهي أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، فمهما يقدم الكفار من أعمال ظاهرها البر والإحسان للناس فإن ذلك كله لا ينفعهم، لأنهم قد ضيعوا أهم طاعة وأساس كل خير وبر وهو التوحيد ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣]. وسيأتي قريباً إن شاء الله.

قال أبو السعود ~ : "وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة، لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا ولا أثرا كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ كيف لا و أن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله أي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم أي أعطاهم وافيا كاملا حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير أيمان وعملهم بموجبه كفر على

كفره"(1).

ويصور التشبيه المفاجأة التي تنال الكفار عند لقاء الله تصويراً مخيفاً مهيباً كما قال سيد قطب ~ : " يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة، يلتمع التماعاً كاذباً، فيتبعه صاحبه الظامئ، وهو يتوقع الري غافلاً عما ينتظره هناك.. وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة.. فهذا السائر وراء السراب، الظامئ الذي يتوقع الشراب، الغافل عما ينتظره هناك.. يصل، فلا يجد ماء يرويه، إنما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببال، المرعبة التي تقطع الأوصال، وتورث الخبال: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ ! الله الذي كفر به وجحده، وخاصمه وعاداه. وجده هنالك ينتظره! ولو وجد في هذه المفاجأة خصماً له من بني البشر لروّعه، وهو ذاهل غافل على غير استعداد، فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾.. هكذا في سرعة عاجلة تتناسق مع البغتة والفجاءة، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.. تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع!" (2).

ومن أثار التشبيه أيضاً: ما يفهم من ضد ذلك وهو أن من حقق التوحيد فهو بإذن الله على خير عظيم وإن زلت به قدمه في المعاصي فلا يزال يرجى له النجاة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ

---

(1) إرشاد العقل السليم (٦/ ١٨١). ويلاحظ في كلامه عدم التصريح بملاقاتهم لله ﷻ، والحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ يأتي لفصل الخطاب والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢١، ٢٢]. وغيرها من الآيات.

(2) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥٢١)، والمنتقم ليس من أسماء الله الحسنى، وقد قيد أهل السنة إطلاقه على الله ﷻ بنحو المنتقم من الكفار قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى واسم " المنتقم " ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ و إنما جاء في القرآن مقيداً كقوله تعالى ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾. و الحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يذكر فيه "المنتقم" فذكر في سياقه "البر التواب المنتقم العفو الرؤوف" : ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ. "مجموع الفتاوى" (٨/ ٨١) دار عالم الكتب، بيروت.

إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [النساء:٤٨].

ومن آثار التشبيه أيضاً أن الكثير من الأمور لا ينبغي إجراءها على ظاهرها، فقد يكون ظاهرها حسناً براقاً وأما مخبرها فعلمه عند ربي، وليس كل ما يستحسنه الناس يحسن عند الله، وأن هناك شروطاً لقبول العمل الصالح وأهمها أن يصدر ذلك العمل من عبد مؤمن وقلب مخلص يريد وجه الله والدار الآخرة وأن يكون وفق سنة النبي ﷺ.

الآية الثالثة: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور:٤٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي [1]. في قوله تعالى: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾

المشبه: أعمال الكفار.

المشبه به: ظلمات البحر.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الضرر الحاصل.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ تشبيه آخر لأعمال الكفار بظلمات البحر العميق.

﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ﴾ فصل في بيان تلك الظلمات فهي ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الثاني وظلمة السحاب وظلمة الليل.

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يستطع رؤيتها.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي أن من لم يكتب الله له هداية التوفيق لم

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٤١).

يستطع أحدٌ أن يهديه.

ويربط ابن القيم بشكل محكم بين هذا التشبيه والسابق في الآية ٣٩ وفي الآية ٣٥، مفصلا أطراف المشبه: أهل الإيمان وأهل الضلال والمغضوب عليهم، وما يقابلها من المشبه به في قوله:

" فشبه سبحانه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب يخدع رائيه من بعيد، فإذا جاءه وجد عنده عكس ما أمله ورجاه.

وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان بظلمات متراكمة في لجج البحر..

وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم. فهي سراب لا حاصل لها، وظلمات لا نور فيها.

وهذا عكس مثل أعمال المؤمن وعلومه التي تلقاها من مشكاة النبوة، فإنها مثل الغيث الذي جاء به حياة البلاد والعباد. ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا والآخرة...

فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاث المنعم عليهم، وهم أهل النور، والضالين، وهم أصحاب السراب، والمغضوب عليهم: وهم أهل الظلمات المتراكمة والله أعلم".[١]

---

(١) الأمثال في القرآن (١/ ١٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لما شبه الله جل ذكره النور في قلب العبد المؤمن وبالغ في امتداح ضياءه وإشراقه، جاءت هذه الآية لتضرب مثل الضد من ذلك، وهو قلب الكافر وعمله وما يكتنفهما من الظلمات وما يثمران من حسرات، فللعبد أن يتصور إنساناً في أعماق البحار قد أحاطت به ظلمة البحر السحيق وظلمة الأمواج المتلاطمة من فوقه ثم يكسوا ذلك كله ظلمة الليل البهيم، وفي عمق هذه الظلمات يخرج ذلك الإنسان يده ويمدها أمام عينيه فهيهات هيهات أن يراها.

فقلب المؤمن وطاعته وهدايته نور على نور، يقابل ذلك قلب الكافر وما فيه من ظلمات بعضها فوق بعض، فالمؤمن لا يزال يتقلب من طاعة إلى طاعة ويترقى من قربة إلى قربة فيزداد إيماناً على إيمانه ونوراً إلى نوره كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد:١٧]، وأما الذين كفروا فيستدرجهم الشيطان بخطواته فلا يزال يوقعهم في معصية تلو الأخرى فيزدادون رجساً إلى رجسهم وظلمة على ظلماتهم.

وقال عن نور المؤمن ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾، وقال في مقابل ذلك واصفاً ظلمات الكافر ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾.

وامتن سبحانه على المؤمن فأخبر أن هدايته توفيق من الله ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، وبين أن حرمان الكافر وحجبه عن نور الهداية لا يملكه إلا هو سبحانه ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، فلو اجتمع الثقلان ليهدوا من كتب الله عليه الشقاوة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وهذه كلها مقابلات دقيقة الحبك رائعة السبك، فيها ترغيب وترهيب وفيها غاية البلاغة وأعظم الإعجاز.

ومن آثار التشبيه أن الذنوب والمعاصي تورث ظلمة في القلب وبقدر تلك الذنوب تكون حلكة تلك الظلمات، فأشدها سواداً وأقبحها ظلمة هي ما كان سببه

الشرك والكفر ثم البدع والكبائر وهكذا، فالناس فيها بين مستقل ومستكثر.

ومن آثاره أيضاً: أن في جعل المشبه هو أعمال الكفار دليل على عدل الله سبحانه فإنه لا يجازيهم إلا بما عملوا ولا يعاقبهم إلا بما اقترفوا، فالله أعظم وأرحم من أن يبادر الناس بالعذاب ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

وهذا المبدأ -أي تقييم الناس بأعمالهم- منهج رباني في التعامل مع كل الناس، فليس بين الله وبين خلقه عداوة، وإنما يجازي كلاً بعمله فللمحسن الثواب وللمسيء العقاب، وهذا المبدأ الذي ينبغي أن يسير عليه العبد المؤمن في تعامله مع الناس، فيحبهم بقدر إيمانهم، وإذا أبغض لم يبغض إلا عملهم السيئ.

ومنها أن التشبيه بظلمات البحر والسحاب الكثيف والليل الأليل وبأمواج البحر العاتية يوحي بأن ذلك الغريق هالك لا محالة، فكيف يمكن أن ينجوا من تلك حاله؟.

الآية الرابعة: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥]

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي. في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

المشبه: استخلاف المؤمنين من هذه الأمة.

المشبه به: استخلاف المؤمنين السابقين.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الاستخلاف والتمكين في الأرض.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وعد من الله لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن يستخلفهم في الأرض مثلما استخلف المؤمنين من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أي يمكن لهم دين الإسلام ويوطده ويثبته لأنه هو الدين المرتضى من الله والمهيمن على الأديان من قبله.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وهذا وعد آخر من الله ﷻ للمؤمنين بأن يحل عليهم الأمن بعد ما كانوا يجدون من الخوف من الكفار.

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ أي في حال عبادتي وعدم شركهم بي.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي من كفر بذلك الإنعام فأولئك هم الكاملون في الفسق.

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ طرفي التمثيل بين أصحاب النبي ﷺ وبين الأمم الأخرى في قوله: " وهذا استخلاف كامل ولذلك نظّر بتشبيهه باستخلاف الذين من قبلهم يعني الأمم التي حكمت معظم العالم وأخافت جميعه مثل الأشوريين والمصريين والفنيقيين واليهود زمن سليمان، والفرس، واليونان، والرومان...إلى أن قال: وفي الآية دلالة واضحة على أن خلفاء الأمة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية كانوا بمحل الرضى من الله تعالى لأنه استخلفهم استخلافاً كاملاً كما استخلف الذين من قبلهم وفتح لهم البلاد من المشرق إلى المغرب وأخاف منهم الأكاسرة والقياصرة.

وجملة: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ بيان لجملة: ﴿وَعَدَ﴾ لأنها عين الموعود به. ولما كانت جملةَ قسم وهو من قبيل القول كانت إحداهما بياناً للأخرى." (١)

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٨٦).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في هذه الآية ثلاثة وعود ربانية -﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ - لعباده المؤمنين:

أولها: الوعد بالاستخلاف في الأرض ليكونوا هم الوارثين لها المالكين لزمام الأمور فيها، فلهم الغلبة على كل من ناوأهم والنصر على كل من عاداهم.

ثانيها: أن يمكن لدينهم العظيم الذي ارتضاه لهم ليجعله المهيمن على كل دين قبله وشريعته ناسخة لكل شريعة قبلها ولا يقبل من عبد سواه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران:١٩].

ثالثها: أن يبدل ما كانوا يجدونه من الخوف أمناً وطمأنينة لتتم لهم بذلك النعم فيعبدوا ربهم بطمأنينة ورضا..

ومن آثار التشبيه المهمة أن الله ﷻ ليس بينه وبين الناس نسب، فلا تفاضل ولا خيرية لأحد على أحد إلا بما عنده من الإيمان والعمل الصالح فمن آمن من هذه الأمة فهو حقيق بهذا الوعد كما أن المؤمنين من الأمم السابقة قد نالوا ذلك الوعد بالسبب نفسه.

في قوله جل ذكره: ﴿مِنكُمْ﴾ إشارة إلى أن من لم يتحقق فيه الشرطان وهما الإيمان والعمل الصالح لا يشمله هذا الوعد ويشهد لذلك شاهدان: الأول من الآية نفسها حيث قال في آخرها ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾، فمتى ما كانت هذه حالهم فليبشروا، ومتى ما تخلفوا عن الشرط، فعليهم ألا يأمنوا تخلف الموعود.

وأما الشاهد الثاني فهو من واقع حال الأمة ذلك أنهم لما آمنوا وعملوا الصالحات وصدّقوا وصدقوا في ذلك أبان عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين، جعل الله لهم الدولة على أعدائهم فكانت الفتوحات وتهاوت على أيديهم رؤوس الكفر وأمم الطغيان حينما عُبد الله وحده ونبذت الطواغيت، فلما ضعف الإيمان في

القلوب وتأخر فئام من أبناء الأمة عن الشرطين المذكورين أو أحدهما، حدث ما حدث من تسلط الأعداء وافتراق الأمة وبالتالي تأخرها عن سائر الأمم.

وفي اقتصار التشبيه على ما حدث للأمم السابقة من الاستخلاف دون التمكين والتبديل بالأمن، زيادة مزية لهذه الأمة على غيرها، فالاستخلاف كان للسابقين واللاحقين من المؤمنين أما تمكين الدين المرضي وتبديل الخوف أمناً فلم تباشره كاف التشبيه وإن كان قد يفهم ضمناً.

ومن آثار التشبيه بيان فضل التوحيد والإيمان والعمل الصالح وأن ذلك سبب السعادة والعزة والعيش بأمن واطمئنان في الدنيا والآخرة.

ومنها أيضاً شؤم المعصية وسوء منقلب أصحابها وأن شؤمها يعود على الأمة جمعاء ولا يقتصر على مرتكبيها وحدهم.

ومنها أخيراً أن الاستخلاف يكون لمن يعمر الأرض لا لمن يفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، يقول سيد قطب ~ : "إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان!

وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم ليحققوا النهج الذي أراده الله؛ ويقرروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله.. فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض، وينشرون فيها البغي والجور، وينحدرون بها إلى مدارج الحيوان.. فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض، إنما هم مبتلون بما هم فيه، أو مبتلى بهم غيرهم، ممن يسلطون عليهم لحكمة

يقدرها الله" (1).

وهذه الآية تشبه ما جاء في سورة الحج من تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين وتمكينه لهم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤٠-٤١].

فأخبر أن النصر والتمكين يشترط له الإيمان والعمل الصالح، وفسر ذلك هنا بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥٢٩).

الآية الخامسة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النور:٥٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت أداته دون وجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾.

المشبه: استئذان الخدم والصبيان من الدخول على أهل المنزل في أوقات الراحة (تبيين الأحكام).

المشبه به: استئذان الأمم السابقة في ذلك (التبيين المتقدم في الآيات).

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: التفصيل الكامل.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ المقصود بهم العبيد والإماء.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي الأطفال من الأحرار وعرفوا أمر النساء.

﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي في ثلاثة أوقات.

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ وهذا تفصيل لتلك الأوقات فهي ما قبل الفجر ووقت الظهر وبعد صلاة العشاء، فهذه الأوقات هي مضنة إلقاء الثياب وانكشاف العورات.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ أي بعد هذه الأوقات الثلاثة لا بأس

بدخول هؤلاء المماليك والصبيان عليكم.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يترددون عليكم للخدمة.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي كما بين ما تقدم فإنه يبين الأحكام.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فهو يعلم أمور خلقه فيدبر شئونهم بحكمته البالغة.

ويوضح الطبري ~ هذا التشابه: " فتأويل الكلام: يا أيُّها الذين صدقوا الله ورسوله، ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ يقول: والذين لم يحتلموا من أحراركم ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾، يعني: ثلاث مرات في ثلاثة أوقات، من ساعات ليلكم ونهاركم..

كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار، وخصّ الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر، وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا، وقد تقدّمت الآية التي قبلها بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك؛ لأن حكم ما ملكت أيمانكم في ذلك حكم واحد، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل ".(1)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

يشير التشبيه إلى أحكامٍ شرعية وآدابٍ عظيمة، فيها منة كريمة يمتن الله بها على هذه الأمة، فقد بين الأحكام وفصلها على وجه لا يبقى معه أدنى شبهة ولا يُحتاج معه إلى مزيد بيان، فكما أن الله ﷻ له تمام العلم وله تمام الحكمة وأفضل التدبير فكذلك لا يصدر منه إلا أوامر محكمة هي الأنفع للناس في شئون دينهم ودنياهم.

ولا أدل على ذلك من هذا التفصيل المبارك لتنظيم دخول المماليك والصبيان على الأزواج والإخبار عن الأوقات التي غالباً ما يركن فيها النساء إلى الراحة في بيوتهن

---

(1) جامع البيان (١٩/ ٢١٤- ٢١٥).

فيضعن ثيابهن، أو ما قد يكون من حال الرجل مع أهله.

وفي هذه التفاصيل الدقيقة والبيان التام دليل واضح على شمولية الشريعة وتمام نعمة الإسلام وأنه الدين الخاتم الصالح لكل عصر وأنه قد جاء بالأمور العظام كترسيخ عقيدة التوحيد في قلوب الناس، وكذلك فإنه لم يغفل صغائر الأمور من آداب وسلوكيات ومعاملات وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، يقول سيد قطب ~ في الظلال: "إن الإسلام منهاج حياة كامل، فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها.

ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة، وينسق بينها جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية" (١).

فلما ذكر هذه التفاصيل كلها وبدقة متناهية ناسب أن تختم الآية بهذا التشبيه للفت أنظار الناس لنعمة الإسلام والقرآن الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة مما يهم المسلمين ويصلح أحوال معيشتهم ويكون سبباً في سعادتهم في الدارين إلا دلهم عليه، فعلى هذا النحو من التفصيل وحسن البيان جاءت كل آياته وأحكامه مفصلة ومبينه.

وفي حديث أبي ذر ﵁ قال: تركنا رسول الله ﷺ و ما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا و هو يذكرنا منه علما، قال: فقال ﷺ: " ما بقي شيء يقرب من الجنة و يباعد من النار إلا و قد بين لكم" (٢).

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٥٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣ و ١٦٢)، وذكره الألباني في " الصحيحة " (٤/ ٤١٦).

الآية السادسة: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ [النور:٥٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي. في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾

المشبه: استئذان من بلغ الحلم.

المشبه به: استئذان الكبار من قبل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الاستئذان في الدخول على أهل البيت.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ أمر بأن يستأذن الأطفال في حال بلوغهم الحلم في جميع الأوقات.

﴿كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي من الأحرار الكبار.

قال الإمام القرطبي ~ : "والمعنى أن الأطفال أمروا بالاستئذان في الأوقات الثلاثة المذكورة، وأبيح لهم الأمر في غير ذلك كما ذكرنا.

ثم أمر تعالى في هذه الآية أن يكونوا إذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت. وهذا بيان من الله ﷻ لأحكامه وإيضاح حلاله وحرامه، وقال ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ ولم يقل فليستأذنوكم. وقال في الأولى ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ﴾ لأن الأطفال غير

مخاطبين ولا متعبدين"[1].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ تأكيد على علمه وحكمته سبحانه وامتنانه على أمة الإسلام بتبيين الآيات والأحكام لهم.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لما تقدم في الآية السابقة تحديد أوقات العورات الثلاث التي يجب أن يستأذن فيها الخدم والأطفال المميزون الذين قد اطلعوا على عورات النساء، جاءت هذه الآية لتبين وجوب استئذان من بلغ الحلم في كل وقت من الأوقات في الدخول على أهل البيت [2].

وهنا يترتب على أثر هذا التشبيه حكم فقهي يرشد إلى أدب عظيم من الآداب والسلوكيات التي ينبغي أن يتحلى بها الكبار ويربى عليها الصغار في المجتمع المسلم، ففي استعمال التشبيه في هذه الآية دلالة على أنه حكم عام شامل في كل من بلغ الحلم ولا استثناء فيه، فيفهم منه أن الأحرار الكبار كانوا يدخلون على أهل البيت -من أزواج ونساء- دون استئذان لما كانوا صغاراً وحينما بلغوا الحلم أمروا بالاستئذان، فبناء على ذلك يجب على الصغار المعاصرين أن يستأذنوا إذا بلغوا الحلم كما فعل سابقوهم سواءً بسواء.

ولا يخفى ما في هذا الحكم الرباني الشريف من حفظ لعورات الناس وإرساء لدعائم الفضيلة ودعوة إليها وقطع لكل السبل التي قد تؤدي إلى الرذيلة وتحذير منها، ولذلك ذكّر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بعظيم منته عليهم بتبيين هذه الأحكام وتفصيلها للناس في تشبيه آخر وامتنان آخر فقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ٣٠٨).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٢١٥).

ولأنه قد تقدم الكلام في الآية السابقة على التشبيه المماثل لهذا، فقد اكتفينا بما ذكر آنفاً.

وختم الآية بالتذكير باسميه العظيمين ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فعلمه وسع كل شيء ومن ذلك مايقيم حياة الخلق على أفضل نظام، وهو كذلك عليم بمن يمتثل تلك الأوامر والأحكام ويرتقي بنفسه إلى تلك المثل ممن يحيد عنها ويتكبر فيعرض عن تطبيقها..

وهو الحكيم سبحانه فلا ينزل حكماً إلا لحكمة ولا يرفعه إلا لحكمة وما على المؤمن إلا التسليم لإمره ﷻ سواء أدرك تلك الحكمة أو جهلها..

الآية السابعة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٢-٦٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي. في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾.

المشبه: خطاب الرسول ﷺ ونداؤه.

المشبه به: خطاب الناس بعضهم بعضاً.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الغلظة والجفوة.

غرض التشبيه: تنزيه المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ هذا امتداح للمؤمنين الذين يؤمنون بالله ورسوله وإذا كانوا معه في أمر من الأمور التي تتطلب الاجتماع كالجهاد والمشاورة وخطبة الجمعة والعيدين ونحو ذلك من الاجتماعات.

﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ أي لم يخرجوا من اجتماعهم بالنبي ﷺ حتى يستأذنوه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ وهذا تأكيد على أن الذين يتأدبون مع النبي ﷺ ويستأذنونه أنهم هم المؤمنون

حقاً فاستحقوا أن يؤذن لهم إذا ما استأذنوا لبعض أمرهم.

﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فيه تخيير لنبيه ﷺ بأن يأذن لمن يشاء منهم بالانصراف وذلك بحسب ما يراه مناسباً أو فيه المصلحة.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أمر نبيه ﷺ أن يستغفر لهم الله لما قد يكون منهم من تفريط باستئذانهم هذا.

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ أي لا تسووا بين خطابكم النبي ﷺ وخطاب بعضكم بعض بأن تقولوا يا محمد، بل قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، وليكن ذلك بتأدب وخفض للصوت وتواضع لرسول الله ﷺ.

وذكر ابن كثير ~ معنى آخر فقال أي: لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره، فإن دعاءه مستجاب، فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا ونسبه إلى ابن أبي حاتم والحسن البصري وعطية العوفي عَنِ ابْنِ عباس [1].

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي قد علم الله الذين يخرجون من عند رسول الله ﷺ وهو في الأمر الجامع من غير استئذان خفية مستترين بشيء.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم (١٥٧٢٥) فقال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ" " لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " دَعْوَةُ الرَّسُولِ عَلَيْكُمْ مُوجِبَةٌ فَاحْذَرُوهَا"، وَرُوِيَ عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ نَحْوُ ذَلِكَ، وهذا الإسناد فيه مجاهيل فهو ضعيف، وما حكاه عن عطية العوفي فهو بصيغة التمريض وكذلك لضعف عطية العوفي قال عنه ابن حجر صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلساً وقال الذهبي ضعفوه، وذكر ذلك أيضاً ابن جرير بالسند نفسه، فالأثر ضعيف إلى ابن عباس، والله تعالى أعلم. أما نسبته إلى الحسن البصري فيبدوا أنه قد وقع فيه تصحيف أو أخطأ ابن أبي حاتم فساقه ضمن القائلين بهذا المعنى حيث أن لفظ الحسن الذي رواه ابن أبي حاتم كالتالي: "لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ إِذَا دُعِيَ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا".وانظر تفسير ابن أبي حاتم (١٥٧٢٦).

ليحذر كل الذين يخالفون أوامر رسول الله ﷺ أن يفتنوا فيطبع على قلوبهم أو يكفروا، أو أن يصيبهم عذاب عاجل في الدنيا بقتل أو حد أو حبس ونحو ذلك أو أن يكون لهم العذاب الأليم في الآخرة.

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ النهي عن تشبيه خطاب الرسول ﷺ بخطاب غيره من الناس: " والمعنى: لا تجعلوا دعوة الرسول إياكم للحضور لديه مخيَّرين في استجابتها كما تتخيرون في استجابة دعوة بعضكم بعضاً، فوجه الشبه المنفي بين الدعوتين هو الخيار في الإجابة. والغرض من هذه الجملة أن لا يتوهموا أن الواجب هو الثبات في مجامع الرسول إذا حضروها، وأنهم في حضورها إذا دُعوا إليها بالخيار، فالدعاء على هذا التأويل مصدر دعاه إذا ناداه أو أرسل إليه ليحضر.

وإضافة ﴿دُعَآءَ﴾ إلى ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله. ويجوز أن تكون إضافة ﴿دُعَآءَ﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله والفاعل المقدر ضمير المخاطبين. والتقدير: لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ، فالمعنى نهيهم "(١).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في الآيتين جملة من الآداب التي يجب مراعاتها في التعامل مع رسول الله ﷺ وذلك لإظهار مكانته وتبجيله وتسويده، وقد امتدح سبحانه الذين يستأذنون النبي ﷺ وأكد أنهم هم المؤمنون الصادقون في إيمانهم فلا يقدمون على أمر ولا يحجمون عن أمر إلا بإشارة وإذن منه ﷺ وخصوصاً في الأمور العظيمة التي يكون فيها اجتماع الأمة مع نبيها كالجهاد والمحافل الكبيرة من الجمع والعيدين وغير ذلك.

ثم جاء هذا النهي الصريح عن تشبيه دعاء النبي ﷺ بدعاء الناس بعضهم بعضاً وذلك من الأدب الواجب مع رسول الله فلا ينادى باسمه وإنما بالنبوة أو الرسالة لتعظيمه وإنزاله منزلته الشريفة التي أنزله ربه إياها.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ٣٩).

ومن أثار التشبيه أنه يحرم مناداته ﷺ كما ينادى سائر الناس بالاسم المجرد وهذا ما يقتضيه التشبيه، لأن التشبيه بالكاف يقتضي المساواة فلما جاء النهي عن التشبيه، علم من ذلك النهي عن مناداته باسمه أو كنيته كما يفعل مع كل أحد.

قال القرطبي ~ : "قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ بهذه الآية احتج الفقهاء على أن الأمر على الوجوب. ووجهها أن الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة أمره، وتوعد بالعقاب عليها بقوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فتحرم مخالفته، فيجب امتثال أمره" (١).

ثم جاء نهي آخر عن الخروج من بين يديه بدون إذن وذم لمن يفعل ذلك وتذكير لهم بأن الله لا يخفى عليه حالهم وأنه مطلع على فعالهم.

ثم ختم هذه الآداب بالتحذير الشديد من مخالفة أمر النبي ﷺ صغيراً كان ذلك الأمر أو كبيراً وبيان أن من يفعل ذلك فإنه يعرض نفسه لفتنة الكفر أو العقاب العاجل أو العذاب الآجل وكل ذلك ينبغي أن يحذره المؤمن المحب لنبيه ﷺ والحريص على اتباع سنته والراغب في أن يحشر تحت لواءه وفي زمرته.

(١) جامع أحكام القرآن (١٢/ ٣٢٢)، (١٢/ ٣٢٣).

المبحث السادس عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة الفرقان

وعددها (١٠) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ [1]. محذوف الأداة ووجه الشبه من غير جنس المشبه، وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾.

المشبه: أعمال الكفار.

المشبه به: الهباء المنثور.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الخفة في الميزان وانعدام أهميتها ونفعها.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عمدنا إلى ما كان المشركون قد عملوه من الخير كالصدقات وصلة الأرحام وإغاثة الملهوفين ونحو ذلك من أعمال البر.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ والهباء هو حبيبات الغبار المفرّقة التي ترى في ضوء الشمس من الكوة والنافذة ونحوهما.[2]

والمعنى جعلنا أعمال الكفار مثله في عدم النفع، إذ لا ثواب فيها لتخلف شرط القبول وهو التوحيد أولاً.

---

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٨).

(٢) "الهَبَاء التراب الذي تُطَيِّرُه الريح فتراه على وجوه الناس وجُلُودِهم وثيابهم يَلْزَقُ لُزوقاً وقيل هو غُبار شبه الدُّخان ساطِعٌ في الهَواء". لسان العرب (١٥/ ٣٥٠).

ويبين الطاهر بن عاشور ~ طبيعة التشبيه في قوله: " أي فجعلناه كهباء منثور، وهو تشبيه لأعمالهم في عدم الانتفاع بها مع كونها موجودة بالهَباء في عدم إمساكه مع كونه موجوداً، وهذا تشبيه بليغ وهو هنا رشيق. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة:٥-٦] " [1].

(١) التحرير والتنوير(١٩/ ٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا دليل آخر على أهمية التوحيد لنجاة العبد يوم القيامة، وأن المشرك لو قضى حياته كلها في خدمة الناس والبر بهم والإحسان إليهم وتقديم كل ما هو حسن في نظرهم ثم جاء ربه مشركاً، خاب أمله وضاع عمره وضل سعيه، فكل ذلك لا ينفعه عند الله لأنه فرط في القيام بأفضل الأعمال وآكدها وخير البر وأتمه وهو توحيد الله ﷻ واتباع رسوله ﷺ.

وفي تشبيه تلك الأعمال بالهباء بيان لعدم الانتفاع بها فإن الهباء يضر ولا ينفع، ثم قال ﴿مَّنثُورًا﴾ وهو اسم مفعول والمعنى أن هناك من قام بنثر ذلك الهباء في الهواء، فليس ثمة وسيلة إلى جمعه ولا حيلة في الوصول إليه وتحصيله، ولا الانتفاع به وكل ذلك زيادة في تحقيره ولكي ييأسوا من تحصيله -رغم عدم نفعه- فقد أصبح منثوراً قد فرقته الريح في أصقاع الأرض.

قال في الكشاف: "شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده، وأنه لا ينتفع به، ثم بالمنثور منه، لأنك تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب. ونحوه قوله: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل:٥] لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله موصوفاً بالأكال ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً".(١)

وهذا التشبيه قريب في معناه من التشبيهين المتقدمين عن أحوال الكفار وأعمالهم في قوله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٨﴾ [إبراهيم:١٨].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩﴾ [النور:٣٩].

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٧٩).

الآية الثانية: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان:٤٣].

۞ وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله: ﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

المشبه: الهوى.

المشبه به: الإله.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الطاعة والانقياد.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

۞ تفسير الآية الكريمة:

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ بمعنى أخبرني عن الذي جعل مهويّه كأنه إله يسارع في طاعته، قدّم المفعول الثاني على الأول.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي هل تكون حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟.

قال ابن عاشور ~ مبيناً التشبيه البليغ فيه، في قوله تعالى: " فقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ إذا أجري على الترتيب كان معناه جعل إلهه الشيء الذي يهوى عبادته، أي ما يُحب أن يكون إلهاً له، أي لمجرد الشهوة لا لأن إلهه مستحق للإلهية، فالمعنى: من اتخذ رباً له محبوبه فإن الذين عبدوا الأصنام كانت شهوتهم في أن يعبدوها وليست لهم حجة على استحقاقها العبادة. فإطلاق ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ على هذا الوجه إطلاق حقيقي. وهذا يناسب قوله قبله ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الفرقان:٤٢]، وإذا أجري على اعتبار تقديم المفعول الثاني كان المعنى: من اتخذ هواه قُدوة له في أعماله لا يأتي عملاً إلا إذا كان وفاقاً لشهوته فكأنَّ هواهُ إلهه. وعلى هذا يكون معنى

﴿إِلَـٰهَهُۥ﴾ شبيهاً بإله في إطاعته على طريقة التشبيه البليغ، وهذا المعنى أشمل في الذم لأنه يشمل عبادتهم الأصنام ويشمل غير ذلك من المنكرات والفواحش من أفعالهم". [1]

(١) انظر التحرير والتنوير (١٩/ ٣٥).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا مثل ضربه الله لمن أسرف على نفسه باتباع الهوى حتى أن هواه لا يزين له أمراً إلا قارفه ولا إثما إلا تقحمه وتلبس به، فأصبح هواه بمنزلة الإله المعبود الذي لا يعصي له أمرا وهذا ينطبق على كل من اتخذ معبوداً غير الله سواءً كان صنماً أو غيره لأن هذه المعبودات جميعا لا تعبد إلا للهوى وليس لأدلة ألوهيتها من قدرة أو خلق أو رزق أو تدبير..

بل حتى الذين يدعون أنهم ملحدون أو لا دينيون كما يقال، فهم عبيد لأهوائهم وأسارى لشهواتهم فقد صدق فيهم قوله ﷻ، فجعلوا الهوى لله نداً بل ربما قدموه على الله في الطاعة والمحبة والعياذ بالله.

وفي الإتيان بضمير الغائب المفرد إشارة إلى أن هذا العبد قد شذ عن العموم وخالف الحق فهو منفرد فيما أشرك به، وفي توحيد الهوى زيادة دلالة على أن الأمر تصرف فردي وأنانية ضمير وانغماس في شهوات النفس، فمعبوده هو هواه وحده أما ما يقتضيه الدين أو العقل والحكمة فلا.

وفي التشبيه نذارة شديدة لكل أحد بأن لا يقدم هواه ومراده على مراد الله وأوامره، ويدخل في ذلك الكفار دخولاً أولياً [1]، وقد يتناول الخطاب ضال المسلمين الذين يقدمون أهواءهم وما توارثوه من عادات آباءهم التي ألفوها وتعلقت قلوبهم بها حتى لم يستطيعوا أن يتخلوا عنها ويسلموا قلوبهم لله ويخضعوا جوارحهم لشرعه تعالى ليحققوا الاستسلام الكامل لله والامتثال لشرعه وليحققوا الإيمان الحق كما قال الحق سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

(١) روح المعاني (١٨/ ٢٤٤).

الآية الثالثة: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل[1] في قوله : ﴿كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

المشبه: الكفار.

المشبه به: الأنعام.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: البلادة وعدم الانتفاع بما يدعوهم الداعي إليه.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَ﴾ أي هل تظن أن أكثر هؤلاء الكفار يسمعون سماع من ينشد الحق أو يعقلون عنك ما تقول لهم.

﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي أن هؤلاء الكفار كالبهائم في سماع النداء وعدم الانتفاع به ثم أخبر أنهم أسوأ حالاً من البهائم التي تعرف صوت سائسها ومتعهدها فتنقاد له أما هم فلا يطيعون ربهم وخالقهم والمتفضل عليهم سبحانه.

ويفصل الطاهر بن عاشور ~ طبيعة وأطراف التشبيه في الآية في قوله: "وجملة ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن ما تقدم من إنكار أنهم يسمعون يثير في نفس السامعين سؤالاً عن نفي فهمهم لما يسمعون مع سلامة حواس

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٢).

السمع منهم، فكان تشبيههم بالأنعام تبييناً للجمع بين حصول اختراق أصوات الدعوة آذانهم مع عدم انتفاعهم بها لعدم تهيئهم للاهتمام بها، فالغرض من التشبيه التقريب والإمكان"[1].

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في التشبيه تقبيح لحال المشركين المعارضين لدعوة الحق حيث سواهم سبحانه وتعالى بالبهائم من حيث أنهم يسمعون صوت المنادي ولا يعقلون حقيقة ما يدعوهم إليه ولا يحاولون أن يتفهموا مراد ذلك الداعي وبالتالي حرموا الانتفاع بما عنده من الخير والهدى.

ثم بين عز وجل أنهم أسوأ حالاً وأقبح مآلاً من تلك البهائم، فإن حالها أنها تسمع صوت الراعي فتعرفه وتستجيب له وتذعن وتنقاد معه حيث شاء، أما هم فيسمعون ولكن لا يعقلون ولا يحرصون على ما فيه نفعهم ولا الانقياد له.

وأما عن مآل تلك الأنعام فإن الله يحشرها فيفصل بينها ثم يأمرها فتكون تراباً[2].

بينما يؤول أولئك الكفرة الفجرة إلى النار وبئس المصير، فبهذا يظهر أن الأنعام خيرٌ منهم حالاً ومآلاً.

ومن آثار التشبيه أن كل من طرق أذنه صوت الحق ثم أعرض عنه فإنه يسلك طريقاً من طرق الضلالة وإن ادعى الصلاح أو الإصلاح، وإن تشدق بالعلم والتمدن

---

(١) التحرير والتنوير - (١٩/ ٣٧).

(٢) روى الحاكم في مستدركه (٣١٨٨) عن أبي هريرة وعن عبد الله بن عمرو } قالا: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابا فعند ذلك (يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا)، وأصل الحديث في صحيح مسلم (٦٦٧٢) مع اختلاف في اللفظ وبدون زيادة (كوني تراباً).

والرقي، والناس في ذلك يتفاوتون وكل بحسبه.

ومن آثار التشبيه أيضاً: أن لفظة ﴿سَبِيلًا﴾ تمييز فيفهم منه أن الكفار شابهوا الأنعام في البلادة والغفلة، وفي الوقت نفسه قد امتازوا عن البهائم -وبئس الميزة- بضلال سعيهم وسوء الحال والمآل كما بينا من قبل.

ومنها كذلك تقرير حقيقة مهمة قد يغفل عنها من يدعو إلى الله في فترة من الفترات، ألا وهي أن أكثر الناس في ضلال وأنهم لا يهتدون، فعلى الداعية أن يحرص ألا تذهب نفسه عليهم حسرات فمردهم إلى الله وحسابهم عليه، وهذا المعنى قريب من قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [فاطر:٨]، وقوله ﷻ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف:٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص:٥٦] وفي ذلك كله تسلية لرسول الله ﷺ وكل من يقتفي أثره في دعوة الخلق إلى الحق بأن لا يجزعوا لإعراض الناس وكثرة الهالكين، وقد صاغ هذا المفهوم رسول الله ﷺ بقوله: (إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِائَةِ لا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً).(1)

ومن الفوائد المتعلقة بالآية: أن الله ربط بين ضلال الضالين وسبيل البهائم في الدنيا والآخرة وفي كل مرة يخبر القرآن أن هذه البهائم أهدى من أولئك طريقاً وأحسن منهم سبيلاً وخير عند الله مرداً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد:١٢].

---

(١) رواه البخاري في باب رفع الأمانة (٦٤٩٨) فتح الباري (١١/ ٣٣٣)، ومسلم (٦٥٩١).

والخلاصة من مجموع التشبيهات: أن هؤلاء شابهوا البهائم في البلادة وانعدام الفهم، مع تفضيل للأنعام عليهم في بعض الوجوه.

الآية الرابعة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان:٤٥].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ، وذلك في قوله ﷻ: ﴿جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

المشبه: الشمس.

المشبه به: الدليل الهادي للطريق.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الدلالة على الظل دلالة الهادي للطريق.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي ألم تنظر وتتدبر إلى ما فعله ربك من مده للظل وهو من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: ولو أراد ربك سبحانه أن يجعل هذا الظل مقيماً لا يزول بطلوع الشمس.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي جعلنا الشمس دليلاً يدل على الظل فلولاها ما عرف الظل، يتفرد الطاهربن عاشور ~ في في الإشارة إلى وجود تشبيه في قوله: " والدليل: المرشد إلى الطريق والهادي إليه، فجُعل امتداد الظل لاختلاف مقاديره كامتداد الطريق وعلامات مقادير مثلَ صُوى الطريق، وجعلت الشمس من حيث كانت سبباً في ظهور مقادير الظل كالهادي إلى مَراحلَ، بطريقة التشبيه البليغ".[1]

---

(١) التحرير والتنوير - (١٩/ ٤٢).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

شبه الله ﷻ الشمس حين بزوغها بالدليل الذي يدل على الظل، فكما أن الهادي يخبر السائر أين ينزل من الطريق، كذلك الشمس بتسببها في مقادير امتداد الظل تعرّف المستدل بالظل بأوقات أعماله ليشرع فيها (1).

وهذه آية من آيات الله ونعمة من نعمه يلفت انتباه نبيه ﷺ وكل من يقرأ القرآن بعد إلى إعجازه ومنته فيها.

وهذه من الأدلة على توحيده تبارك وتعالى بعد أن ذكر في الآيات قبلها نزاع المشركين وعتوهم وردهم لما جاء به النبي ﷺ وكثرة لجاجهم، فكان من المناسب الإتيان بهذه الآية ردا على أولئك المكذبين وتسلية لرسول الله ﷺ ولتكون هذه الآية ومثيلاتها رابطاً يربطه بربه ويقوي إيمانه ويشد من عزيمته.

لقد جاء ذكر الظل في الوقت المناسب والمكان المناسب فأما الوقت فهو حين كذب المشركون وتولوا وتكبروا، وأما المكان فهو هجير مكة وجبالها..

إن ذكر الظل بما يوحي به من الراحة والسكون ليبعث على زيادة التقوى للمنعم والشكر له وزرع الطمأنينة والثقة في قلب رسول الله المنهك من التصدي لأولئك العتاة الذين لم ينله منهم إلا الجحود والعصيان.

يقول صاحب الظلال ~ : "إن هذا القرآن الذي كان يتنزل على قلب رسول الله ﷺ كان هو البلسم المريح، والظل الظليل، والروح المحيي في هجير الكفر والجحود والعصيان.. وإن الظل وبخاصة في هجير الصحراء المحرق لهو المشهد الذي يتناسق مع روح السورة كلها وما فيها من أنداء وظلال" (2).

ومن آثار التشبيه: لو أن الله أبقى ذلك الظل ممدوداً أبداً فلم تطلع الشمس، أو

---

(1) التحرير والتنوير (١٩/ ٤٢).

(2) في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٦٩).

أنه أبقى الشمس ساطعة أبداً، أو جعل الأوقات كلها ظلاماً فلا شمس ولا ظل، لفسدت مصالح الناس ولتعطل الكثير من أمور معايشهم قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص:٧١-٧٢].

ومن الآثار أيضاً: في قوله ﴿رَبِّكَ﴾ تذكير بعظمته ﷻ فهو الرب المتصرف القدير على فعل ما سيكون الحديث عنه، أما آلهتهم المزعومة فلا تملك لأنفسها شيئاً فضلاً عن أن تصنع أو تبدع شيئاً من هذه الأمور العظيمة من مد الظل والتصرف في الشمس وما بعد ذلك من التصرفات الهائلة في نواميس الكون المدرك، والمحسوس منها وما هو بخلاف ذلك.

وفي قوله سبحانه ﴿جَعَلْنَا﴾ تذكير آخر بأن هذا الأمر كسابقه وما سيأتي بعده كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء ولا يستطيع أحد من خلقه أن يدركها أو يتصرف فيها بشيء.

الآية الخامسة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان:٤٧].

وصف التشبيه وتحليله:

في هذه الآية ثلاثة تشبيهات بليغة بيانها على النحو التالي:

نوع التشبيهات: تشبيهات بليغة (١).

المشبه الأول: الليل.

المشبه به الأول: اللباس.

أداة التشبيه الأولى: محذوفة.

وجه الشبه: الستر.

المشبه الثاني: النوم.

المشبه به الثاني: السبات.

أداة التشبيه الثانية: محذوفة.

وجه الشبه: الراحة والسكون.

المشبه الثالث: النهار.

المشبه به الثالث: النشور.

أداة التشبيه الثالثة: محذوفة.

وجه الشبه: الحركة بعد سكون.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه في التشبيهات الثلاثة.

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٨)، وانظر التحرير والتنوير (١٩/ ٤٤)، (١٩/ ٤٥).

تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ﴾ أي جعله ساتراً كاللباس في ستره الجسد.

﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا ﴾ أي أنه ﷻ جعل النوم راحة للأبدان بعد أن كدحت ونصبت في اليقظة (1).

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ جعل النهار وقتاً ليخرج فيه الناس لابتغاء الرزق والضرب في الأرض.

ويفصل الطاهر بن عاشور ~ هذه التشبيهات المجتمعة في الآية في قوله " ﴿لِبَاسًا ﴾ مشبه به على طريقة التشبيه البليغ، أي ساتراً لكم يسْتر بعضَكم عن بعض. وفي هذا الستر مِنَن كثيرة لقضاء الحوائج التي يجب إخفاؤها..

وقد جمعت الآية استدلالاً وامتناناً فهي دليل على عظم قدرة الخالق، وهي أيضاً تذكير بنعمة، فإن في اختلاف الليل والنهار آيات جمّةً لما يدل عليه حصول الظلمة من دِقة نظام دوران الأرض حول الشمس ومن دقة نظام خلق الشمس، ولِما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس، ثم ما في خلال ذلك من نظام النوم المناسب للظلمة حين ترتخي أعصاب الناس فيحصل لهم بالنوم تجدد نشاطهم، ومن الاستعانة على التستر بظلمة الليل ومن نظام النهار من تجدد النشاط وانبعاث الناس للعمل وسآمتهم من الدعة، مع ما هو ملائم لذلك من النور الذي به إبصار ما يقصده العاملون، والسبات له معان متعددة في اللغة ناشئة عن التوسع في مادة السبت وهو القطع. وأنسب المعاني بمقام الامتنان هو معنى الراحة وإن كان في كلا المعنيين اعتبار بدقيق صنع الله تعالى. وفسر الزمخشري السبات بالموت على طريقة التشبيه البليغ ناظراً في ذلك إلى مقابلته بقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾.

---

(1) فسر الزمخشري ~ السبات بالموت لأن فيه انقطاع عن الحياة وأبى أن يكون المراد هو الراحة لمقابلة النشور له انظر الكشاف (٣/ ٢٨٨، ٢٨٩). وهو الأقرب للصواب والله أعلم.

وإعادة فعل ﴿جَعَلَ﴾ في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ دون أن يعاد في قوله ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ مشعرة بأنه تنبيه إلى أنه جعلٌ مخالف لجَعْل الليل لباساً

وذلك أنه أخبر عنه بقوله ﴿نُشُورًا﴾ ، والنشور: بعث الأموات، وهو إدماج للتذكير بالبعث وتعريض بالاستدلال على من أحالوه، بتقريبه بالهبوب في النهار.

والنشور: الحياة بعد الموت، وتقدم قريباً عند قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝٤٠﴾ [الفرقان:٤٠] وهو هنا يحتمل معنيين أن يكون مراداً به البروز والانتشار فيكون ضد اللباس في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ فيكون الإخبار به عن النهار حقيقياً، والمنّة في أن النهار ينتشر فيه الناس لحوائجهم واكتسابهم. ويحتمل أن يكون مراداً به بعث الأجساد بعد موتها فيكون الإخبار على طريقة التشبيه البليغ".(١)

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

يظهر في هذه التشبيهات الثلاثة بديع صنع الله ﷻ، وآثار قدرته وعظيم منته على عباده وسعة رحمته بهم، فقد جعل لهم هذا الليل وكأنه اللباس الذي يستر البدن فتقضى فيه الكثير من الأمور التي ينبغي سترها، فترى الكون متشحاً بالظلام وكأنه لباس ساتر قد لفت به الأرض وتلك نعمة وأي نعمة.

ومن النعم المترتبة على النعمة المتقدمة أن جعل النوم كأنه الموت الذي يقطع الناس عن علائق الدنيا فيتوقف به ركض الإنسان الدؤوب في تحصيل المصالح وابتغاء الأرزاق، فإذا ما نظرت إلى النائم حال نومه بدا لك وكأنه ميت فعلاً بعد أن كان يملأ الأرض حركة وضجيجاً، وتبين لك أيضاً كم هو ضعيف هذا الإنسان وكم هو محتاج لنعم ربه ومن أعظمها النوم.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١٩/ ٤٤- ٤٦).

﴿٦٠﴾ [الأنعام:٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢].

ويشهد له أيضاً حديث النبي ﷺ: (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) [(١)].

وأما التشبيه الثالث فقد أعاد فيه الفعل ﴿جَعَلَ﴾ ليعرف أن هذا الجعل مختلف عن الأول الذي في الليل والنوم، بل هو مقابل له [(٢)].

وفيه شبه النهار بالنشور وهو القيام بعد الموت فالإنسان حين يستيقظ من نومه فيسارع إلى ما اعتاد فعله في أوقات يقظته من معالجة أمور معيشته كأنه الميت الذي أحياه الله فقام يسعى إلى المحشر.

ففي التشبيه امتنان على الناس بهذه النعم العظيمة التي لولاها ما استقام عيش ولا كانت حياة فالله العليم الحكيم هو الذي خلق الليل والنهار وقدرهما بحكمته البالغة على النحو الذي تصلح به حياة العباد كما في قوله تعالى في أواخر هذه السورة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان:٦٢].

ومن آثار التشبيه أن فيه تذكير للناس بالموت والحياة وأن الإنسان كما أنه يغدوا في هذه الدنيا ويروح ثم يتعب فينام ثم يستيقظ بعد ذلك، فكذلك هو يدرج ويتقلب في جنبات الأرض ثم يأتي اليوم الذي يموت فيه وبعد ذلك يأتي اليوم الأكبر يوم

---

(١) البخاري في باب السؤال بأسماء الله الحسنى والاستعاذة بها (٧٣٩٣)، فتح الباري (١٣/ ٣٧٨)، ومسلم (٦٩٩١)، وهذه الأدلة كلها مما يقوي قول الزمخشري المتقدم.

(٢) التحرير والتنوير (١٩/ ٤٥).

البعث والنشور.

قال ابن عاشور ~ : "وقد جُعل مَدُّ الظل وقبْضُه تمثيلاً لحكمة التدريج في التكوينات الإلهية والعدول بها عن الطَفْرَة في الإيجاد ليكون هذا التمثيل بمنزلة كبرَى القياسِ للتدليل على أن تنزيل القرآن منجَّماً جارٍ على حكمة التدرج لأنه أمكن في حصول المقصود، وذلك ما دل عليه قوله سابقاً ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان:٣٢]، فكان في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ زيادةٌ في التعليل على ما في قوله ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾

ويستتبع هذا إيماءً إلى تمثيل نزول القرآن بظهور شمس في المواضع التي كانت مظلَّلة إذ قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فإن حال الناس في الضلالة قبل نزول القرآن تشبَّه بحال امتداد ظلمة الظل، وصار ما كان مظلّلاً ضاحياً بالشمس وكان زوال ذلك الظل تدريجاً حتى ينعدم الفيء.

فنظم الآية بما اشتمل عليه من التمثيل أفاد تمثيل هيئة تنزيل القرآن منجَّماً بهيئة مدّ الظل مدرّجاً ولو شاء لجعله ساكناً" (١).

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٣٨، ٣٩).

الآية السادسة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾.

المشبه: البلدة.

المشبه به: الميت.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: عدم النفع والحركة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ أي أنه يرسلها سبحانه قبيل المطر فتكون بمثابة البشارة به.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ مطهّراً يطهر الحدث والخبث وسائر الأدناس.

﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ وكذلك يحيي به الأرض بذلك الماء بعد أن تكون قد ماتت أو كادت.

﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا﴾ إبلاً وبقراً وغنماً وأناسي جمع إنسي.

قال الطاهر ابن عاشور ~ : "... وأحسن من هذا أنه أريد به اسم الميت، ووصف البلدة به وصف على معنى التشبيه البليغ".(١)

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٤٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

شبه الله الأرض الجدباء المحرومة من نعمة السماء بالميت الذي لا روح فيه ولا حياة، والحياة إنما تكون بهذا الماء الطهور المبارك الذي يرحم به الله أهل الأرض كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء:٣٠].

فمن آثار التشبيه ما يلي:

١) التذكير بهذه النعمة العظيمة التي عليها قوام حياة الناس والدواب ونبات الأرض، بل لا يعيش بدونها حي من الأحياء كما يفهم من الآية.

٢) أنه سبحانه لما ذكر هذه الآية وما قبلها في سياق الامتنان، فإن ذلك يقتضي شكر المنان على منته وحمد المنعم على نعمته واستحضار عظيم فضله عليهم وواسع رحمته ولطفه بهم، بأن هيأ لهم هذا الماء الذي فيه حياتهم وحياة ما يملكون.

٣) أن هذه الآية أيضاً جاءت بعد الآيات التي ذكرت تكذيب المشركين، فهي من ضمن الدلائل على عظيم صنعه وبديع خلقه، ومن موجبات توحيده وربوبيته ﷻ التي يدمغ بها حجج المشركين الذين جعلوا له أنداداً لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً، ففيها تذكير بأنه كما أحيا الأرض بالماء فسوف يحي الموتى كما في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧]، وقوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠]. وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت:٣٩].

٤) الترتيب المناسب لما يحيى بهذا الماء فذكر الأرض أولاً والتي تخرج النبات وتتفجر منها العيون ثم ذكر الأنعام ثانياً لأنها تتغذى بذلك النبات، ثم ثلث بالناس لأنهم يأكلون من تلك الأنعام.

الآية السابعة: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان:٦١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾.

المشبه: الشمس.

المشبه به: السراج.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: قوة الإضاءة.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ تعاظم الله وتقدس الذي جعل البروج وقيل البروج هي النجوم الكبار [1].

وقيل البروج هي القصور في السماء لأنه المتعارف عليه عند العرب كما قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨] [2].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ أي أنه سبحانه جعل في السماء من ضمن ما جعل الشمس المضيئة كالسراج وجعل فيها أيضاً القمر المنير وخصهما بالذكر من بين الكواكب لفضيلتهما.

ويوضح ابن عاشور ~ طبيعة التشبيه في قوله: " والكلام جار على التشبيه

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٢٨٨).

(٢) واختار هذا القول ابن جرير، المصدر السابق، وهو الأقرب للصواب والله تعالى أعلم.

البليغ لأن حقيقة السراج: المصباح الزاهر الضياء. والمقصود: أنه جعل الشمس مزيلة للظلمة كالسراج، أو خلق النجوم كالسراج في التلألؤ وحسن المنظر". (١)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في هذا التشبيه إبراز لمزية الشمس على سائر الكواكب وفضيلتها بما جعل فيها سبحانه من إضاءة قوية ليست في غيرها فهي للكواكب كالسراج للبيت، وفضل السراج في البيت بينٌ ظاهر فليس يرى شيء بدونه، وقد تقدم بيان فضل الشمس في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان:٤٥].

فهي دليل على الظل وعلى غيره..

وفي الآية دليل على عظيم خلق الله ﷻ، فهو الذي أبدع هذا الكون الهائل بما فيه مخلوقات عظيمة وعجيبة وهيأ لها من الأنظمة ما يكون سبباً في بقائها إلى انتهاء الأجل الذي ضربه سبحانه لها.

وفيها أيضاً دعوة للإنسان ليتفكر في خلق الله عسى ذلك التفكر أن يقوده إلى الحق ومعرفة الخالق البارئ ﷻ ولذلك قال ﴿تَبَارَكَ﴾ ثم نسب الخلق إلى نفسه سبحانه.

وإن كانت هذه دعوة ضمنية للتفكر ثم الإيمان بالخالق فإن هناك دعوة صريحة للأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٦٤).

الآية الثامنة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان:٧٣].

۞ وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

المشبه: المستمعين للآيات.

المشبه به: الصم العمي.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: عدم سماع الآيات والانتفاع بها.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

۞ تفسير الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي إذا وعظوا بالقرآن.

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي لم يسقطوا على الآيات كالصم العمي بل خرّوا سامعين ناظرين منتفعين.

ويتفرد الطاهر بن عاشور ~ في تبين التشبيه في تصوير عدم الخرور كما لو كانوا صما وعميانا في قوله: " ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ حالان من ضمير ﴿يَخِرُّوا﴾، مراد بهما التشبيه بحذف حرف التشبيه، أي يخِرّون كالصمّ والعُميان في عدم الانتفاع بالمسموع من الآيات والمبصرَ منها مما يُذكَّرون به. فالنفي على هذا منصبٌّ إلى الفعل وإلى قيده، وهو استعمال كثير في الكلام. وهذا الوجه أوجه".[1]

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٨١).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

نزه الله المؤمنين من أن يصموا آذانهم أو تعمى عيونهم عن سماع الذكر ورؤية الحق ففي التشبيه تكريم لعباد الرحمن عن تلك الأخلاق الذميمة، لأن قلوبهم معلقة ببارئها، منيبة إليه محبة له ولما يأتي منه، فلا تطرب آذانهم لشيء طربها للقرآن، ولا تلتذ أعينهم بشيء أعظم من آيات الرحمن، ولا تطمئن قلوبهم بشيء طمأنينتها بذكره سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨].

وكما أن في الآية الثناء على عباد الرحمن، فإن فيها كذلك تعريضاً بأولياء الشيطان الذين إذا تليت عليهم آيات الله خروا عليها صماً وعمياناً، فلا ترتفع بها رؤوسهم ولا تنشرح لها صدورهم بل يلوون ويعرضون مشمئزين كما قال الله ﷻ واصفاً حالهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر:٤٥].

فلديهم الاستعداد لقبول أي داعي وتلبية أي نداء والفرح بكل ذكر دنيوي رخيص، أما داعي الله الذي يدعوهم إلى ما هو خير وهدى، داعي الرحمن الذي في إجابته سعادة الدارين، فهم منه في معزل وبين قلوبهم وبينه حجاب الكبر والضلال نسأل الله العافية.

ولهذا كتب الله عليهم الشقاء وحرمهم من كل خير بسبب كبرهم على تعاليم الدين وبطرهم الحق كما قال الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف:١٤٦].

الآية التاسعة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

المشبه: عباد الرحمن.

المشبه به: الإمام.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الصلاح والقدوة.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي أنهم يدعون الله بأن يجعل أزواجهم لهم قرة أعين بأن يروهم مطيعين له سبحانه.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي اجعلنا أئمة يقتدى بهم في الخير.

قال ابن عاشور ~ : وأُطلق الإمام على القدوة تشبيهاً بالمثال والقالَب، وغلب ذلك فصار الإمام بمعنى القدوة...إلى أن قال: ووقع الإخبار بإماماً وهو مفرد عن ضمير جماعة المتكلمين لأن المقصود أن يكون كل واحد منهم إماماً يُقتَدى به، فالكلام على التوزيع، أو أريد من إمام معناه الحقيقي وجرى الكلام على التشبيه البليغ.(1)

(١) القول بأنه تشبيه مما تفرد به ابن عاشور وهو قول يحتمله المعنى وإن كان يخالف قول جمهور المفسرين الذين قالوا أنه على ظاهره أي أن المؤمنين سألوا الله أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير، انظر التحرير والتنوير (١٩/ ٨٣).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

في الآية بيان لما يتحلى به عباد الرحمن من حب الخير للغير وما تتوق إليه أنفسهم من تكثير المسلمين والدعوة لإدخال الناس في هذا الدين، فلذلك سألوا الله أن يوفق أزواجهم وأبناءهم لسلوك سبيل الطاعات ليكونوا بذلك قرة أعين لهم في الدنيا والآخرة.

ثم ازدادوا رغبة في الخير فدعوا لأنفسهم ببلوغ الغاية في الصلاح والتقى حتى يصبحوا قدوة للعالمين وأسوة للمتقين رغبة في الأجر المترتب للأئمة الهداة ورغبة أيضاً في تكثير المقتدين بهم والداخلين في دين الإسلام بسببهم.

فقد أجتمع لهم ثلاث رغبات هي صلاح أنفسهم وصلاح أزواجهم وذرياتهم وصلاح كل متقٍ يقتدي بهم وهذا مثل دعاء نوح عليه السلام حين قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨].

وقد جاءت ﴿إِمَامًا﴾ بصيغة الإفراد للدلالة على الجنس، وكذلك فإن المفرد يوحي بوحدة القدوة وعدم كثرة المتبوعين وهذا من أهم غايات الدين الحق وهو أيضاً من أهم أسباب النجاح في الحياة على مستوى المجتمع وعلى مستوى الأمة ألا وهو وحدة القيادة وتفرد القدوة فهذا ربنا يقول وله المثل الأعلى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢].

ولهذا تجد كلمة ﴿إِمَامًا﴾ جاءت بالتوحيد حينما كان المعنى عن القدوة وذكر الأتباع والمأمومين كقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤] وآية الفرقان هذه، أما الجمع ﴿أَئِمَّةً﴾ فيذكر في أثناء امتداح أو ذم الموصوف بالإمامة دون سواه، فامتدح الأنبياء وأئمة الهدى فقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء:٧٣]، وقوله في حق أئمة الضلالة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا

يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص:٤١]. والملاحظ أن الإفراد جاء في القرآن في أربعة مواضع وكلها في سياق المدح، بخلاف كلمة ﴿أَئِمَّةً﴾ بالجمع فقد وردت في خمسة مواضع ثلاثة منها للمدح واثنان في سياق الذم والله تعالى أعلم.

المبحث السابع عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة الشعراء

وعددها (٨) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء:٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[1] في قوله تعالى: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾.

المشبه: النبي ﷺ.

المشبه به: باخع نفسه.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: شدة الهم والحزن.

غرض التشبيه: تنزيه المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي قاتلها غمّاً من أجلهم.

﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي لأن أهل مكة لم يؤمنوا..

والمعنى: أشفق على نفسك لا تقتلها غماً وحزنا لعدم إيمان قومك.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

تقدم بيان آثر التشبيه عند الكلام على الآية السادسة من سورة الكهف.

---

(١) تقدم التنبيه على كونه تشبيهاً بليغاً عند الآية السادسة من سورة الكهف.

الآية الثانية: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء:٥٧-٥٩].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مجمل ذكرت الأداة ولم يذكر وجه الشبه وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾.

المشبه: إخراج آل فرعون، أو الكنوز والمقام الكريم.

المشبه به: الإخراج الموصوف آنفاً، المقام الكريم الذي كان لهم في بني إسرائيل.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: تقليب الناس من حال إلى حال.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ أي أخرجنا فرعون وجنوده من مصر ليلحقوا موسى وقومه وقد كانوا في بساتين وأنهار جارية في الدور من النيل.

﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله تعالى منها والمقام الكريم مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي إخراجنا كما وصفنا أو مقام كريم مثل الذي كان فيه فرعون وقومه.

﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وذلك بعد إغراق فرعون وقومه.

ويرى الطاهر بن عاشور تشبيه خروج فرعون بخروج اليهود من مصر، مع الفرق في نهاية فرعون وجنوده بالغرق، ووراثة اليهود لأرض في الشام في قوله: "وضمير: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾ على كل تقدير عائد إلى ما يفهم من المقام، أي أخرجنا

فرعون وجنده. والجنات: جنات النخيل التي كانت على ضفاف النيل. والعيون: منابع تحفر على خِلجان النيل. والكنوز: الأموال المدخرة.

والمقام: أصله محل القيام أو مصدر قَام. والمعنى على الأول: مساكن كريمة، وعلى الثاني: قيامهم في مجتمعهم، والكريم: النفيس في نوعه. وذلك ما كانوا عليه من الأمن والثروة والرفاهية، كل ذلك تركه فرعون وجنوده الذين خرجوا منه لمطاردة بني إسرائيل لأنهم هلكوا فلم يرجعوا إلى شيء مما تركوا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ تقدم الكلام على نظيره عند قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف:٩١]. فهو بمنزلة الاعتراض.

وجملة: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معترضة أيضاً والواو اعتراضية وليست عطفاً لأجزاء القصة لما ستعلمه. والإيراث: جعل أحد وارثاً. وأصله إعطاء مال الميت ويطلق على إعطاء ما كان ملكاً لغير المعطَى (بفتح الطاء) كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣٧]، أي أورثنا بني إسرائيل أرض الشام، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢].

والمعنى: أن الله أرزأ أعداء موسى ما كان لهم من نعيم إذ أهلكهم وأعطى بني إسرائيل خيرات مثلها لم تكن لهم، وليس المراد أنه أعطى بني إسرائيل ما كان بيد فرعون وقومه من الجنات والعيون والكنوز، لأن بني إسرائيل فارقوا أرض مصر حينئذ وما رجعوا إليها كما يدل عليه قوله في سورة الدخان: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان:٢٨] ولا صحة لما يقوله بعض أهل قصص القرآن من أن بني إسرائيل رجعوا فملكوا مصر بعد ذلك، فإن بني إسرائيل لم يملكوا مصر بعد خروجهم منها سائر الدَّهر فلا محيص من صرف الآية عن ظاهرها إلى تأويل يدل عليه التاريخ ويدل عليه ما في سورة الدخان ". (١)

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١٣٣).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

من آثار التشبيه ما يأتي:

١) على أي من المعنيين فإن في التشبيه امتنان على بني إسرائيل بإهلاك عدوهم وبتوريثهم أرضهم وكنوزهم وما كانوا يتقلبون فيه من البساتين الغناء والأنهار الجارية والعيون المتدفقة، وما ذلك إلا لكفر فرعون وقومه، ولم يرثها بنو إسرائيل إلا لإيمانهم بالله واتباعهم لموسى عليه السلام، وهذه سنة الله في الخلق كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص:٥].

٢) وفيه أيضاً تسلية للنبي ﷺ وأصحابه بأن مآل دعوة الحق ودين الإسلام إلى التمكين كما مكن موسى وأصحابه من قبل، فلا يغتم لما قد يصيبه ﷺ من أذى المشركين.

٣) وفيه كذلك تعريض بالمشركين المناوئين لدعوة رسول الله ﷺ، فإن الله الذي أهلك فرعون مع ما أوتي من قوة ومنعة قادر سبحانه على إهلاك كفار قريش وكل من يعادي محمداً ﷺ ويرفض دعوته.

٤) لما كان في التشبيه توريث بني إسرائيل لإيمانهم وفي آيات أخرى لعن بني إسرائيل لكفرهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة:٧٨]. علم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يحابي أحداً وأن العبرة بالإيمان والعمل الصالح، وعلم أيضاً أنه لا صحة لدعوى بني إسرائيل أنهم شعب الله المختار وبتعبير القرآن أبناء الله وأحباؤه، فرد عليهم بمثل هذه الآيات، ورد عليهم أيضًا رداً أكثر صراحة ووضوحاً في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ

يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ
(١٨)﴾ [المائدة:١٨].

الآية الثالثة: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ ﴾ [الشعراء:٦٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مجمل ذكرت فيه أداة التشبيه دون وجه الشبه وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

المشبه: الفرق.

المشبه به: الطود العظيم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: في الصلابة والعظمة والاتساع.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي أن الله أوحى إليه بضرب البحر بالعصا فانشق اثني عشر فرقا أي طريقاً.

﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي أصبح كل فرق مثل الجبل الضخم.

قال ابن جرير الطبري ~ عند تفسير هذه الآية: " فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم، وذُكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط، لكل سبط منهم فرق" ثم ساق أقوال أئمة التفسير الذين قالوا بذلك ومنهم ابن عباس والضحاك وغيرهما.(١)

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٣٥٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد أجرى الله ﷻ لنبيه الكريم الكليم موسى عليه السلام هذه المعجزة العظيمة فأنجاه ومن معه من المؤمنين وللمبالغة في الإعجاز لم يسلك لهم طرقاً ككل الطرق بل أخرج من البحر فرقاً كل واحد منها كالجبل العظيم وفيه الشعاب وسلكت كل قبيلة شعباً.

ففي التشبيه تنبيه إلى أن الفوز والفلاح والتمكين في الأرض إنما يكون في آخر المطاف لعباد الله المؤمنين، وأن خسران الدنيا والآخرة متأكد الوقوع على أعداء الله وأعداء الدين.

ولأن فرعون طغى وبغى وادعى الألوهية، فقد كان من المناسب أن يرى قبيل هلاكه من المعجزات ما يقهره ويريه ذلته ومهانته، فكانت المعجزة على قدر من العظمة بأن أصبحت مياه البحر الهادئة الناعمة من الصلابة والمتانة والعلو كالجبال العالية العظيمة، ثم كانت نهاية ذلك العاتي أن ابتلعته الأمواج العاتية حتى ألقته في قاع البحر لينال الذلة والدناءة الحسية والمعنوية.

وفي التعبير بالطود إيحاء بالعزة والمنعة إضافة إلى ما يفيده من الارتفاع والعلو في مقابل ما نال فرعون من الهوان والذلة والدناءة والصغار وذلك بالسقوط في قاع البحر، وفي ذلك إشارة أخرى إلى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن الذل والهوان على الكافرين.

وتتجلى عظمة الله سبحانه في معجزة موسى وهي تلك العصا التي فرق الله بها بين الحق والباطل ونصر بها أولياءه على أعدائه، وغير الله بها طبائع الأشياء فهي قطعة من خشب كان موسى يتوكأ عليها ولكن المعجزة تكمن في أن يرميها موسى فتلقف ما يأفك السحرة، ويضرب بها الحجر الأصم فتتفجر منه اثنتا عشرة عيناً، ويضرب بها البحر الهائج المائج فإذا به يتحول إلى جبال وصخور وطرقات، والعصا هي العصا لم يتغير فيها شيء ولكنه أمر الله النافذ وقدرته القاهرة، ليعلم فرعون الطاغي الباغي أنه بقوته وجيشه الذي سد الأفق لا يساوون شيئاً ولا يقدرون على شيء إذا جاء نصر الله

للمؤمنين وحقت كلمته على الكافرين ولكن كما قال الله عنهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤].

الآية الرابعة: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء:٦٩-٧٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مجمل ذكر الأداة فيه دون وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾.

المشبه: عبادة قوم إبراهيم للأصنام.

المشبه به: عبادة الآباء للأصنام.

أداة التشبيه: الكاف

وجه الشبه: عبادة ما لا يضر ولا ينفع.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: واتل يا محمد ﷺ على الناس، نبأ إبراهيم الخليل عليه السلام، هذا النبأ الذي فيه بيان بعض من رسالته، ودعوته قومه، ومحاجته إياهم، وإبطاله ما هم عليه.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ وهو على علم بعبادتهم ولكنه أراد تقريرهم بما عندهم من الباطل. ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أي تماثيل نصنعها ثم نبقى مقيمين على عبادتها في كثير من أوقاتنا.

﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ قال لهم إبراهيم عليه السلام فهل يسمعون فيستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويقضون حوائجكم؟ أم هل يجلبون لكم نفعا، أو يملكون للضر عنكم دفعاً؟.

﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وهذا إقرار منهم بعجز هذه الآلهة عن ذلك كله، قال ابن عاشور ~ : " تشبيه فعل الآباء بفعلهم وهو نعت لمصدر محذوف، والتقدير: يفعلون فعلاً كذلك الفعلِ. وقدم الجار والمجرور على ﴿يَفْعَلُونَ﴾ للاهتمام بمدلول اسم الإشارة". (1)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لهذا التشبيه آثار كثيرة منها:

١) هشاشة الحجج التي كان يتعلق بها المشركون وضحالة تفكيرهم وانتكاس المفاهيم لديهم فقد عمدوا إلى أصنام وتماثيل صنعتها أيديهم فعبدوها من دون الله، فأتاهم ابراهيم ﵇ المؤيد بالوحي من السماء والذي قال عنه ربه ﷻ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ [الأنعام:٨٣].

فلم يزل يستدرجهم بالحوار ويقيم عليهم الحجة تلو الحجة حتى أقروا أنها لا تعدوا كونها أصناماً من صنعهم هم، ثم لما لم يستطيعوا أن يقارعوا الحجة بالحجة، لجأوا إلى الحيلة الأخيرة التي تعوّد كل من تُدحَضُ حجته أن يلجأ إليها وهي التعلق بما كان عليه الآباء فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فشبهوا فعل آباءهم بفعلهم ظناً منهم أن في ذلك مبرراً كافياً لما كانوا عليه من الشرك.

٢) بيان أن التعلق بفعل الآباء وإن كانوا على الباطل هو قمة الجهل وتعطيل العقل.

٣) أن الاحتجاج بفعل الآباء لا يصمد أمام الحجة الدامغة والبراهين الساطعة.

٤) أن رد نصوص الوحي في مقابل التمسك بالموروث من الآباء هو الكفر بعينه.

---

(1) التحرير والتنوير (١٩/ ١٤٠).

٥) أن هذه الحجة أو قل الفرية، وإن شئت فسمها الملاذ الأخير لأهل الباطل ليس من الأمور الحادثة في دين الإسلام وإنما هو مما توارثته أمم الكفر وأتباع الهوى والشهوات فيا عجباً أتواصوا به؟! قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف:٢٣].

٦) وهذا وما يشبهه كثير مما ابتليت به أمة محمد ﷺ في هذا الزمان فتجد الكثير من المسلمين قد يقدم قوانين القبيلة أو كلام إمام من الأئمة على كلام الله أو حديث رسول الله ﷺ وربما تعصب لمذهبه وطائفته وهمش إخوانه المسلمين أو ازدراهم أو بالغ فبدعهم وضللهم وكأنه المزكى من الزلل والخالي من الخلل والمعصوم من كل منقصة، ولو أراد أحد الناصحين المتجردين للحق أن يناصحه فإنه في الغالب سيصل معه إلى النهاية نفسها قائلاً بلسان الحال أو المقال ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة:١٠٤].

الآية الخامسة: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء:٧٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾.

المشبه: الأصنام.

المشبه به: العدو.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الكراهية.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي لا أعبد أياً منهم إلا رب العالمين فإنه ربي فأعبده.

وفسر الطاهر بن عاشور ~ طرفي التشبيه بقوله: " وضمير ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ عائد إلى ﴿مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾. وقوله: ﴿وَءَابَآؤُكُمُ﴾ عطف على اسم ﴿كُنتُمْ﴾. والعدوّ: مشتق من العُدوان، وهو الإضرار بالفعل أو القول. والعدوّ: المُبغض، فعدوّ: فعول بمعنى فاعل يُلازم الإفراد والتذكير فلا تلحقه علامات التأنيث (إلا نادراً كقول عمر لنساء من الأنصار: يا عدوات أنفسهن). قال في «الكشاف»: حملاً على المصدر الذي على وزن فَعول كالقبول والولوع.

والأصنام لا إدراك لها فلا توصف بالعداوة. ولذلك فقوله { فإنهم عدو لي } من قبيل التشبيه البليغ، أي هم كالعدوّ لي في أني أُبغِضهم وأُضرهم. وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] أي عاملوه معاملة العدوّ عدوّه. وبهذا الاعتبار جُمع بني قوله ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ وقوله: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

والتعبير عن الأصنام بضمير جمع العقلاء في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ دون (فإنَّها) جرْي على غالب العبارات الجارية بينهم عن الأصنام لأنهم يعتقدونها مدرك ".(1)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

بالنظر إلى قول ابن عاشور المتقدم فإن لهذا التشبيه آثار منها:

١) أن إبراهيم عليه السلام أنزل الآلهة منزلة العدو البغيض الذي لا يُحب بل يُمقت، ولا يُطاع بل يُعصى، ولا يُستسلم له بل يُحارب ويُعارض أمره، وهو كذلك لأن محبته أمر يمنعه النقل ويأباه العقل وترفضه الفطرة، فعبادته أولى بالرفض وطاعته أحق بالمنع.

أما الرب الحق فهو وحده الأحق بالمحبة والعبادة لأنه رب العالمين والمتفضل عليهم والقائم بشؤونهم والعالم بمصالحهم فله الحب كله وله الولاء كله وله وحده العبادة كلها.

٢) وفي التشبيه إرساء لعقيدة الولاء لله والبراءة من أعداءه.

٣) وفيه بيان لما وهب الله خليله إبراهيم عليه السلام وهو إمام الحنفاء من الحكمة وفصل الخطاب وقوة الحجة وبراعة البيان ما يرغم به الخصوم ويدحض افتراءاتهم.

٤) وفيه إن على الداعية إلى الله أن يصدع بالحق ويجادل باللتي هي أحسن وأن يجتهد في اتباع أسلوب القرآن في تقرير الخصوم قبل تقريعهم، فإذا ما أقام الحجة عليهم وكشف عوارهم لأنفسهم والناس ثم إذا لم يقبلوا الحق ويذعنوا للدليل، فعندها يعلن تبرأه مما هم عليه من الباطل.

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١٤٠).

الآية السادسة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء:١٣٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[(١)]

المشبه: خلقهم.

المشبه به: خلق الأولين.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: أسلوب الحياة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي هذا الذي خوفتنا به.

﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ليس إلا اختلاق الأولين وكذبهم، وفي قراءة من ضم الخاء واللام[(٢)] أي ما هذا الذي نحن عليه من إنكار للبعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم، وجوز ابن عاشور ~ أن يكون المعنى: أن حياتنا كحياة الأولين نحيا ثم نموت فهو تشبيه بليغ لهذا.[(٣)]

(١) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٨)، وانظر التحرير والتنوير. (١٩/ ١٧٣).

(٢) قال ابن جرير ~ : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ (إِنْ هَـذَا إِلا خُلُقُ الأوَّلِينَ) بضم الخاء واللام، بمعنى: إن هذا إلا عادة الأوّلين ودينهم، كما قال ابن عباس، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيّهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأوّلين، يعنون بالخلق: عادة الأوّلين. ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل، جامع البيان (١٩/ ٣٧٨، ٣٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٩/ ١٧٣).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد استنفذ هود عليه السلام وسعه في دعوة قومه ونصحهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم من الجنات والعيون وقوة الأجساد، وذكرهم ببعض ذنوبهم وبطشهم وجبروتهم وحذرهم العذاب من الله، وأخبرهم أنه لا يريد منهم جزاءاً ولا شكوراً وإنما هو لهم ناصح مشفق أمين، فكان ردهم غايةً في السوء والعتو وقالوا: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء:١٣٦] والمعنى أنه لن تفيد المواعظ ولن تنفع مهما حاولت فنحن مصرون على ما نحن فيه -أي من الكفر- وأرادوا بذلك تيئيسه عليه السلام ليكف عن نصحهم ثم برروا سبب ذلك بأن قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي حياتنا كحياة الأولين نحيا ثم نموت أو نتخلق بأخلاقهم ونتبع مذهبهم وهذا قريب في المعنى من قول قوم إبراهيم المتقدم ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء:٧٤] أو كما كان يقول مشركو العرب: (إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع)، وقد بينا أن هذه سُنة سوء توارثتها أمم الكفر والضلال متكبراً عن متكبر وجاهلاً عن جاهل.

فالتشبيه في الحقيقة إما أن يكون المراد منه المبالغة في التكذيب وذم ما جاء به الرسول عليه السلام وذلك بادعاء أنه لم يأت بجديد وإنما أساطير الأولين وأخلاقياتهم ودينهم، وإما أن يكون المقصود والله تعالى أعلم هو التبرير لأنفسهم وما هم عليه من التكذيب بتشبيه دينهم بدين السابقين كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف:٢٢].

الآية السابعة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء:١٧٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ. في قوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾.

المشبه: الحجارة التي نزلت عليهم.

المشبه به: المطر.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الكثرة والتنزل من علو.

غرض التشبيه: بيان حال ومقدار المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من السماء من جملة ما أهلكوا به.

﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ أي فبئس المطر مطرهم هذا.

ويفسر الطاهر بن عاشور ~ التشبيه البليغ في الآية بقوله: " والمطر: الماء الذي يسقط من السحاب على الأرض، والإمطار: إنزال المطر، يقال: أمطرت السماء. وسمي ما أصابهم من الحجارة مطراً لأنه نزل عليهم من الجو. وقيل هو من مقذوفات براكين في بلادهم أثارتها زلازل الخسف فهو تشبيه بليغ ".(١)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

تشبيه الحجارة التي أرسلها الله على قوم لوط بالمطر يدل على أمور منها:

١) غزارة عدد هذه الحجارة حتى كأنه بعدد رشات المطر.

---

(١) انظر التحرير والتنوير (١٩/ ١٨١).

٢) أنها نازلة من السماء وهذا يرد قول بعض القائلين إنها كانت حجارة من براكين [1].

٣) في تنكير مطراً إشارة إلى أنه نوع من المطر خلاف المعهود عند الناس.

٤) بالغ في وصف المطر بالسوء فقال ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي بئس المطر مطرهم.

٥) لما جرت العادة أن يكون المطر عنواناً للخير والبركة ورضا الرحمن ويكون مما يستبشر به الناس، كان في تشبيه حجارة العذاب بالمطر نوع تهكم بهم وجزاء من جنس العمل، فإنهم لما قلبوا الفطرة كان عقابهم أن يكون المطر شراً ووبالاً عليهم وعنواناً لسخط الله عليهم.

٦) في قوله سبحانه ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ اسم جنس وفي ذلك إخبار عن قوم لوط وتهديد لكل من كذب الرسل المبشرين المنذِرين.

٧) في قوله تعالى ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ دليل على أن الله لا يعذب حتى يرسل الرسل فيبشرون وينذرون ولا يكون العذاب إلا على من كذب بعد أن بلغته النذارة كما في قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥] وهذا بلا شك هو غاية الرحمة وقمة العدل من الملك العدل سبحانه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران:١٨٢].

---

(١) هذا القول ذكره ابن عاشور بدون إسناد ولم أجده عند أحد من المتقدمين من أئمة التفسير، انظر التحرير والتنوير (١٩/ ١٨١).

الآية الثامنة: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ [الشعراء:٢٠٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مجمل في قوله ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾.

المشبه: شرك وتكذيب واستهزاء المشركين في عهد النبي ﷺ.

المشبه به: الشرك والتكذيب والاستهزاء الذي كان في المشركين الأولين.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: تشابه الأمم في التكذيب.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به.

﴿سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي أدخلنا التكذيب في قلوب كفار مكة بالقرآن الذي أنزل على النبيّ ﷺ.

ويوضح ابن عاشور ~ التشبيه رابطاً بينه وبين نظيره في آية الحجر ١٢ بقوله: "تقدم نظير أول هذه الآية في سورة الحجر، إلاّ أن آية الحجر قيل فيها: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾ وفي هذه الآية قيل ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾ ، والمعنى في الآيتين واحد، والمقصود منهما واحد، فوجه اختيار المضارع في آية الحِجر أنه دال على التجدد لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغٌ مضى وهو الذي أبلغ لشيع الأولين لتقدم ذكرهم فيتوَهَّم أنهم المراد بالمجرمين مع أن المراد كفار قريش. وأما هذه الآية فلم يتقدم فيها ذكر لغير كفار قريش فناسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضَى. وهم مستمرون على عدم الإيمان. وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ إلخ مستأنفة بيانيَّة، أي إن سألت عن استمرار تكذيبهم بالقرآن في حين أنه نزل بلسان عربي مبين فلا تعجَب فكذلك السلوكِ سلكناه في قلوب

المشركين، فهو تشبيه للسلوك المأخوذ من ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾ بنفسه لغرابته. أي هو سلوك لا يشبهه سلوك وهو أنه دخل قلوبهم بإبانته وعَرفوا دلائل صدقه من أخبار علماء بني إسرائيل ومع ذلك لم يؤمنوا به". (١)

أثر التشبيه في تفسير الآية:

تقدم الكلام على هذا التشبيه في الآية الثانية عشرة من سورة الحجر.

(١) انظر التحرير والتنوير. (١٩/ ١٩٤).

المبحث الثامن عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة النمل

وعددها (٣) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي. في قوله تعالى: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

المشبه: العصا.

المشبه به: الجانّ.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: الاهتزاز والحركة.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ أي أنه لما ألقى عصاه رآها تتحرّك وتضطرب.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ أي كأنها حية في خفة حركتها.

﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي لم يرجع.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي لا تخف من العصا فإنه لا يخاف عندي المرسلون من حية وغيرها.

ويشير الطاهر بن عاشور ~ إلى طبيعة التشبيه في تشبيه اهتزاز العصا بالجان في قوله: "والتشبيه في سرعة الاضطراب لأن الحيات خفيفة التحرك، وأما تشبيه العصا بالثعبان في آية ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف:١٠٧] فذلك لضخامة الجرم".[(١)]

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٢٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

جعل الله ﷻ عصا موسى ثعباناً عظيماً ثم شبهه بالجانّ وهو الذكر من الحيات وهو معروف بدقة الحجم والخفة وسرعة الحركة، وفي موضع آخر قال عنها: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه:٢٠]. ولا تعارض لأن الحية اسم يطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير وإطلاق الجان للتي ليست بالعظيمة ولا الصغيرة.(1)

وليس المقصود هنا هو تشبيه العصا بالحية، فقد أصبحت بأمر ربها حية على الحقيقة وهذا هو الإعجاز، ولكن المقصود من التشبيه هو تشبيه حركة الثعبان العظيم بالجان النحيل خفيف الحركة سريعها وذلك بإبراز صفة اضطرابها.

وعبر بالاهتزاز وهو افتعال لبيان عظمة اضطرابها، ولا أدل على ذلك من تولي موسى وهو القوي الشجاع، وما كان عليه السلام ليهرب إلا لما عاينه من هول حركتها فقد رأى أمراً عظيماً مخيفاً.

وفي أمره سبحانه لموسى عليه السلام بأن يلقي عصاه زيادة تأكيد في الإعجاز فهي ليست عصا غريبة عنه بل هي هي، عصاه التي طالما هش بها على غنمه وتوكأ عليها بل إنه سبحانه سأله عنها قبل تحويلها كما في سورة طه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٧-١٨].

فسأله ليقرره ثم بعد ذلك أمره فألقاها فكانت عند ذلك المعجزة أبلغ من لو وقعت على عصا أخرى لم يعرفها موسى من قبل.

وفي قول الحق سبحانه: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ إثبات لبشرية الأنبياء وأنه ينتابهم ما ينتاب البشر من مشاعر كخوف ونحوه وأنهم إنما عصموا من الخطأ في الأمر المناط بهم ألا وهو تبليغ دين الله للناس كما قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ

---

(1) زاد المسير (٦/ ١٥٦).

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

الآية الثانية: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النمل:٦٦].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مؤكد حذفت الأداة منه في قوله تعالى: ﴿عَمُونَ ﴾.

المشبه: عدم العلم بالآخرة.

المشبه به: العمى.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: عدم الإدراك.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ بتشديد الدال والمعنى تتابع علمهم وانتهى وعجز عن معرفة وقتها. وفي قراءة (أدرك) أي تساوى علمهم في ذلك.(١)

ويشهد لهذا المعنى حديث جبريل الطويل المتفق على صحته لما سأل جبريل النبي ﷺ فقال: (فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ) (٢).

(١) انظر جامع البيان (١٩/ ٤٨٧، ٤٨٨).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان (٥٠)، فتح الباري (١/ ١١٤)، وهو أول حديث افتتح به مسلم كتاب الإيمان في صحيحه.

وقال في البحر فأما قراءة من قرأ بالاستفهام، فقال ابن عباس: هو للتقريع بمعنى لم يدرك علمهم على الإنكار عليهم. وقال الزمخشري: هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم، وكذلك قراءة من قرأ: أم ادّرك، وأم تدارك، لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة. انتهى. وقال ابن عطية: هو على معنى الهزء بالكفرة والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم، أي أعلموا أمر الآخرة وادّركها علمهم. وأما قراءة من قرأ =

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها، فالتشبيه هنا تشبيه معقول بمحسوس.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

إن الإيمان بالغيب أصل من أصول الإيمان أصيل، يمتحن الله به العباد ليتبين المصدق من المكذب، وقد أظهر الله للإنسان مما يعينه على إقامة الخلافة في الأرض، وأخفى عنه أشياء كثيرة لا يحتاج إليها ولم يكلفه بالبحث عن مكنوناتها وأشياء أخرى أمره بالتصديق بها دون التطلع لمعرفة كنهها ومن ذلك أمور القيامة من بعث ونشور وصراط وحساب وثواب وعقاب وغير ذلك من أمور الغيب.

وقد أخبر سبحانه أنه قد تفرد بعلم الغيب فلا يطلع أحد من خلقه على شيء منه إلا من شاء وبالقدر الذي يشاء، فأما المؤمنون فيقولون آمنا وصدقنا، وأما الكافرون فيجهلون وينكرون، ولهذا فقد أكد سبحانه في هذه السورة على هذه الحقيقة فقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل:٦٥].

على الخبر، فقال ابن عباس: المعنى: بل تدارك علمهم ما جهلوه في الدنيا، أي علموه في الآخرة، بمعنى: تكامل علمهم في الآخرة بأن كل ما وعدوا به حق، وهذا حقيقة إثبات العلم لهم، لمشاهدتهم عياناً في الآخرة ما وعدوا به غيباً في الدنيا. أنظر البحر المحيط (٧/ ٨٨).

وورد في الآية قراءات كثيرة أوصلها أبو السعود إلى ثنتي عشرة قراءة فقال ~ وقُرِىء بلِ ادَّرك وأصلُه افتعلَ، وبلْ أَأَدَّرك بهمزتينِ، وبلْ آأدْرَك بألفٍ بينَهما، وبلْ دَرَك بالتَّخفيفِ والنَّقلِ، وبَلَ ادَّرك بفتحِ اللامِ وتشديدِ الدَّالِ، وأصلُه بلْ أدّركَ على الاستفهامِ، وبَلَى ادّركَ، وبَلَى أَأَدْرك، وأمْ تَدَارك، وأمِ ادَّرك. فهذهِ ثِنْتا عشرةَ قراءةً فما فيهِ استفهامٌ صريحٌ أو مضمَّنٌ من ذلكَ فهُو إنكارٌ ونفيٌ وما فيهِ بَلَى فإثباتٌ لشعورِهم وتفسيرٌ له بالإدراكِ على وجهِ التَّهكمِ الذي هو أبلغُ وجوهِ النَّفي والإنْكارِ، إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٩٦). والصحيح أن المتواترمنها اثنتان فقط (أدرك، وادارك) النظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٤)

وبعد أن نفى علم الغيب عن الخلق نفياً عاماً، جاءت الآية التالية والتي فيها التشبيه لتخص نفي علم أمر الآخرة وما فيها من أحداث وتصف حال المشركين حيال ذلك، فهم جهلة به، شاكون في تحققه، عمي عن تصور أو إدراك حقيقته.

لقد شبه الله ﷻ الكفار في جهلهم بأمور الآخرة وأخبار القيامة بالعميان الذين لا يرون فلا يدركون، وهذا التشبيه لم يأت إلا بعد أن ذكر درجات سابقة لجهلهم فأخبر أولاً عن تساويهم في عدم إدراك أمور الآخرة ثم أخبر أنهم كانوا في شك وريبة يترددون وقد عُدِم يقينهم بما هم قادمون عليه فيها ثم جاء بالتشبيه ليبلغ الغاية في وصف جهلهم.

قال ابن عاشور ~ : وترتيب هذه الاضرابات الثلاثة ترتيب لتنزيل أحوالهم، فوصفوا أولاً بأنهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بأنهم تلقفوا في شأن الآخرة التي البعث من شؤونها علماً مضطرباً أو جهلاً فخبطوا في شك ومرية، فأعقبهم عمى وضلالة بحيث إن هذه الانتقالات متدرجة متصاعدة حتى لو قيل: بل أدّارك علمهم في الآخرة فهم في شك منها فهم منها عمون لحصل المراد.

ولكن جاءت طريقة التدرج بالإضراب الانتقالي أجزل وأبهج وأروع وأدل على أن كلاً من هذه الأحوال المترتبة جدير بأن يعتبر فيه المعتبر باستقلاله لا بكونه متفرعاً على ما قبله". (1)

وشبههم بالعمي لأن الأعمى لا يرى ما يحدث حوله من خير أو شر، وهؤلاء قد عميت بصائرهم حتى أصبحوا لا يدركون شيئاً من أمور الآخرة ولو خوطبوا بشيء من أخبارها فإنهم لا يعقلون ما يسمعون وبالتالي فإنهم لا يؤمنون بها ولا يعملون لها.

وفي الآية دليل على علم الله السابق بأن هؤلاء الكافرين قد ختم الله على قلوبهم

---

(1) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٣).

وصرفهم عن الهداية فكان الشقاء حليفهم في الدنيا والآخرة.

وفيها أيضًا تيئيس للنبي ﷺ من اهتداء هؤلاء القوم لكي لا يحزن على كفرهم وإعراضهم، بل يرضى بما كتب الله ويسلم وينصرف إلى ما هو أولى وأهم من دعوة إلى الله، وجهاد في سبيل الله، وعمل صالح يقرب إلى الله، ولذلك خاطب الله ﷻ رسوله ﷺ تطييباً لقلبه، وثناءاً على ما قدمه من دعوة، وتنبيهاً له لئلا يلتفت إلى إعراض المعرضين، ولئلا يفت من عضده استكبار المستكبرين، فقال بعد هذه الآية بثلاث آيات: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل:٧٠].

الآية الثالثة: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مؤكد [1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾.

المشبه: مرور الجبال.

المشبه به: مرور السحاب.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: سرعة الحركة وعدم الثبوت.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي تبصرها وقت النفخة فتظنها واقفة مكانها وذلك لعظمها.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي أنها تسير كما يسير السحاب في سرعة تنقله.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي صنع الله ذلك صنعاً فأحكمه.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي قد خبر ما يفعله المؤمن من طاعات وما يفعله الكافر من معاصي فلا يخفى عليه سبحانه من ذلك شيء.

ويوضح الطاهر بن عاشور ~ رأى جمهور السلف في هذا التفسير بقوله: " الذي قاله جمهور المفسرين: إن الآية حكت حادثاً يحصل يوم ينفخ في الصور فجعلوا

(١) : البلاغة فنونها وآدابها فضل حسن عباس. الباب الأول تقسيم التشبيه (١/ ٥٦).

قوله ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ عطفاً على ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [النمل:٨٧] أي ويوم ترى الجبال تحسبها جامدة الخ.. وجعلوا الرؤية بصرية، ومرّ السحاب تشبيهاً لتنقلها بمرّ السحاب في السرعة، وجعلوا اختيار التشبيه بمرور السحاب مقصوداً منه إدماج تشبيه حال الجبال حين ذلك المرور بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها فيكون من معنى قوله ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة:٥]، وجعلوا الخطاب في قوله ﴿وَتَرَى﴾ لغير معين ليعم كل من يرى، وجعلوا معنى هذه الآية في معنى قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ [الكهف:٤٧]. فلما أشكل أن هذه الأحوال تكون قبل يوم الحشر لأن الآيات التي ورد فيها ذكر دك الجبال ونسفها تشير إلى أن ذلك في انتهاء الدنيا عند القارعة وهي النفخة الأولى أو قبيلها، فأجابوا بأنها تندك حينئذ ثم تسير يوم الحشر لقوله ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه:١٠٥] إلى أن قال ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ [طه:١٠٨] لأن الداعي هو إسرافيل (وفيه أن للاتباع أحوالاً كثيرة، وللداعي معاني أيضاً).

وقال بعض المفسرين: هذا مما يكون عند النفخة الأولى وكذلك جميع الآيات التي ذكر فيها نسف الجبال ودكها وبسها. وكأنهم لم يجعلوا عطف ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾ على ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [النمل:٨٧]حتى يتسلط عليه عمل لفظ (يوم) بل يجعلوه من عطف الجملة على الجملة، والواو لا تقتضي ترتيب المعطوف بها مع المعطوف عليه، فهو عطف عبرة على عبرة وإن كانت المذكورة أولى حاصلة ثانياً ".(١)

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٤٧).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

كانت الآيات السابقة لهذه الآية تتحدث عن بعض علامات الساعة من نفخ الصور وخروج الدابة وحشر الناس، ثم ذكر في هذه الآية ما يحدث من تسيير الجبال بسرعة السحاب في يوم الحساب، ولكن لعظمة تلك الجبال تبدو للناس وكأنها واقفة لا تتحرك، والحقيقة أنها قد سيرت، بل ينسفها ربنا بعد ذلك نسفاً حتى تسوى بالأرض كما جاء في آيات أخرى نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

وقد شبه الله ﷻ الجبال في سرعة حركتها بالسحاب الذي تسيره الريح بين السماء والأرض، ولئن كان وجه الشبه المتبادر للذهن والمفهوم من قوله: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ هو سرعة الحركة، فإن هنالك وجه شبه آخر وهو الهيئة التي يكون عليها السحاب من ضعف وتفرق لجزيئاته وخفة في وزنه وسهولة التحكم فيه حتى أن الريح لتنقله من مكان إلى مكان، وكذلك تصبح الجبال في يوم القيامة متصفةً بهذه الصفات ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة:٥]. ليصور الجبال وكأنها الصوف المنفوش في الذهاب والتمزق وهذا المعنى قريب من معنى التشبيه بالسحاب.

وهناك لطيفة أخرى تفهم من التشبيه وهي أن الأصل في الجبال أنها مثال للثبات، بل أن الله ﷻ أخبر أنها هي الرواسي التي تمسك الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل:١٥]، وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل:٦١]. فإذا كانت الجبال هي أثبت شيء على الأرض بل هي الدعائم التي تمسكها ثم يجعلها الله يوم القيامة في الخفة والحركة كالسحاب الخفيف الذي تتلاعب به الريح كيف شاءت، فإن ذلك يدل على عظمة قدرته ﷻ، ويدل على عظمة أهوال يوم القيامة وتبدل نواميس

الكون، وفيه أيضاً إشارة إلى أن ما هو دون الجبال في الخلقة أولى بالزوال والاضمحلال.

ومما يدل على تجلي عظمة الله في الآية وتحديه لكل ندٍ مزعوم أن يفعل شيئاً من ذلك، قوله ﷻ بعد هذا التشبيه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ولذلك فإنك تجد التحدي نفسه ولكن بصورة أشد وضوحاً في آية شبيهة بهذه الآية في معناها وهي قوله جل وعلا: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان:١٠-١١].

ثم ختم الآية بما يقتضيه المقام من التذكير بواسع علمه سبحانه وإحاطته الكاملة بجميع خلقه وما يصدر منهم من أفعال، خيراً كانت أو شراً، فكما أنه يسير الجبال ويغير معالم الكون الهائلة ويتحكم في نظامه البديع، فهو كذلك رقيب وخبير بدقائق الأمور من خلقه فقال عز من قائل: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فسبحان من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وهذا التذكير منه ﷻ بواسع علمه وعظمة إحاطته ينبغي أن يورث العبد المؤمن مراقبةً لله، وسعياً في مراضيه ومحابه، واجتهاداً فيما يقرب للفوز بجنته، وأن يورثه أيضاً خوفاً منه وخشية، وابتعاداً عن كل ما يسخطه ﷻ.

المبحث التاسع عشر: التشبيهات القرآنية في

سورة القصص

وعددها (٥) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصص:٦١].

وصف التشبيه وتحليله:

في هذه الآية التشبيه منفي.

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي في قوله تعالى: ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ﴾.

المشبه: المؤمن الموعود بالجنة.

المشبه به: الكافر المنعم في الدنيا المتوعد بالنار في الآخرة.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: المتاع والنعيم.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي هل من وعدناه بالجنة فهو صائر إليها[1].

---

(١) الذي عليه جمهور المفسرين أنها عامة في كل مؤمن وكافر وهذا اختيار ابن جرير ~ ، وإن كان هنالك من قال أنها نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل مثل مجاهد. وعن مجاهد أيضاً أنها نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل لعنه الله انظر هذه الأقوال في جامع البيان (١٩/ ٦٠٥).

وأخرج ابن أبي حاتم هذا القول عن السدي.(١٧٧٨٣، ١٧٧٨٦).

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير قولاً رابعاً أنها في عمار والوليد بن المغيرة ونسبه إلى السدي، زاد المسير (٦/ ٢٣٤)، ولعل اختيار ابن جرير الأقرب للصواب لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والله تعالى أعلم.

﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ مثل الذي متعه الله في الدنيا المتاع القليل الزائل.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ أي يوم القيامة هو من المحضرين النار والمقصود من الاستفهام الإنكار فلا يستوي الأوّل المؤمن والثاني الكافر.

ويبين الطاهر بن عاشور ~ عدم المماثلة بين طرفي التشبيه هنا بقوله: "والاستفهام مستعمل في إنكار المشابهة والمماثلة التي أفادها كاف التشبيه فالمعنى أن الفريقين ليسوا سواء إذ لا يستوي أهل نعيم عاجل زائل وأهل نعيم آجل خالد".[1]

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لما تذرع المشركون بالخوف من قبائل العرب إن هم آمنوا بالنبي ﷺ أن يقاتلوهم ويناصبوهم العداء ويتخطفوهم من أرضهم، جاء الرد من الله ﷻ سريعاً فذكّرهم أنه سبحانه قد حماهم بسكنى الحرم فهو البلد الحرام الآمن أهله، الطيبات ثمراته، المباركة سكناه وقد جربوا ذلك، فكيف يحفظهم في بلده الحرام وهم على الكفر ثم يسلبهم الأمن ويجعلهم فريسة لأعدائهم إذا أسلموا واتبعوا هداه؟! فهذا لا يكون ولذلك قال سبحانه: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص:٥٧] ثم أعقبه برد آخر استدل فيه بأخبار الهالكين من السابقين الذين كان سبب هلاكهم هو التكذيب بالباطل وبطر الحق فقال ﷻ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص:٥٨]، ثم نفى الظلم عن نفسه سبحانه حين أخبرهم أنه لا يعذب حتى يُعذِر فقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص:٥٩]، ثم بين لهم أن ما هم فيه وما يتشبثون به من الدنيا وزخرفها أنما هو متاع قليل وزاد زائل وأن ما عند الله خير للمصدقين وأدوم

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٥٥).

فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [القصص:٦٠] ثم اختتم هذه الردود المتتالية على دعواهم الباطلة بنفي الشبه بين المؤمن الموعود بالنعيم والكافر المتلذذ بالمتاع الدنيوي الزائل ثم يقاد بعد ذلك إلى نار الجحيم فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصص:٦١].

فهذه الآية تنفي أن يكون هناك شبه بين المؤمن المصدق بوعد الله ووعيده العامل للآخرة، وبين الكافر المعرض الذي اتبع هواه وأخلد لمتاع دنياه فشتان بين الفريقين، فأهل الإيمان قد تصيبهم المصائب ويمسهم الضر وينالهم الأذى في دنيا الأذى لكن، ذلك كله يهون عندهم إذا تذكروا الوعد الحق الذي وعدهم ربهم الحق سبحانه فلا يزيدهم ذلك إلا إيمانا وتسليماً وصبراً ورضاً حتى يلقوا ربهم فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله تبارك وتعالى، وأما أهل الكفر فإنهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل البهائم وتتمتع ظناً منهم أن لا متاع بعد متاع الدنيا هذا، ثم لا تزال تلك حالهم حتى يلقوا ربهم فيجازيهم بعدله ويمضي فيهم وعيده ﷻ.

وفي نهاية المطاف يخبرنا تبارك وتعالى عن تحقق الوعد والوعيد كما في قوله سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف:٤٤-٤٥].

ومن آثار التشبيه أن مقياس التفاضل بين الناس ليس -كما يظنه الكفار- مبنياً على ما يظفر به العبد من لعاعة الدنيا الحقيرة ومتاعها القليل والزائل والمنغص، ولكنه مبني على المقياس الأخروي العادل والصادق ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥]. ولذلك لما ادّعى أبو سفيان المساواة يوم أحد وقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال: أجابه عمر رضي الله عنه بقوله:

(لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار).(١)

ومن الآثار كثرة المؤكدات اللغوية والمعنوية في الآية التي تفيد تحقق وقوع الوعد والوعيد ففي جانب المؤمن جاءت الجملة الاسمية وهي مؤكدة، وكذلك إضافة الوعد إليه سبحانه لتعظيمه وتأكيد تحققه فوعده الحق، ثم في قوله ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ جاء بضمير الفصل للتأكيد وكلمة لاقيه بمعنى أنه سيلقاه لا محالة.

وفي جانب الكافر قال: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ فهذه جملة اسمية أيضاً، وضمير الفصل كذلك، وفي قوله ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ دلالة على أنه يساق إلى جهنم مرغماً، فهو لا يحضر بنفسه ولا يأتيها راغباً بل يُكره على ذلك إكراهاً وما ذلك إلا لما عاينه من سوء المصير.

(١) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (٢٤٧٨)، والحاكم في مستدركه (٣١١٩)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني (٢٥٨).

الآية الثانية: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص:٦٢-٦٣].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي وذلك في قوله تعالى: ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾.

المشبه: إغواء الذين حق عليهم القول لأتباعهم.

المشبه به: غواية الذين حق عليهم القول على أيدي أسلافهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: تلقي الغواية من سابقيهم.

غرض التشبيه: تبيين حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي أن الله ينادي الذين أشركوا به ﷻ يوم القيامة ليقررهم بأعمالهم.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيسألهم عن أولئك الشركاء وليس له شريك سبحانه ولكن تنزلاً منه وخطاب لهم بحسب زعمهم، فأين هم؟ وأين ما كنتم تدعون من نفعهم؟

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ وهذا إقرار من رؤساء الكفر وقادة الضلالة بالإغواء والغواية.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي أننا أغوينا أتباعنا هؤلاء كما أغوانا سادتنا ورؤساءنا من قبل.

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي نحن نبرأ إليك من عبادتهم لنا فإنهم إنما كانوا يعبدون الشياطين.

ويشرح الطاهر بن عاشور ~ التشبيه ليبين طبيعة الإغوائين بقوله: "و﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ صفة لمصدر، أي إغواء يوقع في نفوسهم غيّاً مثل الغي الذي في قلوبنا. ووجه الشبه في أنهم تلقوا الغواية من غيرهم فأفاد التشبيه أن المجيبين أغواهم مُغوون قبلهم، وهم يحسبون هذا الجواب يدفع التبعة عنهم ويتوهمون أن السير على قدم الغاوين يبرر الغواية..".[(1)]

أثر التشبيه في تفسير الآية:

ينادي ربنا ﷻ المشركين يوم القيامة ليقررهم بجرمهم وليعلموا عاقبة جهلهم وإصرارهم على الشرك فيتنزل في الخطاب معهم ويقول أين شركائي؟ وليس له شريك.

أين ذواتهم؟ أين نفعهم؟ وأين ضرهم؟

"ثم يتولى الإجابة رؤوسا الكفر وأساطين الشرك مع أن السؤال موجه للأتباع، إما لتفطُّنهم أنَّ السؤال عنهم لاستحضارِهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأنَّ العَبَدةَ سيقولون: هؤلاءِ أضلُّونا، وإمَّا لأنَّ العبَدَة قد قالوه اعتذاراً وهؤلاء إنَّما قالوا ما قالوا ردّاً لقولِهم إلا أنَّه لم يُحكَ قولُ العَبَدة إيجازاً لظهوره"[(2)].

ولأن الجميع في موقفٍ لا يستطيعون فيه أن يكتموا الله حديثاً، فهم لا يملكون إلا الإقرار ومحاولة الاعتذار، فلم يجدوا ما يعتذرون به إلا أن قالوا إننا أغوينا هؤلاء الأتباع كما أغوانا أسلافنا من قبل، أو إننا لم نكرههم على الغواية بل كانت باختيارهم واختيارنا.

---

(١) التحرير والتنوير(٢٠/ ١٥٨-١٥٩).

(٢) إرشاد العقل السليم بتصرف يسير (٧/ ٢١).

ثم أعلنوا تبرأهم من شرك العبدة في وقت لا ينفعهم التبرؤ ثم نسبوا عبادة الأتباع للشياطين والأصنام أما هم فهم من ذلك براء، وظنوا أن تلك التبريرات والأعذار تغني عنهم من عذاب الله شيئاً، ولكن هيهات هيهات فقد حق القول عليهم باستحقاق النار كما في صدر الآية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾.

وفي ابتداء كلامهم بقولهم ربنا استرحام واستعطاف وإقرار بربوبيته وحده ليقدموا ذلك بين يدي معذرتهم ثم أكدوا ذلك بتبرئهم من شرك الأتباع في آخر الآية، وهذا وإن كان من كلام أئمة الكفر، وإن كان لن ينفعهم عند الله لكن في أسلوبهم هذا درس للمسلم -وهو الأولى بحسن الأدب- بأن يقدم بين يدي دعاءه تعظيم الله والثناء عليه بما هو أهله فهو سبحانه أهل الثناء والمجد وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، فينبغي أن يكون العبد المؤمن أكثر الناس خشية لله وحباً له وتعظيماً لشأنه.

وفي تبرؤ المتبوعين من الأتباع دليل على أن أصحاب السوء ورفقاء المعصية وأخلاء الشرك، لا يُنتَفع بهم وأن ضررهم أكثر من نفعهم وأنهم سرعان ما يتخلى بعضهم عن بعض عند أقرب نازلة وأهون مصيبة كما قال عنهم ﷻ: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧]، ولا غرابة فإن أصحاب السوء يلومون بعضهم ويتخلون عن بعضهم عند المحاسبة في الدنيا، فهم إلى ذلك أقرب وبه أحرى يوم القيامة يوم يرون العذاب ويُقدَّمون للحساب.

وفي قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ إشارة إلى أن هؤلاء قد كتب الله عليهم الشقاوة فاستحقوا العذاب فلن تنفعهم المعاذير ولن تغني عنهم التوسلات فهذا ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر:٥٢].

وفي قولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَا﴾ محاولة منهم للخلاص من العذاب وبأية وسيلة ولو لم يكن إلا الكذب وهذا من جهلهم فإن الله لا تخفى عليه

منهم خافية وقد وصف الله حالهم في موضع آخر بقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة:١٨].

ومن آثار التشبيه أيضاً: بيان أن سبب غواية الفريقين واحد، وأن الغاوين على مر الأزمان تتشابه فعالهم بسبب تشابه قلوبهم كما أخبر عنهم ربهم المطلع على أحوالهم جميعا فقال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة:١١٨].

الآية الثالثة: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مجمل حيث ذكر الأداة ولم يذكر وجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾.

المشبه: الإحسان المأمور به.

المشبه به: إحسان الله إلى قارون.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: المجازاة بالمثل.

غرض التشبيه: بيان الحال التي ينبغي أن يكون عليها المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي أطلب بالمال الفوز في الآخرة وذلك بإنفاقه في طاعة الله.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي لا تترك العمل فيها.

﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ أي أحسن إلى الناس بالصدقة كما أحسن الله إليك بالمال.

﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ والفساد يكون بعمل المعاصي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ وما لا يحبه الله فهو محرم عمله.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

قال ابن عاشور ~ : "الإحسان داخل في عموم ابتغاء الدار الآخرة ولكنه ذكر هنا ليبنى عليه الاحتجاج بقوله ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ، والكاف للتشبيه، و(ما) مصدرية، أي كإحسان الله إليك، والمشبه هو الإحسان المأخوذ من ﴿أَحۡسَنَ﴾ أي إحساناً شبيهاً بإحسان الله إليك. ومعنى الشبه: أن يكون الشكر على كل نعمة من جنسها.

وقد شاع بين النحاة تسمية هذه الكاف كاف التعليل، ومثلها قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٨]. والتحقيق أن التعليل حاصل من معنى التشبيه وليس معنى مستقلاً من معاني الكاف" (١).

في أمر المؤمنين لقارون الذي أنعم عليه ربه بالمال بأن يبتغي به الدار الآخرة وعظ وتذكير له بدار البقاء وأنها هي الأولى بالعمران والعناية، وذلك يكون بصرف المال في مصارفه الشرعية، وفي ذلك تعليق لقلب المنعم عليه بما عند المنعم سبحانه، فيزيده ذلك إنفاقاً لإيمانه بأن ذلك يرفع من منزلته في الدار الآخرة.

وفي التشبيه أمر من النصحة من قوم قارون لذلك العبد الذي أغناه الله من واسع فضله أن يحسن في تلك الثروة التي آتاه الله إياها، وقد جاء الفعل أحسن بدون تحديد معموله ليكون المراد فضفاضاً واسعاً يتناسب مع سعة النعمة وعظمة المنحة التي أوتيها قارون برحمة من الله وفضل، فالمعنى أحسن في الأخذ وأحسن في التصرف: أحسن في إنفاقه في وجوه الخير... أحسن إلى نفسك لأن الصدقة تزكي العبد وتنمي المال.. أحسن إلى الفقراء والمحاويج كما أحسن الله إليك به والله الغني وأنت إليه فقير.. أحسن باستحضار عظمة النعمة وبالتالي شكرها.. وأحسن الشكر والثناء على المنعم بتسخير النعمة في مراضيه سبحانه..

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٧٩).

وكلما كان العبد أقوى إيماناً وأكثر استحضاراً لكرم المنعم، كان أكثر شكراً وأعظم إحساناً وأسرع إلى تسخير تلك النعم في العمل الصالح الذي يرضاه ﷻ ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣].

وإن من شيم الكرماء مقابلة الإحسان بخير منه أو بمثله على الأقل وهذا منهج قرآني السمات كما حث الله عباده المؤمنين فقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء:٨٦].

ولأن الله هو أكرم الكرماء فقد امتدح نفسه لما أحسن إلى المؤمنين المحسنين بأن أدخلهم الجنة فقال: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠].

وعلى العكس من ذلك فإن من شيم اللئيم الجاحد أن يقابل الإحسان بالإساءة والنعمة بالكفر وكلما كان العبد أشد كفراً كان أكثر جحوداً ولذلك ذم الله ذلك الصنف من الناس وتوعدهم بالنار وبئس القرار كما في قوله سبحانه: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩].

ومن أمثلة هذا الصنف الكافر الجاحد قارون الذي أغدق الله عليه بنعمة المال التي جاء وصفها في هذه الآيات، ولكنه لم يعرف لله فيها حقاً ولم يتخذ فيه حسناً وإنما قابل نعمة الكنوز بالكنود، واستبدل الشكر بالكفر، فكان له الجزاء العدل بما قصه الله من الخسف به وبداره الأرض ليكون عبرة للمعتبرين بعد أن كان مثلاً للكفرة الجاحدين.

ولما كان الإحسان معروفاً مأموراً به فقد أعقب ذلك بالنهي عن ضده وهو الفساد في الأرض وذلك منهج القرآن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإفساد في المال يكون بالإمساك عن الإنفاق فيما أمر الله به، أو بإتلافه في أمور لا يرتضيها المنعم به سبحانه، وقد نهى عن الفساد ثم أكد النهي بالإخبار أنه لا يحب المفسدين وذلك يقتضي تحريمه.

ومن آثار التشبيه المهمة أن العبد يمكن أن يتصف بأحد الصفات التي يتصف بها الله جل وعلا، ولكن لا سواء فقوله ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ لا يلزم منه المساواة في درجة الإحسان ولكنه الإحسان البشري القاصر المأمور به والمقدور عليه والله لا يأمر إلا بما هو مستطاع، أما إحسان الله فليس مثله إحسان كيف وقد قال ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

الآية الرابعة: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص:٨٢].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ﴾.

المشبه: الحال التي رأوها من قصة قارون.

المشبه به: أن الله يبسط الرزق لمن يشاء.

أداة التشبيه: كأن.

وجه الشبه: قدرة الله على ما يشاء.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي الذين كانوا منذ عهد قريب يتمنون أن لو كان لهم مثل ما أوتي. ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ (وي) كلمة للتعجب و(كأن) للتشبيه [1].

قال ابن عاشور ~ بعد أن ساق الأقوال في معنى ويكأن: (ومعنى الآية على الأقوال كلها أن الذين كانوا يتمنون منزلة قارون ندموا على تمنيهم لما رأوا سوء عاقبته وامتلكهم العجب من تلك القصة ومن خفي تصرفات الله تعالى في خلقه وعلموا

(١) وهو قول الخليل وسيبويه واختيار الزمخشري في الكشاف ونسبه في الكشاف إلى الكوفيين أنها مركبة من أربع كلمات كلمة (ويل)، وكاف الخطاب وفعل (اعلم)، و (أن). وأصله: ويلك أعلم أنه كذا، فحذف لام الويل وحذف فعل (اعلم) فصار (وَيْكَأنّه)، قال بذلك أبو عمرو بن العلاء وهو بصري انظر التحرير والتنوير (٢٠/ ١٧٨).

وجوب الرضى بما قدر للناس من الرزق فخاطب بعضهم بعضاً بذلك وأعلنوه [1].

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ لولا فضل الله علينا فلم يعاقبنا بما قلنا لخسف بنا كما خسف به.

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي الذين يكفرون بنعمة الله كقارون.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٧٨).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد كان في الخسف الذي حل بقارون على مرأى ومسمع من قومه عبرةٌ وأي عبرة ويبدو ذلك جلياً في العجب والدهشة التي أصابت الذين كانوا يغبطونه ويتمنون أن لهم مثل ما أوتي فأعلنوا عجبهم وصرحوا بندمهم وأظهروا توبتهم.

لقد أبرز التشبيه ما أصاب القوم من تأثر واعتبار مما أصاب الهالك قارون فتعجبوا بكلمة (وي) ثم اعترفوا بالحقيقة التي كانوا منها في شك وهي أن الله المالك لكل مالك وأنه الباسط للرزق والقابض له يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، يوسع على من شاء ويضيق على من شاء فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وكل شيء عنده بمقدار.

وبدا صدق توبتهم بيناً من كلامهم حيث أقروا بتلك الحقيقة، وفي قولهم ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ دليل على اعترافهم بالعبودية لله، ثم أردفوا بنسبة المنة له في أن أمهلهم ولم يخسف بهم بسبب ما كانوا يتمنونه.

وفي التشبيه درس لكل من يقرأ هذه القصة من قصص القرآن بأن يحسن الاعتقاد في أن الرزق بسطه وقبضه بيد الله وحده فلا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى وأن أمم الأرض لو اجتمعت لتنفع أحداً من خلقه أو تضره لم تستطع إلا بشيء قد كتبه الله وقدره، وهذا الاعتبار من قصص الماضين من أعظم أهداف القصة في القرآن كما قال سبحانه: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٦] وقال ﷻ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف:١١١].

الآية الخامسة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤﴾ [القصص:٨٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ.[1] في قوله تعالى: (إلا ما كانويعملون)

المشبه: جزاء من عمل السيئات.

المشبه به: جملة إلا ما كانوا يعملون.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: عدم الظلم.

غرض التشبيه: تبيين حال المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ أي أن ثواب الله خير من حسنة العبد، فيجزي عبده بالحسنة عشر أمثالها.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي من عمل ما حرم الله فلا يظلم وإنما يجزى بمثل عمله، فالأولى فضل من الله والأخرى عدل منه.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٩١).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

قال ابن عاشور ~ : وفي قوله ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ استثناء مفرغ عن فعل ﴿فَلَا يُجْزَى﴾ المنفي المفيد بالنفي عموم أنواع الجزاء، والمستثنى تشبيه بليغ، أي جزاء شبه الذي كانوا يعملونه. والمراد المشابهة والمماثلة في عرف الدين، أي جزاء وفاقاً لما كانوا يعملون وجارياً على مقداره، لا حيف فيه، وذلك موكول إلى العلم الإلهي(1).

فإذا وافقنا ابن عاشور ~ وقلنا بإثبات التشبيه في الآية فإن من آثار هذا التشبيه:

أولاً: أن التشبيه البليغ -كما مر معنا من قبل- محذوف الأداة للمبالغة حتى كأن المشبه عين المشبه به وفي ذلك بيان كامل لعظيم عدل الله ﷻ الذي جعل جزاء أصحاب السيئات بقدر معاصيهم لا يزيد ولا ينقص فالله الغني لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم ولهذا قال ﷻ في آية شبيهة بهذه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

ثانيا: وضع المظهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ للمبالغة في التذكير بأن ذلك من ثمار أعمالهم وتلك ما جنته أيديهم. قال الزمخشري ~ (معناه: فلا يجزون، فوضع ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ موضع الضمير، لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرراً، فضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون، وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها، ويجزي على الحسنة بعشر أمثالها

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٩١)، قلت ومن مواصفات التشبيه البليغ المعروفة عند البلاغيين حذف أداة التشبيه وأن يكون المشبه به من غير جنس المشبه، والذي في الآية لا ينطبق عليه هذا الشرط لأن قوله تعالى (إلا ما كانوا يعملون) هو من جنس المشبه، ففي إطلاق التشبيه البليغ على هذه العبارة نظر والله تعالى أعلم.

وبسبعمائة، وهو معنى قوله: ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾

ثالثاً: في الآية أيضاً بيان لأهمية العمل الصالح والعمل السيئ في تحديد مآل العبد وفيه الحجة على من قال بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، فالآية ترد عليهم فللمحسن الثواب على إحسانه وللمسيء العقاب على إساءته.

رابعاً: في الآية أيضاً بيان لبركة الطاعة وإكرام الله للطائعين، وكذلك قبح المعصية وشؤمها على صاحبها فهو المتضرر منها دون سواه، وقد كان يتلذذ بها في الدنيا ويظن أنها من أسباب سعادته، بينما هي وبال عليه في الدنيا والآخرة، فلا ينبغي للعبد العاقل أن يقدم لذة عاجلة على سعادة الآخرة الأبدية الآجلة، وإذا كانت الدنيا ساعات فليجعلها طاعات ليفرح بها ويسعد بسببها في الجنات.

المبحث العشرون: التشبيهات القرآنية في

سورة العنكبوت

وعددها (٣) تشبيهات

الآية الأولى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [العنكبوت:١٠].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه مجمل فيه ذكر الأداة دون وجه الشبه، في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

المشبه: فتنة الناس.

المشبه به: عذاب الله.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الخوف.

غرض التشبيه: بيان مقدار المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي أنه يقول بلسانه أنه مؤمن فإذا أوذي في الله جعل أذاهم مثل عذاب الله في الخوف منهم فيطيعهم.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي أنهم إذا رأوا المسلمين انتصروا وغنموا قالوا لقد كنا معكم على الإسلام فأشركونا في الغنيمة.

﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أنه سبحانه أعلم بما تكن صدورهم من الكذب فهو أعلم بما في الصدور من أصحاب الصدور أنفسهم.

ويشرح الطاهر بن عاشور ~ طبيعة هذا التشبيه بين فتنة الناس وعذاب الله في قوله: " وقوله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ يريد جعلها مساوية لعذاب الله كما

هو مقتضى أصل التشبيه، فهؤلاء إن كانوا قد اعتقدوا البعث والجزاء فمعنى هذا الجعل: أنهم سووا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة كما هو ظاهر التشبيه فتوقوا فتنة الناس وأهملوا جانب عذاب الله فلم يكترثوا به إعمالاً لما هو عاجل ونبذاً للآجل وكان الأحق بهم أن يجعلوا عذاب الله أعظم من أذى الناس، وإن كانوا نبذوا اعتقاد البعث تبعاً لنبذهم الإيمان، فمعنى الجعل: أنهم جعلوه كعذاب الله عند المؤمنين الذين يؤمنون بالجزاء.

فالخبر من قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى قوله ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ مكنى به عن الذم والاستحقاق على كلا الاحتمالين وإن كان الذم متفاوتاً ".(1)

(1) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢١٦).

۞ أثر التشبيه في تفسير الآية:

يكشف هذا التشبيه عن حال أولئك المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم فهم يترقبون متربصين، ينتظرون ماذا تخبئ لهم الأيام من أخبار وما قد يتعرضون له من أخطار، فإذا ما تعرضوا لأذى من المشركين أو أصابتهم مصيبة فتنتهم عن دينهم، فأنهم سرعان ما ينكصون على أعقابهم ويتخلون عن إسلامهم ويتنصلون من مبادئهم، فيداهنون الكافرين ليظفروا بعرضٍ من الدنيا قليل فباعوا دينهم واشتروا دنياهم، باعوا جنة عرضها السموات والأرض واشتروا السلامة في الدنيا، فقدموا منهج السلامة على سلامة المنهج، فيصح فيهم قول إبراهيم بن أدهم(1):

نُرَقِّــع دُنْيانـــا بِتَمْزِيـــقِ دِينِنـــا ... فـلا دينُنـا يَبقـى ولا مـا نُرَقِّـع(2)

وإن كان للمسلمين الغلبة ورأوا النصر رأي العين جاءوا يظهرون الإسلام ويقسمون على الإيمان ويذكرون بما كان منهم من النصرة للإسلام وأهله وهم في ذلك كله يكذبون وللمؤمنين يخادعون، ويطالبون بما لهم من الحقوق بوصفهم من أفراد أمة الإسلام، فكشف الله عوارهم وهتك أستارهم وأخبر بالحقيقة التي لا يستطيع أحدٌ إنكارها، وهي أنه سبحانه أعلم بما يخبئونه في صدورهم من الكفر ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣-١٤].

قال الرازي ~ : وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ ولم يقل آمنت مع أنه وحد

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلى، و قيل التميمى، أبو إسحاق البلخى الإمام الزاهد العابد صاحب الكلمات المأثورة في الوعظ والحكمة وهو من أتباع التابعين، روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي توفي ١٦٢ هـ، الأعلام (١/ ٣١).

(٢) العقد الفريد: باب صفة الدنيا (٢/ ٥١). ابن عبد ربه: أحمد بن محمد، أبو عمرو (ت٣٢٨هـ).

الأفعال التي بعده كقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ وذلك لأن المنافق كان يشبه نفسه بالمؤمن، ويقول إيماني كإيمانك فقال: ﴿ءَامَنَّا﴾ يعني أنا والمؤمن حقاً آمنا، إشعاراً بأن إيمانه كإيمانه، وهذا كما أن الجبان الضعيف إذا خرج مع الأبطال في القتال، وهزموا خصومهم يقول الجبان خرجنا وقاتلناهم وهزمناهم، فيصح من السامع لكلامه أن يقول وماذا كنت أنت فيهم حتى تقول خرجنا وقاتلنا؟ وهذا الرد يدل على أنه يفهم من كلامه أن خروجه وقتاله كخروجهم وقتالهم، لأنه لا يصح الإنكار عليه في دعوى نفس الخروج والقتال، وكذا قول القائل أنا والملك ألفينا فلاناً واستقبلناه ينكر، لأن المفهوم منه المساواة فهم لما أرادوا إظهار كون إيمانهم كإيمان المحقين كان الواحد يقول: ﴿ءَامَنَّا﴾ أي أنا والمحق.

المسألة الثانية: قوله: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ هو في معنى قوله: ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ [آل عمران:١٩٥]، غير أن المراد بتلك الآية الصابرون على أذية الكافرين والمراد ههنا الذين لم يصبروا عليها فقال هناك: ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ [آل عمران:١٩٥] وقال ههنا: ﴿أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ ولم يقل في سبيل الله واللطيفة فيه أن الله أراد بيان شرف المؤمن الصابر وخسة المنافق الكافر فقال هناك أوذي المؤمن في سبيل الله ليترك سبيله ولم يتركه، وأوذي المنافق الكافر فترك الله بنفسه، وكان يمكنه أن يظهر موافقتهم إن بلغ الإيذاء إلى حد الإكراه، ويكون قلبه مطمئناً بالإيمان فلا يترك الله، ومع هذا لم يفعله بل ترك الله بالكلية، والمؤمن أوذي ولم يترك سبيل الله بل أظهر كلمتي الشهادة وصبر على الطاعة والعبادة[1].

لقد جعل هؤلاء المنافقون أذى المشركين لهم مثل عذاب الله، فكما أن الخوف من عذاب الله قد كان سبباً في هروب المؤمنين من الكفر إلى الإيمان، فقد كان الخوف من أذى المشركين سبباً في هروب أولئك المنافقين من الإيمان إلى الكفر.

ولعظمة خطيئة أولئك المنافقين وحتى يكون المؤمنون منهم في حذر وحتى

(١) مفاتيح الغيب (٢٥/ ٣٤).

يتخذ المؤمنون العبرة والعظة فقد حذر الله منهم وبيّن صفاتهم وكشف أكاذيبهم وأبطل إدعاءاتهم في هذه الآية وفيما يشبهها من الآيات مثل قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج:١١].

الآية الثانية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت:٤١].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي، حيث شبه حال المشركين في اتخاذهم آلهة لا تضرهم وضعيفة هزيلة لا تحميهم ولا تنفعهم باتخاذ العنكبوت لذلك البيت الواهي المتناهي الضعف.

المشبه: اتخاذ المشركين أصناماً آلهة.

المشبه به: كالعنكبوت في اتخاذها بيتها الضعيف.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الوهن وعدم الحماية فلا تدفع ضراً ولا تجلب نفعاً.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي الذين اتخذوا أصناماً يعبدونها ويرجون نفعها.

﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا﴾ أي مثل بيتها الذي اتخذته لنفسها لتأوي إليه.

﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ أي أن أضعف البيوت هو بيتها فهو لا يدفع عنها حرًّا ولا برداً، وكذلك الأصنام لا تنفع عابديها بشيء.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ لو علموا ذلك ما عبدوها.

أثر التشبيه في تفسير الآية:

هذا مثل عظيم ضربه الله ليصور جهل المشركين وضلالهم حين اتخذوا أولياء من دون الله يتقربون إليهم، يرجون نفعهم ويخشون ضرهم والحقيقة أن هؤلاء المشركين في الضعف وقلة الفهم وسوء التدبير مثل العنكبوت التي لما رأت ضعفها أرادت أن تحتمي من العوادي فنسجت لنفسها بيتاً من خيوط هي الغاية في الضعف فلا تصمد أمام أدنى عدو أو هامة من هوام الأرض وأن أولئك الأولياء في ضعفهم وعدم رجاء نفعهم مثل ذلك النسيج الذي نسجته تلك العنكبوت، فبئس الباني وبئس البيت وبئس العابد وبئس المعبود.

قال ابن القيم ~ في كتاب الأمثال في القرآن: (وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم:٨١-٨٢] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس:٧٤-٧٥]. وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركة: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود:١٠١]، فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليا يتعزز به ويتكثر به ويستنصر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده.

فإن قيل فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

فالجواب أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتا فلو علموا ذلك لما فعلوه،

ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزا وقوة فكان الأمر بخلاف ما ظنوا [(١)].

وقال الزمخشري ~ : "ووجه آخر: وهو أنه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون. أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز، فكأنه قال: وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون.

ولقائل أن يقول: مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل عنكبوت يتخذ بيتاً، بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون". [(٢)]

ومن آثار التشبيه أن ذلك ليس قاصراً على شرك الأقدمين من اتخاذهم الأولياء، ولكنه تشبيه أريد به التحذير من ضعف وهوان كل ما يمكن أن يتخذ الإنسان لنفسه من شيء يرجوا نفعه ويخاف ضره فيما لا يقدر عليه إلا الله جل في علاه.

فالذين يركنون إلى ما عندهم من القوى الدنيوية، يؤملون نفعها ويخشون ضر فواتها فتتعلق بها قلوبهم حتى لا يبقى في تلك القلوب متسع لحب الله والتوكل عليه والخوف منه.

فمن الناس من يعبد المال، ومنهم من يعبد الطبيعة، ومنهم من يعبد التقنية الحديثة وأسباب الرفاهية، ومنهم من يعبد هواه، إنها المادية المقيتة التي طغت بفعل طواغيت العصر على حياة وأخلاقيات الكثير من أمم الأرض، فأنسوهم ذكر الله وقدرة الله وإحاطة علم الله وسعة رحمته وشدة سطوته، وقد حذر ﷻ من سلوك سبيل

---

(١) الأمثال في القرآن لابن القيم (١/ ١٤).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٥٩).

تلك الفئات الضالة المضلة فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر:١٩].

بل قطع الله ﷻ بأن الذين يركنون إلى الدنيا الركون الكامل، ركونا يقطع العباد عن المعبود ويقطع حبل الإيمان والتصديق بالله والرسالات والغيب، فلا يصدقون إلا المادة ولا يؤمنون إلا بالمادة، قطع ﷻ أنهم من أهل النار فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأعراف:٥١].

الآية الثالثة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

وصف التشبيه وتحليله:

نوع التشبيه: تشبيه بليغ[1] في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾.

المشبه: الدار الآخرة.

المشبه به: الحياة الدائمة.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: الدوام.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ التي يتمتع بها هؤلاء المشركون.

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ إلا تعليل النفوس بما تلتذّ به، ثم هو مُنْقَضٍ عن قريب، لا بقاء له ولا دوام

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ "أي لما آثرُوا عليها الحياةَ الدُّنيا التي أصلُها عدمُ الحياةِ ثمَّ ما يحدثُ فيها من الحَيَاةِ عارضةٌ سريعةُ الزَّوالِ وشيكةُ الاضمحلالِ".[٢]

---

(١) هذا إذا أخذنا بقول صاحب المعجم. انظر: معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم (١/ ٢٣٨).

(٢) إرشاد العقل السليم (٧/ ٤٧).

أثر التشبيه في تفسير الآية:

لقد عقد الله تبارك وتعالى في هذه الآية مقارنة بين الحياة الدنيا والآخرة ليذكر اللاهثين وراء هذه الدنيا الدنيئة أنها ليست إلا ظل يوشك أن يزول ومتاع قليل يوشك أن ينفد..

وصدر الآية بالحصر مبالغة في ذم الدنيا وتحقيرها فهي لا تعدوا أن تكون لعب لا فائدة فيه ولهو لا طائل من وراءه.. قال الزمخشري ~ : "هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها، وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة.

يريد: ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون" (١).

ولما جاء الحديث عن الآخرة جاء التشبيه ليحسنها عند السمع ليغريه بالعمل الجاد الموصل إليها ليفوز بها فإذا كانت الآخرة هي وحدها الحياة وما سواها لهو ولعب فلا ينبغي لعاقل أن يستبدل الأدنى بالذي هو خير فيبيع الحياة الأبدية السرمدية بما لا يساوي جناح بعوضة.. وأكد الجملة بإن لكي لا يبقى عند السامع أدنى شك في هذه الحقيقة العظيمة..

يقول سيد قطب ~ : "وبمناسبة الحديث عن الحياة في الأرض وعن الرزق والبسط فيه والقبض، يضع أمامه الميزان الدقيق للقيم كلها. فإذا الحياة الدنيا بأرزاقها ومتاعها لهو ولعب حين تقاس بالحياة في الدار الآخرة:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾..

فهذه الحياة الدنيا في عمومها ليست إلا لهواً ولعباً حين لا ينظر فيها إلى الآخرة.. حين تكون هي الغاية العليا للناس... حين يصبح المتاع فيها هو الغاية من الحياة، فأما

(١) الكشاف (١/ ٢٣٨).

الحياة الآخرة فهي الحياة الفائضة بالحيوية. هي ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ لشدة ما فيها من الحيوية والامتلاء.

والقرآن لا يعني بهذا أن يحض على الزهد في متاع الدنيا والفرار منه وإلقائه بعيداً. إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه... إنما يعني مراعاة الآخرة في هذا المتاع، والوقوف فيه عند حدود الله، كما يقصد الاستعلاء عليه فلا تصبح النفس أسيرة له، يكلفها ما يكلفها فلا تتأبى عليه!

والمسألة قيم يزنها بميزانها الصحيح، فهذه قيمة الدنيا وهذه قيمة الآخرة كما ينبغي أن يستشعرها المؤمن؛ ثم يسير في متاع الحياة الدنيا على ضوئها، مالكاً لحريته معتدلاً في نظرته: الدنيا لهو ولعب، والآخرة حياة مليئة بالحياة"(1).

وقال في آخر الآية: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ليخبر عن سبب عتوهم وتمردهم على شرع الله وتعديهم لحدوده وهو جهلهم، فلو كانوا يعلمون حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة لما آثروا الفاني الحقير على الباقي الجليل..

فأعظم أثر يتركه التشبيه في فهم الآية هو أن يدرك العبد حقيقة كل من الدارين، مع النصح للناس بتزيين الآخرة وتقبيح الدنيا لإغرائهم بالسعي لما ينفعهم والبعد عما فيه خسرانهم..

(1) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٥١).

الخاتمـــة

الخاتمـــة

لقد حث الله ﷻ عباده المؤمنين على تدبر كتابه الكريم ليزدادوا إيماناً على إيمانهم، فترق منهم القلوب وتثق النفوس بموعود ربها فتؤمل في نواله وثوابه، وتصدق بوعيده فتفر من نكاله وعقابه، وحذر أيضاً الكفار والمنافقين وأعداء الرسالة والدين من الغفلة عن آياته، والبعد عن التدبر فيها، والاتعاظ بها والعمل بمقتضاها، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

ولا شك أن ثمار التفكر في تفسير كتاب الله كثيرة، وأن المؤمن لا يزال يترقى في تفكره في كتاب الله حتى يطلعه الله على ما يشاء من أسرار ولطائف تعجز أمامها الأذهان وتنعقد عن وصفها الألسن، وإن من تلكم اللطائف ما حوى كتاب ربنا ﷻ من تشبيهات تدهش العقول وتحرك القلوب.

وحاش لله أن تكون هذه التشبيهات قد جاءت بلا فائدة، وحاش لله أن تكون صوراً بلاغية للتحسين اللفظي فقط، وإنما جاءت لحكم عظيمة، وأتي بها لفوائد كثيرة قد أحاط الله بها علما ولكن المتأمل في كتاب الله يستطيع -بعون من الله وفضل ثم بما يهبه الوهاب من أدوات وخبرات- أن يصل إلى شيء من تلك الحكم والفوائد بما يفتح الله به عليه، وذلك من الرحمة التي يفتحها الله لمن شاء من عباده كما قال عز من قائل: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢].

والناس يتفاوتون في هذا تفاوتاً عظيماً كلٌ بما رزقه الله من واسع فضله سبحانه وذلك بحسب الرفعة التي يريدها للمصطفين الأخيار من عباده ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣].

ومهما أوتي الناس من علم ومهما أعملوا أذهانهم واجتهدوا وسعهم في تدبر كتاب ربهم، ومهما ظفروا به من استخراج مكنوناته ودرره، فإنهم يبقون عاجزين

ويزدادون قناعة بتلك الحقيقة مع كل فتح جديد يجدونه ؛ وما ذلك إلا لأنه سبحانه قد جعله المعجزة الخالدة للدين الخاتم، فهذه المعجزة باقية ما بقي الثقلان وما تعاقب الجديدان، وكل ما يحصل عليه علماء الأمة جيلاً بعد جيل ليس إلا القليل بالنسبة لعلم الكتاب قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥].

وكما قال الله عن صاحب سليمان الذي جاءه بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه فوصفه بأنه أوتي علماً من الكتاب ولم يحط بعلم الكتاب كله، فقال سبحانه ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل:٤٠].

نتائج:

وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكننا القول أن لهذه التشبيهات القرآنية نتائج عظيمة وفوائد جمة سوف نحاول أن نأتي على ما يفتح الله به منها فيما يأتي:

أولا: ظهور الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم الذي تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، قال الباقلاني ~ : (وقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه، وحير ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، وافترقت كلمة الكافرين على وصفه، وتباينت في نعته، فقال بعضهم هو شعر، وقال فريق: إنه سحر، وزعمت طائفة أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، وذهب قوم أنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون.

وقال غير هؤلاء وهؤلاء: لو نشاء لقلنا مثل هذا.

ولكنهم لم يقولوا هم ولا غيرهم، لان تأليف القرآن البديع، ووصفه الغريب، ونظمه العجيب، قد أخذ عليهم منافذ البيان كلها وقطع أطماعهم في معارضته، فظلوا مقموعين مدحورين ثلاثة وعشرين عاما، يتجرعون مرارة الاخفاق، ويهطعون لقوارع التبكيت، وينغضون رؤوسهم تحت مقارع التحدي والتعيير، مع أنفتهم وعزتهم، واستكمال عدتهم وكثرة خطبائهم وشعرائهم، وشيوع البلاغة فيهم، والتهاب قلوبهم بنار عداوته، وترادف الحوافز إلى مناهضته، وعرفانهم أن معارضته

بسورة واحدة أو آيات يسيرة أنقض لقوله، وأفعل في إطفاء أمره، وأنجع في تحطيم دعوته، وتفريق الناس عنه - من مناجزته، ونصبهم الحرب له، وإخطارهم بأرواحهم وأموالهم، وخروجهم عن أوطانهم وديارهم.

وقد ندب الله المسلمين إلى تلاوة القرآن، وقراءة ما تيسر منه، وحضهم على ادكار معانيه، وتدبر أغراضه ومراميه، ليهتدوا ببصائره وهداه، وليستضيئوا بأنواره في الحياة، حتى تكون كلمتهم فيها هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى) (1).

ثانياً: تحقيق الهدف الأكبر من التشبيه عموماً ومن التشبيه القرآني خصوصاً وهو الوصول إلى عقل المتلقي وقلبه لإقناعه بالأمر المراد طرحه والحقيقة المراد إثباتها، وذلك عن طريق التسلل إلى نفس السامع بأسرع السبل وأيسرها، ويتحقق هذا التسلل بالأسلوب البديع والتشبيه الرائع الذي يضفي على الطرح صورة جميلة ماتعة ويكسوه رونقاً وحسناً.

ثالثاً: خاضت هذه التشبيهات في كافة النواحي الشرعية وأثبتت الكثير من الحقائق التي يحتاج العبد المؤمن إلى معرفتها ليعيش حياة إيمانية آمنة مطمئنة في دنياه، ولينقلب إلى ربه فيفوز برضاه ويسعد بأعظم لذة ونعيم في أخراه، فكثرت التشبيهات وتعددت أنواعها والمواضيع التي تتناولها فمنها:

١ - التشبيهات التي تتناول مسائل عقدية لترسخها في قلب العبد المؤمن لكي لا يبقى في نفسه أدنى شك ولا يتسلل إليه أدنى ريبة ولا يتزعزع أمام فتنة ومن تلك التشبيهات ما جاء في قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (١/ ٦)، والباقلاني هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. توفي عام ٤٠٣، الأعلام (٦/ ١٧٦).

﴿أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾ [النحل:٧٣-٧٦].

فهذه التشبيهات العظيمة المتتالية ما هي إلا مثال واضح لعناية القرآن بترسيخ العقيدة الحقة في نفوس المؤمنين بأنه لا يصح أن يكون هناك إله يعبد ويتقرب إليه إلا الملك الحق المبين الذي بيده الإحياء والإماتة، وله وحده الإبداع والخلق، ومن عنده الخير والرزق، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فكيف يعبد خلق من خلقه وهذا المعنى الذي جاءت به الرسالات كلها وأنزلت به الكتب كلها وهو معنى لا إله إلا الله.

٢- إذا كانت التشبيهات القرآنية قد اعتنت بعقيدة التوحيد عناية شديدة، فهي أيضاً لم تهمل صغائر المعاملات بين الناس والتي تعتبر من دقائق مسائل الفقه والآداب ومن أمثلة ذلك ما جاء في التشبيه الكريم في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ [النور:٥٩]، فأنت ترى في هذا التشبيه اهتمام القرآن بمسألة الاستئذان وتقريرها في أذهان الناس لأجل أن يجري الناس معاملاتهم اليومية بمنهج سماوي رباني ينظم حياة الفرد والمجتمع ويكفل لهم سعادة الدارين بإذن رب العالمين تطبيقاً للخطوط العريضة في هذه الشريعة وتحقيقاً لمعنى الإسلام الصحيح وهو الاستسلام الكامل لداعي الرحمن وأن يحيى العبد بالقرآن لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢].

٣- وفي مكارم الأخلاق، نتنقل بين حدائق التشبيهات الغناء فنجد أنها تتنوع لتنقلنا إلى خلة كريمة وسجية حميدة وخلق رفيع وذلك بحفظ العهد مع كل أحد والإبقاء على هذا العهد ولو كثرت المغريات الداعية إلى نقضه كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا

يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل:٩١-٩٢]

٤- من التشبيهات ما يكون له غرض آخر مختلف وهو تسلية النبي ﷺ والشد من عضده ليمضي قدماً في دعوته، فلا يلتفت لتثبيط الجاهلين، ولا يحزن على ضلال المكابرين المعاندين كما في قوله جل وعلا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦].

٥- من التشبيهات كذلك ما يطرق باب الترغيب والترهيب كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

٦- منها أيضاً ما يكشف الحقائق ويزيل الشبه ويجلي الأمور ويصحح المفاهيم، ليرتقي بفكر العبد وعمله كما جاء في التزهيد في الدنيا والحث على العمل للدار الآخرة نحو قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف:٤٥].

٧- أسهمت بعض التشبيهات في ترجيح قول بعض المفسرين على بعضهم الآخر كما تقدم بيانه في سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧].

٨- من التشبيهات ما فيه تعظيم لله وتمجيد ومدح وثناء فيكون سبباً في زيادة الإيمان وزكاة الروح وطمأنينة القلب لدى العبد، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور:٣٥].

٩- من التشبيهات ما فيه تقبيح للكفر والفسوق والغفلة عن ذكر الله وعن الطاعات وازدراء ما عليه الكفار والغافلون وتنفير السامع المؤمن من مقارفة شيءٍ من ذلك كما في قوله عز من قائل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان:٤٤].

١٠- من التشبيهات ما جاء على سبيل النصح والحث على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله ﷻ في قصة قوم لوط: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)﴾ [هود:٧٨].

١١- من التشبيهات ما جاء فيه بيان مآل الظالمين ومصير الكافرين، تبكيتاً لهم وتخويفاً وتحذيراً للمتشبهين بهم والمقتفين لآثارهم، ومثاله ما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)﴾ [هود:٩٤-٩٥].

١٢- من التشبيهات ما فيه طمأنة للمؤمنين على حياتهم الدنيا، والوعد بالخير العظيم في الآخرة، وربط ذلك بالإيمان، تزييناً للإيمان في أعينهم لكي يسلكوا طريقة ويتمسكوا به، كما في قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ [النور:٥٥].

١٣- من التشبيهات ما فيه حث على مكارم الأخلاق وحسن التأدب مع الله ومع رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ [النور:٦٣].

إلى غير ذلك من الأغراض العظيمة التي سيقت التشبيهات من أجلها، والفوائد

الجليلة التي يثمرها التفكر في هذه التشبيهات والآثار الجميلة التي تضفيها كل تلك التشبيهات المختلفة الأنواع المتعددة الأساليب.

رابعاً: ومن أعظم النتائج التي نخرج بها من هذا البحث هي حقيقة جهل الإنسان وضعفه وقلة حيلته وعجزه البين أمام كنوز القرآن الثمينة ومعانيه المتينة وألفاظه الرصينة، ولا غرابة في ذلك لأن الله تحدى به الثقلين ولذا فلن يصلوا إلى إدراك أو استيعاب كل ما فيه من حكم ومعانٍ، ولكن يُفتَح لبعضهم شيئاً منها وُيمسَك عن البعض وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وتلك رحمة الله يختص بها من يشاء، جعلنا الله منهم.

ومن الفوائد المترتبة على تلك النتائج ما يأتي:

أ- هداية الحيارى من الكفار، ولكن المتجردين من الهوى الباحثين عن الحق، فلا يسمع القرآن عاقل منصف يفهم الخطاب ويروم الهدى، إلا وأسره جمال النظم القرآني وجزالة اللفظ وروعة التعبير ودقة اختيار المفردات وما فيه من التشبيهات والمحسنات، فأحب هذا الكتاب العزيز وتلذذ بسماعه وسلك القرآن أسرع السبل إلى قلبه فقبله وأقبل عليه برغبة وشغف وقاده ذلك للدخول في دين الإسلام ولا أدل على ذلك من قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه.(١)

(١) ذكر ابن كثير قصته فقال: وكان سيدا مطاعا شريفا في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه، قال: فو الله ما زالوا بى حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغني شئ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاما حسنا، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي ! والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذى يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا، للذى قالوا.

=

ب- زيادة إيمان المؤمنين واطمئنان قلوبهم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢]، وأعلم الناس بالقرآن هم أكثرهم تأملاً له وتأثراً به وهم أسعد الناس به في الدارين، وكلما أكثر العبد من ذلك التأمل، كلما كان أكثر خشية لله وكلما ازداد علماً به لما تورثه تلك التشبيهات والمحسنات فقد قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٦-١٠٩].

ج- والتدبر في آيات الكتاب العزيز عموماً وما جاء فيها من تشبيهات على وجه الخصوص يذكر المؤمن الغافل فيتنبه لوعده ووعيده، فيعتبر أصحاب القلوب الحية والعقول المستنيرة بنور الوحي كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

د- ومن فوائد البحث في التشبيهات القرآنية الرقي بالذائقة الأدبية للباحث والقارئ لما يعاين كل منهما من الروعة والجمال في البيان القرآني الذي لا يوجد ما يشابهه أو يقاربه كما قدمنا، ولكثرة المدارسة لآيات القرآن وإمعان النظر في كلام الرحمن، فإذا تساوى الأدباء والبلاغيون في المنزلة، فإن مُديم التأمل والبحث في القرآن منهم يكون له الفضل والسبق على غيره وسيفوق أقرانه بقرآنه.

هـ أنه ينبغي لمن يقوم بالدعوة إلى الله وتبليغ الدين الحق إلى الناس، أن يجتهد وسعه في تحسين الخطاب وتزيينه بأجمل التشبيهات والمحسنات البيانية واختيار أفضل

قال: فو الله ما برحوا بى يخوفونني أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولا حسنا، فاعرض على أمرك، قال: فعرض على رسول الله ﷺ الإسلام وتلا على القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، انظر السيرة لابن كثير (٢/ ٧٢).

الألفاظ، لكي يكون هذا الخطاب أكثر قبولاً وأحظى عند المتلقي وله في ذلك أسوة حسنة بما جاء في هذه التشبيهات القرآنية.

و- يتبين من خلال هذه الدراسة شمولية القرآن وصلاحيته لهداية وقيادة البشرية إلى ما هو خير في الدنيا والآخرة، ولو أن علماء الأمة عكفوا على هذا الكتاب العظيم، يتدارسونه فيما بينهم، فيخرجون للناس ما فيه من سبل الهداية وما فيه من إعجاز لغوي أو علمي أو غيرهما من وجوه الإعجاز، ولو أن الأمة أفراداً وجماعات أقبلوا على كتاب ربهم هذا فتلقوه بالقبول والتسليم واتخذوا منه منهاجاً ودستور حياة، لأفلحوا وأنجحوا ولسادوا الدنيا ولأذعنت لهم أمم الأرض وذلك مصداق قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء:٦٦-٦٧].

وإن أعظم ما يوعظ به هو القرآن الكريم وقول النبي ﷺ في خطبة الوداع الجامعة المانعة: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللهِ...)[1].

وختاماً فهذا ما فتح الله علي بإعداده ويسر لي إيراده، وهو عمل بشري قاصر يكتنفه الخطأ ولا يسلم من العثرات، إجتهدت فيه أن أستنبط ما يمكن لي من آثار للتشبيهات على تفسير الآيات ومعانيها، فما كان فيه من إصابة فذلك من فضل الله وتوفيقه وحده، وما كان فيه من زلل أو خلل فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله ﷺ منه بريئان، والله وحده أسأل أن ينفع به كاتبه وكل من يقرأه وأن يجعله حجةً لنا لا علينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله. وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

(١) رواه مسلم (٢٩٢٢)، وأبو داود (١٩٠٢)، والترمذي (٣٧٨٦).

الفهـــــارس

الفهارس

فِهْرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾	البقرة:١٥	٢	١٠٥
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾	البقرة:١٧	٢	٤١، ٢٩٩، ٣٣٥
﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	البقرة:٢٧	٢	٢٣٠
﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾	البقرة:٤٥	٢	٩٦
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾	البقرة:١١٧	٢	٢٢٥
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾	البقرة:١١٨	٢	٣٤٣، ٤٤٥
﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾	البقرة:١٢٤	٢	٤٠٣
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾	البقرة:١٣٢	٢	١٤٤
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾	البقرة:١٣٤	٢	١٣٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	البقرة:١٤٣	٢	٧٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	البقرة:١٥٣	٢	٩٥
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾	البقرة:١٦٤	٢	٣٠٢

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ (١٦٧)﴾	البقرة:١٦٦–١٦٧	٢	٤٤٤
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)﴾	البقرة:١٧١	٢	٣٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	البقرة:١٧٢	٢	٣١٠
﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾	البقرة:١٩٤	٢	١٠٥
﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾	البقرة:١٩٨	٢	١٠٦، ٤٤٧
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾	البقرة:٢١٦	٢	٥٨
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾	البقرة:٢٦١	٢	٣٥
﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)﴾	البقرة:٢٧١	٢	٢٢١
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾	آل عمران:٧	٣	١٦٤
﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١١)﴾	آل عمران:١١	٣	٨٥
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	آل عمران:١٩	٣	١٨٩
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩)﴾	آل عمران:١٩	٣	٣٦٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾	آل عمران:٣٠	٣	٢٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾	آل عمران:٣٣–٣٤	٣	٢٧٩
﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾	آل عمران:٣٧	٣	٢٩٩
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾	آل عمران:٥٩	٣	٢٧٦
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾	آل عمران:٨٥	٣	١٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	آل عمران:١٠٢	٣	٦
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾	آل عمران:١٠٣	٣	٩٦
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	آل عمران:١٠٦	٣	٤٩، ٧٤
﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾	آل عمران: ١٣٧–١٣٨	٣	١٢٥
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾	آل عمران:١٥٩	٣	١٢١
﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾	آل عمران:١٨٢	٣	٤٢٢

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ﴾	المائدة:٣	٥	٣٢٨
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾	المائدة:٣	٥	١٤٤
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾	المائدة:١٥	٥	٣٤٧
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾	المائدة:١٨	٥	٤٠٩
﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾	المائدة:٥١-٥٢	٥	٢٣٢
﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٩٩
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾	المائدة:٧٨	٥	٤٠٩
﴿حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾	المائدة:١٠٤	٥	٤١٦
﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾	المائدة:١٠٥	٥	١٣٨

الآيــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) ﴾	الأنعام:٦	٦	١٣١، ٦٦
﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ﴾	الأنعام:٢٦	٦	٣٣٢
﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾	الأنعام:٥٤	٦	٩٨
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) ﴾	الأنعام:٦٠	٦	٣٩٣
﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾	الأنعام:٨١–٨٢	٦	١٩٢
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾	الأنعام:٨٣	٦	٤٧٠، ٤١٥
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) ﴾	الأنعام:٩٠	٦	١٠٦
﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) ﴾	الأنعام:٩٤	٦	٢٦٦، ٢٦٣
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	الأنعام:١٢٤	٦	٢٧٩، ١٤٣
﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠) ﴾	الأنعام:١٦٠	٦	٤٥٤
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾	الأنعام:١٦٢	٦	٤٧٣
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾	الأنعام: ١٦٢–١٦٣	٦	٣٨٣، ٢٠٨

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــــة
٢١٢	٧	الأعراف:٢٨	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾
١٩	٧	الأعراف:٤٣	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾
٤٤٠	٧	الأعراف: ٤٤-٤٥	﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾
٢٥٢	٧	الأعراف:٥٠	﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾
٤٦٥	٧	الأعراف:٥١	﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾
٣٩٧	٧	الأعراف:٥٧	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾
١٢٤	٧	الأعراف:٨٨	﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ ﴾
١٧٥	٧	الأعراف:٨٩	﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾
٤٢٦	٧	الأعراف:١٠٧	﴿ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾
٣٠٩	٧	الأعراف:١٢٨	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾
٤٠٨	٧	الأعراف:١٣٧	﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾
٢٧٠	٧	الأعراف:١٤٣	﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾	الأعراف:١٤٦	<	٢٩٦
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾	الأعراف:١٤٦	<	٤٠١
﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	الأعراف:١٦٤	<	١٠
﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾	الأعراف:١٧١	<	٤٣
﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾	الأعراف:١٧٦	<	١١٧، ٤٥٢
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾	الأعراف:١٧٩	<	١٩٧، ٢٨١، ٣٨٦
﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾	الأعراف:١٨٧	<	٢٢٤
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾	الأنفال:٢	<	٤٧٧
﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	الأنفال:٣٢	<	٥٣، ٥٥
﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾	التوبة:١١١	ه	٢٠٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾	يونس:٧	ـ	٥٤
﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾	يونس:١٠	ـ	٣٠٠
﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾	يونس:١١	ـ	٥٣، ٢٣٨

الآيــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾	يونس:١٢	١٠	٤٢، ٥٩
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾	يونس:١٣	١٠	٦٥
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾	يونس:١٣-١٤	١٠	٦٦
﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾	يونس:٢٤	١٠	٤٧، ٦٨، ٢٦١
﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾	يونس:٢٦	١٠	٧٥
﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾	يونس:٢٧	١٠	٤٩، ٧٤
﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾	يونس:٣٢	١٠	١٦٠
﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾	يونس:٣٣	١٠	٧٨
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾	يونس:٣٩	١٠	٨٢
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾	يونس:٤٥	١٠	٨٦
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾	يونس:٧٤	١٠	٩٠

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾	يونس:٨٧	ـ	٩٣
﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾	يونس:١٠٣	ـ	٩٧
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	هود:١١	=	٦١
﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾	هود:٢٤	=	١٠١
﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾	هود:٣٨-٣٩	=	١٠٤
﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾	هود:٤٢	=	١٠٨
﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾	هود:٤٣	=	٧٥
﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾	هود:٤٩	=	٢٩٣،٨٥
﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾	هود:٧٨	=	٤٧٥،١١١
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾	هود:٨٢-٨٣	=	١١٤

الآيــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾	هود:٨٨	١١	١١٨
﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) ﴾	هود:٩١	١١	١٩٧
﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾	هود:٩٤-٩٥	١١	١٢٢، ٤٧٥
﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) ﴾	هود:٩٨	١١	٢٨٠
﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) ﴾	هود:١٠٠	١١	١٢٦
﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) ﴾	هود:١٠١	١١	٧٩، ٤٦٣
﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾	هود:١٠٢	١١	٧٩، ١٣٠
﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١٠٩) ﴾	هود:١٠٩	١١	١٣٤
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾	هود:١١٢	١١	١٣٧
﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾	هود:١٢٠	١١	٢٩٣
﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾	يوسف:٦	١٢	١٤١

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾	يوسف:٢١	١٢	١٤٦،١٠٧
﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾	يوسف:٢٨	١٢	١٥٢
﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾	يوسف:٣١	١٢	١٤٩
﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾	يوسف:٣٣-٣٤	١٢	١٥١
﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾	يوسف:٣٧-٤٠	١٢	٢٧١،١٤٥
﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	يوسف:١٠٥-١٠٦	١٢	٣٠٢
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾	يوسف:١١١	١٢	٤٥٢
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	الرعد:٢	١٣	٣٠١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾	الرعد:٦	١٣	٥٧
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾	الرعد:٨	١٣	١٦٧
﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾	الرعد:١٤	١٣	١٥٤
﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾	الرعد:١٦	١٣	١٥٧
﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾	الرعد:١٧	١٣	١٦٣
﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾	الرعد:٢٥	١٣	٢٣٠
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾	الرعد:٢٨	١٣	٤٠١
﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾	الرعد:٣٠	١٣	١٦٩
﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾	الرعد:٤٢	١٣	١٧٢
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾	إبراهيم:٧-٨	١٤	٢٧٠

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾	إبراهيم:١٥-١٧	١٤	١٧٥
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾	إبراهيم:١٨	١٤	١٧٨، ١٨٢، ٣٨٠
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾	إبراهيم:٢٤	١٤	٢١٨
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	إبراهيم:٢٤-٢٥	١٤	١٨٣
﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾	إبراهيم:٢٦	١٤	١٨٧، ٢١٨
﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾	إبراهيم: ٢٨-٢٩	١٤	٤٤٨
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾	إبراهيم: ٤٢-٤٣	١٤	١٩١
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	الحجر:١٠-١٣	١٥	١٩٥
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	الحجر:٤٥-٤٧	١٥	١٩٩
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	الحجر:٦٦	١٥	٢٣٥
﴿ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾	الحجر:٨٧	١٥	٢٠٢

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾	الحجر:٨٩-٩١	١٥	٢٠٢
﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾	النحل:١٥	١٦	٤٣٥
﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾	النحل:٢١	١٦	٣٣٥
﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾	النحل:٢٦	١٦	٢١٣
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾	النحل:٣٠	١٦	٢٠٨
﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾	النحل:٣٠-٣١	١٦	٢٠٦
﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾	النحل:٣٣	١٦	٩٢، ٢١٣
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾	النحل:٣٥	١٦	٢١٠
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾	النحل:٣٦-٣٧	١٦	١٩٧

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾	النحل:٧٣-٧٦	١٦	٤٧٢، ٢١٤
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾	النحل:٧٧	١٦	٢٢٣
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾	النحل:٩١-٩٢	١٦	٤٧٣، ٢٢٦
﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾	النحل:١٢٧	١٦	٢٤٣
﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾	الإسراء:٦	١٧	٢٣٥
﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾	الإسراء:٧	١٧	٤٨، ٢٣٤، ٤٧٤
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾	الإسراء:٨	١٧	٢٣٧
﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	الإسراء:٩	١٧	٣٦٩
﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾	الإسراء:١١	١٧	٥٦

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾	الإسراء:١١	١٧	٢٣٨
﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾	الإسراء:١٥	١٧	٤٢٢
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾	الإسراء:٨٥	١٧	٤٧١
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾	الإسراء:٨٨	١٧	٧
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾	الإسراء:٨٨-٨٩	١٧	٣٥٠
﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾	الإسراء:٩٨-٩٩	١٧	٣٤٢
﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾	الإسراء:١٠٦-١٠٩	١٧	٤٧٧
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الإسراء:١١٠	١٧	١٦٩
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾	الكهف:٦	١٨	٢٤٢، ٣٨٦، ٤٧٤
﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾	الكهف:١٩	١٨	٢٤٥

الآيــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾	الكهف:٢١	١٨	٢٤٨
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾	الكهف:٢٩	١٨	٢٥١، ٤٧٤
﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾	الكهف: ٣٢-٤٢	١٨	٢٥٥
﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾	الكهف:٤٥	١٨	٧٠، ٢٦٠، ٤٧٤
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾	الكهف:٤٧	١٨	٣١٦، ٤٣٤
﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾	الكهف:٤٨	١٨	٢٦٣

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾	الكهف:٩١	١٨	٤٠٨،٢٦٧
﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾	الكهف:٩٨	١٨	٢٦٩
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾	الكهف:١١٠	١٨	٤٢٧
﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾	مريم:٨	١٩	٢٧٤
﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾	مريم:٩	١٩	٢٧٤
﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾	مريم:١٧	١٩	٢٧٧
﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾	مريم:١٨	١٩	٢٧٨
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾	مريم:٧٧	١٩	٢٥٧
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾	مريم:٧٧	١٩	٢٦٦
﴿فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾	مريم:٨٠	١٩	٢٦٦
﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾	مريم:٨١–٨٢	١٩	٤٦٣
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾	مريم:٨٥	١٩	٢٨١
﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾	مريم:٨٦	١٩	٢٨٠
﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾	مريم:٨٧	١٩	٢٨٠
﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾	مريم:٩٥	١٩	٣١٢
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾	طه:٦	٢٠	١٦٨
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾	طه:١٧–١٨	٢٠	٤٢٧
﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾	طه:٢٠	٢٠	٤٢٧

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــــة
٣٥٠	ـذ	طه:٤٤	﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾
٢٠٤	ـذ	طه:٤٨	﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾
٢٨٤	ـذ	طه:٨٤	﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾
٢٨٦	ـذ	طه:٨٧	﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾
٢٩٠	ـذ	طه:٩٥	﴿فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾
٢٨٩	ـذ	طه:٩٦	﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾
٢٩٢	ـذ	طه:٩٩	﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾
٨٨	ـذ	طه:١٠٢-١٠٤	﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤﴾
٤٣٤	ـذ	طه:١٠٥	﴿فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥﴾
٤٣٥	ـذ	طه:١٠٥-١٠٧	﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾
٤٣٤	ـذ	طه:١٠٨	﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾
٢٩٥	ـا	الأنبياء:٥	﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۢ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾
٢٩٦،١٧٣	ـا	الأنبياء:٦	﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾
١٠٧	ـا	الأنبياء:٩	﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾
٢٩٨	ـا	الأنبياء:١٥	﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾
٤٠٣	ـا	الأنبياء:٢٢	﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾	الأنبياء:٣٠	٢١	٣٩٧
﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢)﴾	الأنبياء:٣٢	٢١	٣٠١
﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾	الأنبياء: ٦٨-٦٩	٢١	٣٠٤
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)﴾	الأنبياء:٧٣	٢١	٤٠٣
﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾	الأنبياء: ٨٧-٨٨	٢١	٣٠٧
﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾	الأنبياء: ٨٩-٩٠	٢١	٣١١
﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦)﴾	الأنبياء:٩٦	٢١	٣١٤
﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)﴾	الأنبياء:١٠٤	٢١	٣١٧، ٢٦٣
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾	الأنبياء:١٠٥	٢١	٤٠٩
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾	الأنبياء:١٠٧	٢١	١٢١
﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾	الحج:١	٢٢	٣٢٢
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾	الحج:٢	٢٢	٣٢١، ٣١٥

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) ﴾	الحج:١١	٢٢	٤٦١
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ (١٦) ﴾	الحج:١٦	٢٢	٣٢٤
﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) ﴾	الحج:٢٠	٢٢	٢٥٢
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ (٣٠) حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾	الحج:٣٠-٣١	٢٢	٣٢٧
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤١) ﴾	الحج:٤٠-٤١	٢٢	٣٦٦
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٥١) ﴾	الحج:٤٩-٥١	٢٢	٣٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) ﴾	الحج:٧٣	٢٢	٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١) ﴾	المؤمنون: ١٠-١١	٢٣	٢٣٠
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ﴾	المؤمنون:٤١	٢٣	٣٣٩

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــة
٣١٠	٢٣	المؤمنون:٥١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾
١٣٦	٢٣	المؤمنون: ٥٥-٥٦	﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾
٣٤١	٢٣	المؤمنون: ٨١-٨٣	﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾
١٥٩	٢٣	المؤمنون: ٨٦-٨٧	﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾
٨٨	٢٣	المؤمنون: ١١٢-١١٤	﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾
١٠، ٣٤٦، ٤٧٤	٢٤	النور:٣٥	﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾
٣٣، ٣٨، ١٨٢، ٣٥٣، ٣٨٠	٢٤	النور:٣٩	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾
١٠، ٣٥٨	٢٤	النور:٤٠	﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾	الشعراء:٦٩-٧٤	٢٦	٤١٤
﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾	الشعراء:٧٤	٢٦	٤٢٠
﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾	الشعراء:٧٧	٢٦	٤١٧
﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦﴾	الشعراء:١٣٦	٢٦	٤٢٠
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾	الشعراء:١٣٧	٢٦	٤١٩
﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٣﴾	الشعراء:١٧٣	٢٦	٤٢١
﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾	الشعراء:١٨٧	٢٦	١٢٤
﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾	الشعراء:١٨٩	٢٦	١٢٤
﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾	الشعراء:٢٠٠	٢٦	٤٢٣
﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾	النمل:١٠	٢٧	٤٢٦
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾	النمل:١٤	٢٧	٤١٣
﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾	النمل:٤٠	٢٧	٤٧١
﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾	النمل:٤٠	٢٧	٢٦٩
﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾	النمل:٤٩	٢٧	٢٠٣
﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾	النمل:٦١	٢٧	٤٣٥
﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾	النمل:٦٥	٢٧	٤٣٠

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾	النمل:٦٦	٢٧	٤٢٩
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾	النمل:٦٧–٦٨	٢٧	٣٤٢
﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾	النمل:٦٩–٧٠	٢٧	١٩٨
﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾	النمل:٧٠	٢٧	٤٣٢
﴿ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾	النمل:٨٧	٢٧	٤٣٤
﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	النمل:٨٨	٢٧	٤٣٣
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾	القصص:٥	٢٨	٤٠٩
﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾	القصص:٢٣	٢٨	٢٨٠
﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	القصص:٤١	٢٨	٤٠٣
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾	القصص:٥٦	٢٨	٣٨٦
﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	القصص:٥٧	٢٨	٤٣٩
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾	القصص:٥٨	٢٨	٤٣٩، ٦٦
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	القصص:٥٩	٢٨	٤٣٩، ٢٣٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾	القصص:٦٠	٢٨	٤٤٠
﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾	القصص:٦١	٢٨	٤٣٨، ٤٤٠
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾	القصص:٦٢-٦٣	٢٨	٤٤٢
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾	القصص:٧١-٧٢	٢٨	٣٩٠
﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾	القصص:٧٧	٢٨	٤٤٦
﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾	القصص:٨٢	٢٨	٤٥٠
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾	القصص:٨٤	٢٨	٤٥٣
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾	العنكبوت:١٠	٢٩	٤٥٧
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾	العنكبوت:٤١	٢٩	٤٦٢

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾	العنكبوت:٦٤	٢٩	٤٦٦
﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾	الروم:٥٠	٣٠	٣٩٧
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾	الروم:٥٥–٥٦	٣٠	٨٧
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾	لقمان:١٠–١١	٣١	٤٣٦
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾	الأحزاب:٦٢	٣٣	١٢٤
﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾	الأحزاب:٧١	٣٣	٦
﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	سبأ:٧	٣٤	١٦٤
﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾	سبأ:١٣	٣٤	٤٤٨
﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾	فاطر:٢	٣٥	٤٧٠
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	فاطر:٦	٣٥	٤١٧
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾	فاطر:٨	٣٥	١٩٨، ٢٤٣، ٣٨٦

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾	فاطر:٩	٣٥	١٠٨
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) ﴾	فاطر:١٠	٣٥	١٨٦، ١٨٩
﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) ﴾	فاطر:٢٥-٢٦	٣٥	١٣١
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	فاطر:٣٢	٣٥	٤٠٨
﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ﴾	فاطر:٣٥	٣٥	٢٠٦
﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾	فاطر:٣٦-٣٧	٣٥	١٧٦
﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) ﴾	يس:٧٤-٧٥	٣٦	٤٦٣
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾	يس:٧٧-٧٩	٣٦	٣٤٢
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾	يس:٨٢	٣٦	٢٤٦
﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) ﴾	الصافات: ٤٨-٤٩	٣٧	٣١
﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾	الصافات: ١٧١-١٧٣	٣٧	١٧٠
﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾	ص:١٦	٣٨	١٧٥
﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾	ص:٢٩	٣٨	٤٧٧
﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) ﴾	ص:٧١	٣٨	٢٧٧

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾	الزمر:٧	٣٩	٢١٢
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١)﴾	الزمر:٢١	٣٩	٢٦١
﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧)﴾	الزمر:٢٥-٢٧	٣٩	١٣١
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾	الزمر:٤٢	٣٩	٣٩٤
﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾	الزمر:٤٥	٣٩	٤٠١
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾	الزمر:٦٥	٣٩	١٧٩
﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾	الزمر:٦٧	٣٩	٣١٨
﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾	الزمر:٦٩	٣٩	٣٥١
﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾	الزمر:٧١	٣٩	٧٨، ٨٠
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾	غافر:٥١	٤٠	٩٩، ١٧٠، ٣٠٦
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢)﴾	غافر:٥٢	٤٠	٤٤٤
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)﴾	فصلت:٣٧	٤١	٣٩٩

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾	فصلت:٣٩	٤١	٣٩٧
﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾	فصلت:٤٠	٤١	١٩٢
﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾	فصلت:٤٦	٤١	٢٣٠
﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾	فصلت:٥٠	٤١	٢٥٧
﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾	فصلت:٥١	٤١	٦١
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	الشورى:١١	٤٢	٤٤٩
﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	الشورى:٤٠	٤٢	١٠٥
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩)﴾	الزخرف:٩	٤٣	١٥٩
﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾	الزخرف:٢٢	٤٣	٤٢٠
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾	الزخرف:٢٣	٤٣	٤١٦
﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٨)﴾	الزخرف: ٧٦-٧٨	٤٣	٢٨١
﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨)﴾	الدخان:٢٨	٤٤	٤٠٨
﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٤٢)﴾	الدخان: ٤٠-٤٢	٤٤	٢٦٦
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢)﴾	محمد:١٢	٤٧	٣٨٦، ٧٢

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾	محمد:١٥	٤٧	٢٥٣
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾	محمد:١٦	٤٧	١٩٧
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾	محمد:١٧	٤٧	٣٦٠
﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾	الفتح:٢٩	٤٨	٢٩٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾	الحجرات:٦	٤٩	٨٥
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾	الحجرات:١٠	٤٩	٨٥
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	الحجرات:١٣	٤٩	٢٣١، ٢٥٩
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾	ق:١٢-١٤	٥٠	٢١٢
﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾	ق:١٥	٥٠	٢٦٤
﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾	الذاريات:٣٣	٥١	١١٥
﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾	الذاريات: ٣٣-٣٤	٥١	١١٤
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾	الذاريات: ٥٢-٥٣	٥١	١٩٦
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾	النجم:٣٩	٥٣	١١٠
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾	النجم:٣٩-٤٠	٥٣	٣٣٢
﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾	النجم:٥٣-٥٤	٥٣	١١٥
﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾	القمر:١٣-١٤	٥٤	١٠٨

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾	الرحمن:٥٨	٥٥	٣١
﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾	الرحمن:٦٠	٥٥	٤٤٨
﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾	الواقعة:٥-٦	٥٦	٣٧٩
﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾	الحديد:٢٠	٥٧	٧١، ٢٦١
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨﴾	المجادلة:١٨	٥٨	٤٤٥
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾	الحشر:١٩	٥٩	٤٦٥
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾	الصف:٨	٦١	٣٤٧
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾	الجمعة:٥	٦٢	١٩٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	المنافقون:٨	٦٣	٣٠٩
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾	الطلاق:٧	٦٥	١٠
﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾	الملك:١٣-١٤	٦٧	٤٥٩
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾	الملك:١٤	٦٧	١٧٣
﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝٤٩ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾	القلم:٤٨-٥٠	٦٨	٣٠٨

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾	المعارج:٤	٧٠	٣٢٣
﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾	المعارج:٨	٧٠	٢٥٢
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾	المعارج:٣٢	٧٠	٢٢٩
﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾	نوح:٧	٧١	٥٥
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾	نوح:٢٨	٧١	٤٠٣
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾	المدثر:١١-١٣	٧٤	٢٥
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾	القيامة:١٧-١٨	٧٥	٢٦
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾	الإنسان:٢٧	٧٦	٣٢٣
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾	الإنسان:٣٠	٧٦	٣٢٦
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾	المرسلات: ١٦-١٨	٧٧	٦٧
﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾	النازعات: ١١-١٤	٧٩	٣٤٢
﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾	النازعات:٢٤	٧٩	٣٥٠
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾	النازعات:٤٦	٧٩	٨٨
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾	عبس:٤٠-٤٢	٨٠	٧٥
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾	التكوير: ٢٧-٢٩	٨١	٣٢٦
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾	الانفطار:٦-٨	٨٢	٦٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾	البروج:١٠	٨٥	٢٣٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾	التين:٤	٩٥	١٥١
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾	العلق:٦-٧	٩٦	٦٢
﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾	القارعة:٤	١٠١	٣٢٣
﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾	القارعة:٥	١٠١	٤٣٤، ٤٣٥
﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾	الهمزة:٨	١٠٤	٢٥١
﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾	الفيل:٥	١٠٥	٣٨٠

فهرس الأحاديث والآثار

م	الحديث أو الأثر	الصفحة
٢٢	فأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ	٤٢٩
٢٣	فعرض على رسول الله ﷺ الإسلام وتلا على القرآن	٤٧٦
٢٤	قال القوم للنبيّ ﷺ: إنا نستحيي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا	٢٥٨
٢٥	قَالَ اللهُ تَعَالَى ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٢٣٠
٢٦	قُلْ آمَنْتُ بِالله ثم استقم	١٣٩
٢٧	لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار	٤٤١
٢٨	لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي	٥٧
٢٩	اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ	٥٨
٣٠	مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً	٣٥٠
٣١	ما بقي شيء يقرب من الجنة و يباعد من النار إلا و قد بين لكم	٣٦٩
٣٢	مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ	١٥٢
٣٣	مَثَلُ كَلِمَةٌ طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ	١٨٨
٣٤	مثَل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً	١٦٥
٣٥	مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ	٣٥١
٣٦	هم قوم صالح الذين قال الله عنهم	٢٠٣
٣٧	وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ الله	٤٧٨
٣٨	وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا	٢٢٤
٣٩	يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير	٣٨٥
٤٠	يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ	٣١٥

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلـــــــــــم	الصفحة
٢٢	الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني	٩٤
٢٣	الطفيل بن عمرو الدوسي	٤٧٦
٢٤	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي	٢١٧
٢٥	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	٢١٢
٢٦	عبد القاهر الجرجاني	١٤٩
٢٧	عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي	١٣
٢٨	عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي	٣٦
٢٩	عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني	٢٣
٣٠	عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري	١٣١
٣١	عبدالله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي	٣٩
٣٢	عبدالله بن محمد بن الحسين (ابن ناقيا البغدادي)	١٣
٣٣	عطية بن سعد بن جنادة العوفي	٩٥
٣٤	عكرمة هو أبو عبد الله البربري القرشي	٩٤
٣٥	علي بن العباس بن جريج أو جورجيس (ابن الرومي)	٤٣
٣٦	علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي (الخازن)	٦٢
٣٧	عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة (المرقش الأكبر)	٣٤
٣٨	عمير بن شييم بن عمرو بن عباد التغلبي (القطامي)	٤٠
٣٩	غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي (ذوالرمة)	٣١
٤٠	قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي	٢٨
٤١	كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني	٣٢
٤٢	محمد الطاهر ابن عاشور	١٢
٤٣	محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي	٢٧
٤٤	محمد بن إدريس الشافعي	٢٩٠

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي بيروت دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى – الناشر دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.

(٣) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة مكتبة الخانجي ١٤١١هـ..

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي دار عالم الفوائد مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(٥) إعجاز القرآن للباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبوبكر (ت٤٠٣هـ) تحقيق صلاح عويضة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٦) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم علي بن نايف الشحود وهو مصور من مكتبة الجامع الكبير في الإنترنت جمعه المؤلف ونشره في رمضان ١٤٢٨هـ.

(٧) الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، مصر طنطا مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي بحاشية شهاب الخفاجي دار الفكر بيروت ١٤٢٢هـ.

(٩) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويبي (٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٤هـ.

(١٠) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود - الشيخ علي محمد معوض - شارك في التحقيق زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد النجولي الجمل. بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

(١١) بحوث في علوم التفسير للدكتور الذهبي الناشر دار الحديث ، القاهرةالطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(١٢) بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد، وراجعه ونسق مادته ورتبها: صالح أحمد الشامي الرياض دار ابن الجوزي ١٤٢٧هـ.

(١٣) البلاغة العربية، وليد قصاب، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(١٤) البلاغة الواضحة علي الجارم ومصطفى أمين: القاهرة دار المعارف ١٣٩٧هـ.

(١٥) البلاغة فنونها وآدابها فضل حسن عباس دار الفرقان الأردن الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

(١٦) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

(١٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لإحسان عباس دار الثقافة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

(١٨) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ

(١٩) التعبير البياني. رؤية بلاغية نقدية شفيع السيد: - القاهرة مكتبة الشباب الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

(٢٠) تفسير ابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن محمد الرازي، أبو محمد (ت٣٢٧هـ). تحقيق أحمد الزهراني. السعودية مكتبة الدار ودار طيبة ودار ابن القيم ١٤٠٨هـ.

(٢١) تفسير الجلالين (تفسير القرآن الكريم) والجلالان هما جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) وجلال الدين المحلي: محمد بن أحمد (ت٨٦٤هـ)، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٢٢) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للقاسمي محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق أحمد بن علي وحمدي صبح القاهرة دار الحديث ١٤٢٤هـ.

(٢٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (ت٧٧٤هـ) ، الناشر دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٢٤) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي دار النشر آوند دانش للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

(٢٥) تقريب التهذيب لابن حجر أحمد بن علي المتوفى ٨٥٢هـ دراسة محمد عوامه دار القلم سوريا دمشق الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

(٢٦) تهذيب اللغة للأزهرى – تحقيق عبد السلام هارون – الدار المصرية للتأليف والترجمة – ١٣٨٤هـ.

(٢٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: قدم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، ومحمد الصالح بن عثيمين واعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق دار ابن الجوزي الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

(٢٨) جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤-٣١٠ هـ) تحقيق: أحمد شاكر بيروت مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -.

(٢٩) الجامع الصحيح (سنن الترمذي) للإمام الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت دار إحياء التراث العربي .

(٣٠) الجامع الصحيح (صحيح البخاري) لإمام المحدثين محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ).دار النفائس بيروت الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.

(٣١) الجامع الصحيح (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١هـ). دار النشر: عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري. الرياض، المملكة العربية السعودية دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ .

(٣٣) الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي: عبد الله بن محمد بن الحسين (٤٨٥هـ)، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي، الناشر مركز الصف الإلكتروني بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٣٤) جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل- بيروت.الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

(٣٥) خزانة الأدب ولب لسان العرب البغدادي: عبد القادر بن عمر (١٠٩٣هـ).تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

(٣٦) خطبة الحاجة للألباني: رسالة خاصة من جزء واحد جمع فيها أحاديث خطبة الحاجة وخرجها مع فوائد أخرى تناسبها، الناشر دار المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.

(٣٧) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة مكتبة

الخانجي ١٤٠٤هـ.

(٣٨) ديوان ابن الرومي علي بن العياس ابن جريج (٢٨٣هـ) دار الأرقم الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

(٣٩) ديوان ابن المعتز المتوفى (٢٩٦هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٤٠) ديوان ابن وهيب محمد بن وهيب الحميري (٢٢٥هـ) دار المعارف القاهرة الطبعة الأولى

(٤١) ديوان أبي الطيب المتنبي المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي (ت٣٥٤هـ)، بشرح أبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) المسمى بالتبيان في شرح الديوان. ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي. دار المعرفة بيروت.

(٤٢) ديوان أبي العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي أبو إسحاق (ت٢١١هـ)، تحقيق كرم البستاني، **دار** بيروت للطباعة والنّشر، بيروت ١٤٠٦هجري

(٤٣) ديوان أبي تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام القاهرة دار المعارف ١٤٠٣هـ.

(٤٤) ديوان أبي فراس الحمداني لأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان (ت٣٥٧هـ). الناشر دار بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.

(٤٥) ديوان الخالديين تأليف الخالدي، أبوبكر محمد بن هاشم بن وعلة ، توفي نحو ٣٨٠ هـ، وأبي عثمان سعيد الخالدي، تحقيق سامي الدهان، دار صادر ، ١٤١٢هـ.

(٤٦) ديوان الشماخ بن ضرار (٢٢هـ.) . تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي .: **دار** المعارف القاهرة :١٣٨٨هـ.

(٤٧) ديوان الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي دار صادر للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٤٨) ديوان القطامي تحقيق د. إبراهيم السامرائي- أحمد مطلوب- دار الثقافة- بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.

(٤٩) ديوان النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة (ت١٨ ق هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة دار المعارف الطبعة الثانية ١٤١٠هـ

(٥٠) ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – مصر الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ.

(٥١) ديوان شعر ذي الرمة: غيلان بن عقبة العدوي أبو الحارث (ت١١٧هـ)، دار المعرفة – بيروت الطبعة: الاولى ١٤٢٧ هـ ،

(٥٢) ديوان شعر زهير بن أبي سلمى (١٣ق هـ) تحقيق: فخر الدين قباوة بيروت دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ..

(٥٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي (٣٥٤هـ). دار الفتح الشارقة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٥٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ): بيروت المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

(٥٥) سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي مولاهم القزويني (٢٧٥هـ)، علق عيه وحقق أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

(٥٦) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

(٥٧) شرح ديوان كعب بن زهير، بن ابى سلمى ابو المضرب توفي (٢٦هـ) / شرح

ابى سعيد الحسن بن عبيدالله السكرى، تحقيق القسم الادبى بدار الكتب المصريه القاهره : دار الكتب المصريه، ١٣٧٠هـ.

(٥٨) شروح التلخيص للخطيب القزويني وآخرين: بيروت دار السرور ويشمل مختصر سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) على تلخيص المفتاح، ومواهب الفتاح على شرح المفتاح –لابن يعقوب المغربي.

(٥٩) الصحاح للجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (ت٣٩٣هـ). - دار العلم للملايين . بيروت . تحقيق : أحمد عطا .

(٦٠) صحيح "الترغيب والترهيب" للألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٦١) صحيح السيرة النبوية للألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٦٢) صحيح سنن ابن ماجه للألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٦٣) العقد الفريد لابن عبد ربه: أحمد بن محمد، أبو عمرو (ت٣٢٨هـ) دار الأندلس بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٦٤) علم البديع للدكتور صالح عطية مطر مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٦٥) علم المعاني للدكتور صالح عطية مطر مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٦٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٦٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ). تحقيق عبد العزيز بن

عبدالله بن باز ومحب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر بيروت .

(٦٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، لللشوكاني محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٥هـ) الناشر دار الحديث، القاهرة تحقيق سيد إبراهيم بن صادق عمران الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٦٩) في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ.

(٧٠) القاموس المحيط للفيروزآبادى – مطبعة مصطفى البابى الحلبى - مصر – ١٣٧٢هـ.

(٧١) القرآن وما يكتب فيه لإبراهيم عبد الرحمن خليفة، مقال بالموسوعة القرآنية المتخصصة، إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٦هـ.

(٧٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد: أبي العباس محمد بن يزيد (٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة دار الفكر العربي ١٤١٧هـ.

(٧٣) كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، بيروت دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى .

(٧٤) كتاب الأعلام وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، بيروت دار العلم للملايين بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ.

(٧٥) كتاب الأغاني للأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم القرشي الأموي الكاتب، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ) وهو مصور من المكتبة الشاملة في الإنترنت نشر عام ١٤٢٧هـ.

(٧٦) كتاب البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٧٧) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: مفيد قميحة. بيروت دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠١هـ

(٧٨) كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت١٣٤٢هـ) بيروت دار إحياء التراث العربي .

(٧٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المعتزلي (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي بيروت دار إحياء التراث العربي

(٨٠) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (٧٢٥هـ)، القاهرة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥هـ.

(٨١) لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعى (ت٧١١هـ): القاهرة دار المعارف الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

(٨٢) لمحات في علوم القرآن واتجاهات المفسرين للدكتور محمد بن لطفي الصباغ دار المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

(٨٣) مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير ابن عاشور للدكتورشعيب الغزالي رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى عام ١٤٢٥هـ.

(٨٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية دار عالم الكتب، بيروت لبنان.

(٨٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطي: عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي (ت٥٤١هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ - الطبعة الأولى.

(٨٦) المحرر في علوم القرآن للشيخ مساعد الطيار ، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى رمضان ١٤٢٧هـ.

(٨٧) مختار الصحاح للرازي: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، عني بترتيبه: محمود خاطر القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ..

(٨٨) المستدرك على الصحيحين في الحديث للحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله بن حمدويه، أبو عبد الله (ت٤٠٥هـ).دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

(٨٩) المسند للإمام أحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ).تحقيق أحمد شاكر دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٩٠) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي: محمد بن عبد الله، (ت٧٤١هـ)، تحقيق: الألباني. بيروت المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ- الطبعة الثانية.

(٩١) معالم التنزيل للبغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٦هـ) القاهرة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥هـ-.

(٩٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي: عبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت٩٦٣هـ): تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت عالم الكتب، مصور عن المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٦٧هـ.

(٩٣) معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم.. محمد صالح مخيمر: الأردن إربد دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(٩٤) مفاتيح الغيب للرازي: محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، بيروت دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

(٩٥) مفتاح العلوم للسكاكي: يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور. بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

(٩٦) مقاييس اللغة لابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة مصطفى البابى

الحلبى الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

(٩٧) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني: بيروت دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .

(٩٨) المنتخب في تفسير القرآن الكريم لجمع من علماء الأزهر برعاية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة الطبعة الثالثة والعشرون ١٤٢٧هـ.

(٩٩) موجز البلاغة لابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، تونس الطبعة الأولى بدون تاريخ.

(١٠٠) موطأ مالك ابن أنس الأصبحي (١٧٩هـ) نشر دار النفائس بيروت الطبعة الحادية عشرة ١٤١١هـ.

(١٠١) النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجوزي (٨٣٣هـ) نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

(١٠٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية بدون تاريخ.

(١٠٣) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: أحمد بن عبد الوهاب النويري، شهاب الدين (ت٧٣٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١٠٤) وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة مصر الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

(١٠٥) يتيمة الدهر للثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي(ت٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

فهرس الموضوعــات